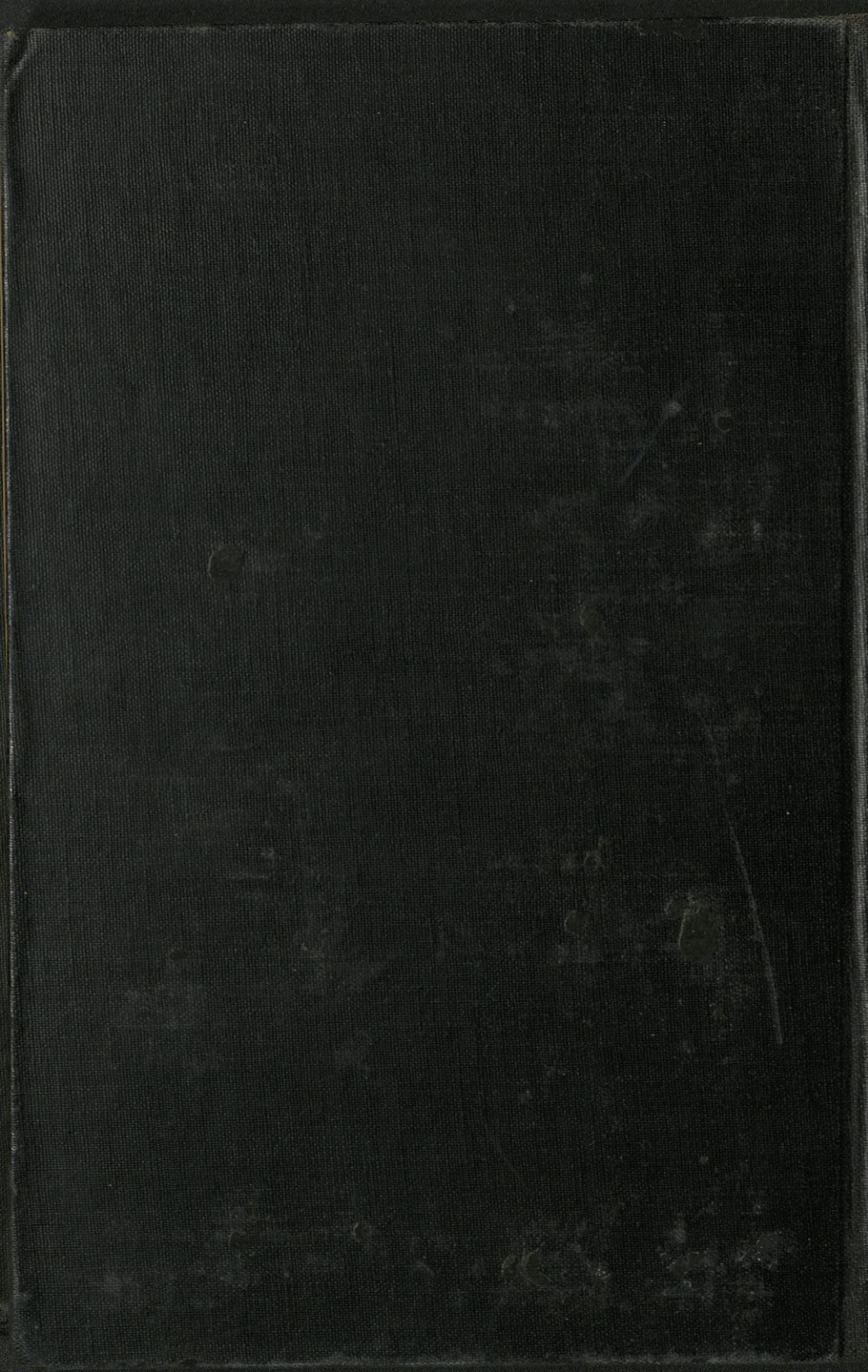
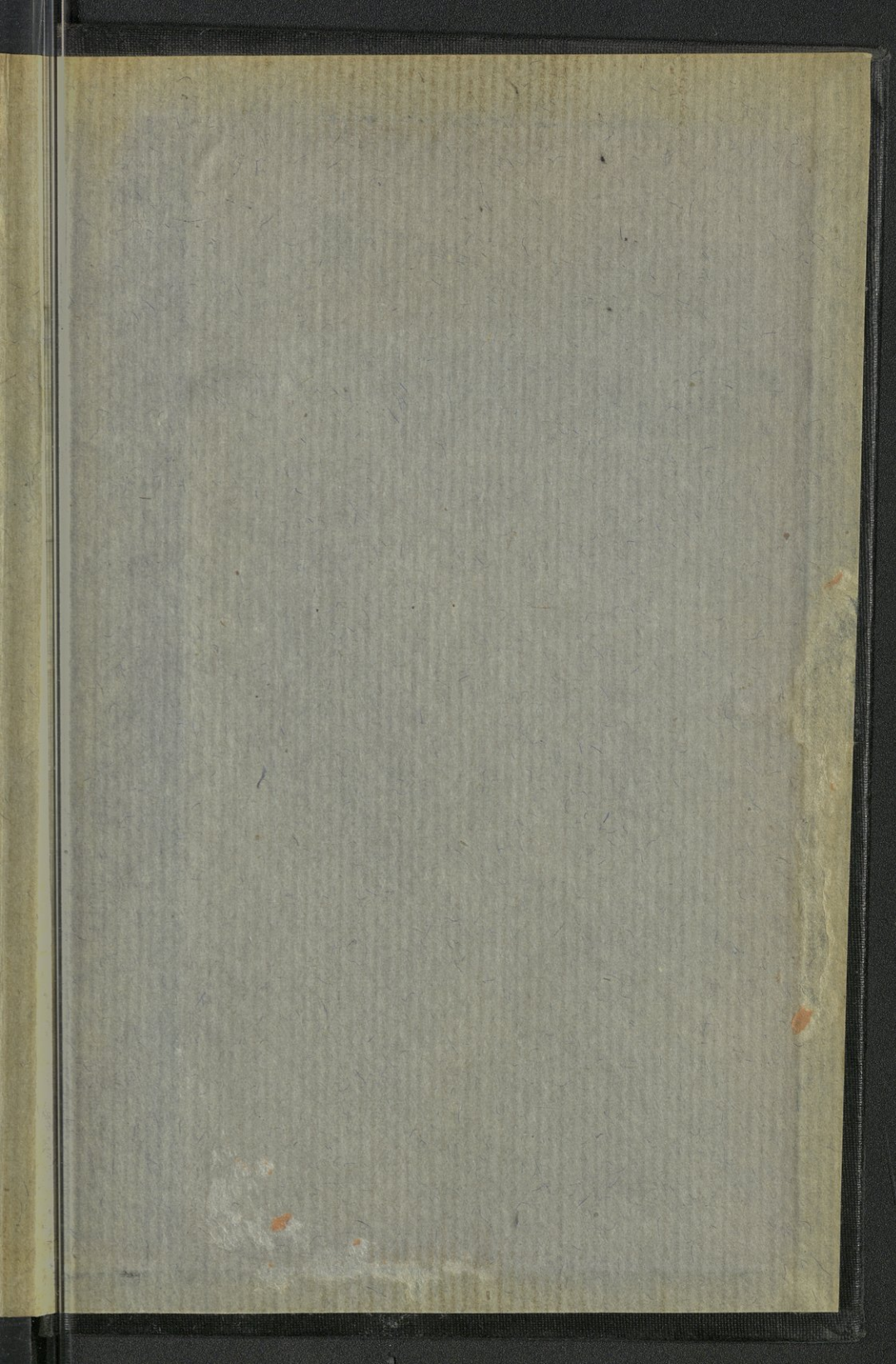






892.73:Sh551sA

الشهاب - شعبان رجب

سلمى التغلبية او قصة الفتح الاسلام

لتكريت

JAN 14 5492

AUG 10 F177

APR 22 1971

892.73

Sh551sA

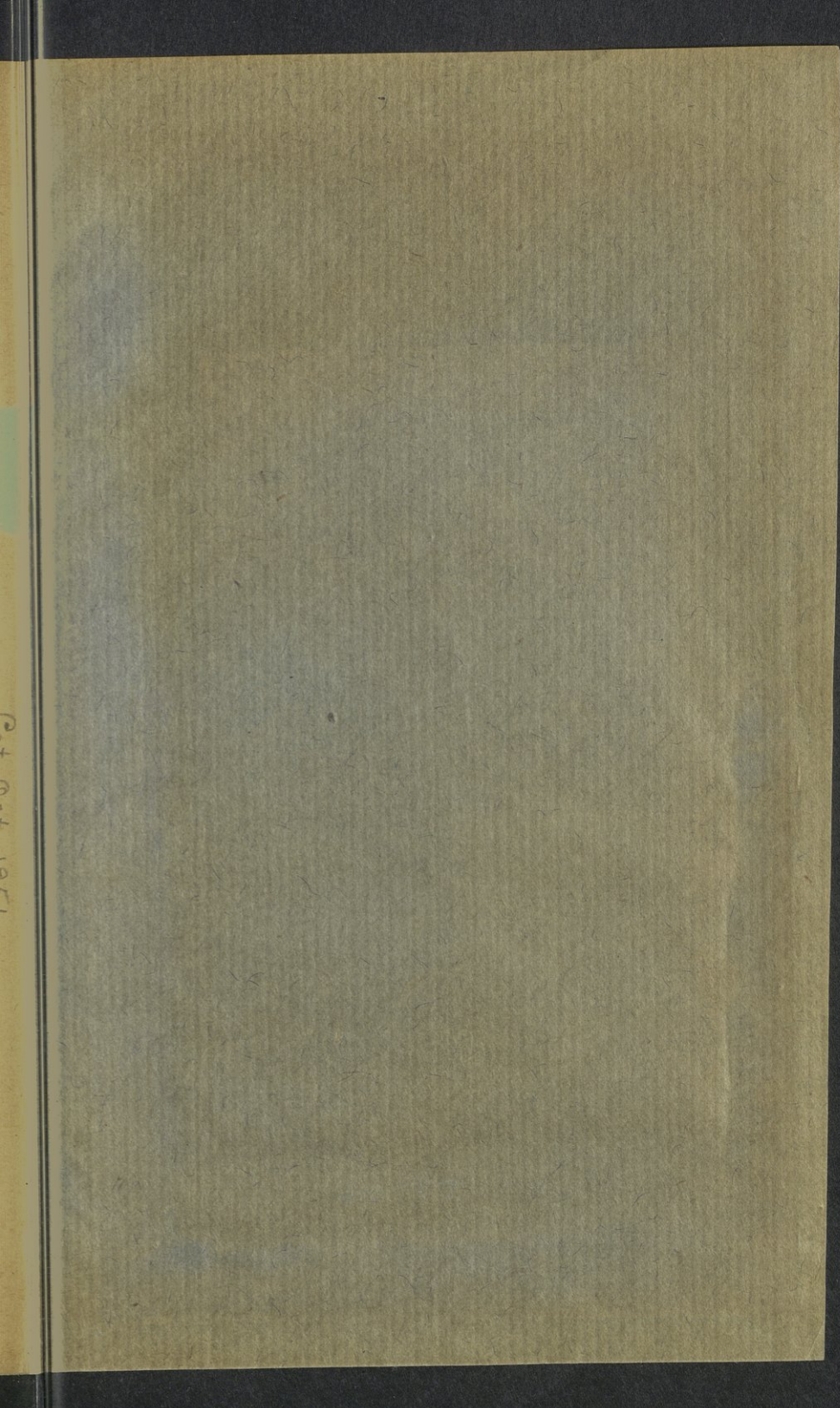
~~OC 1 153~~

~~1 - JUN 1971~~

~~720004203~~

~~720004203~~

~~DEC 18 60~~



892.73

SH598SLH

سنة رجب الشهاب

892.78

SH598SLH

C.I

سليمة التخليبية

أو

قصة الفتح الإسلامي لشكريات

Cat. Oct. 1951

١٩٤٩م - ١٣٦٨هـ

7774-6

طبعة المعارف - بغداد



فصل اخیر ایام

الاهداء

الى من فطمهم نفاير المجتمع عن ماضية الحياة فطمطهم
مقوقهم ومبرذهم من مؤلهمهم ومزايهمهم .

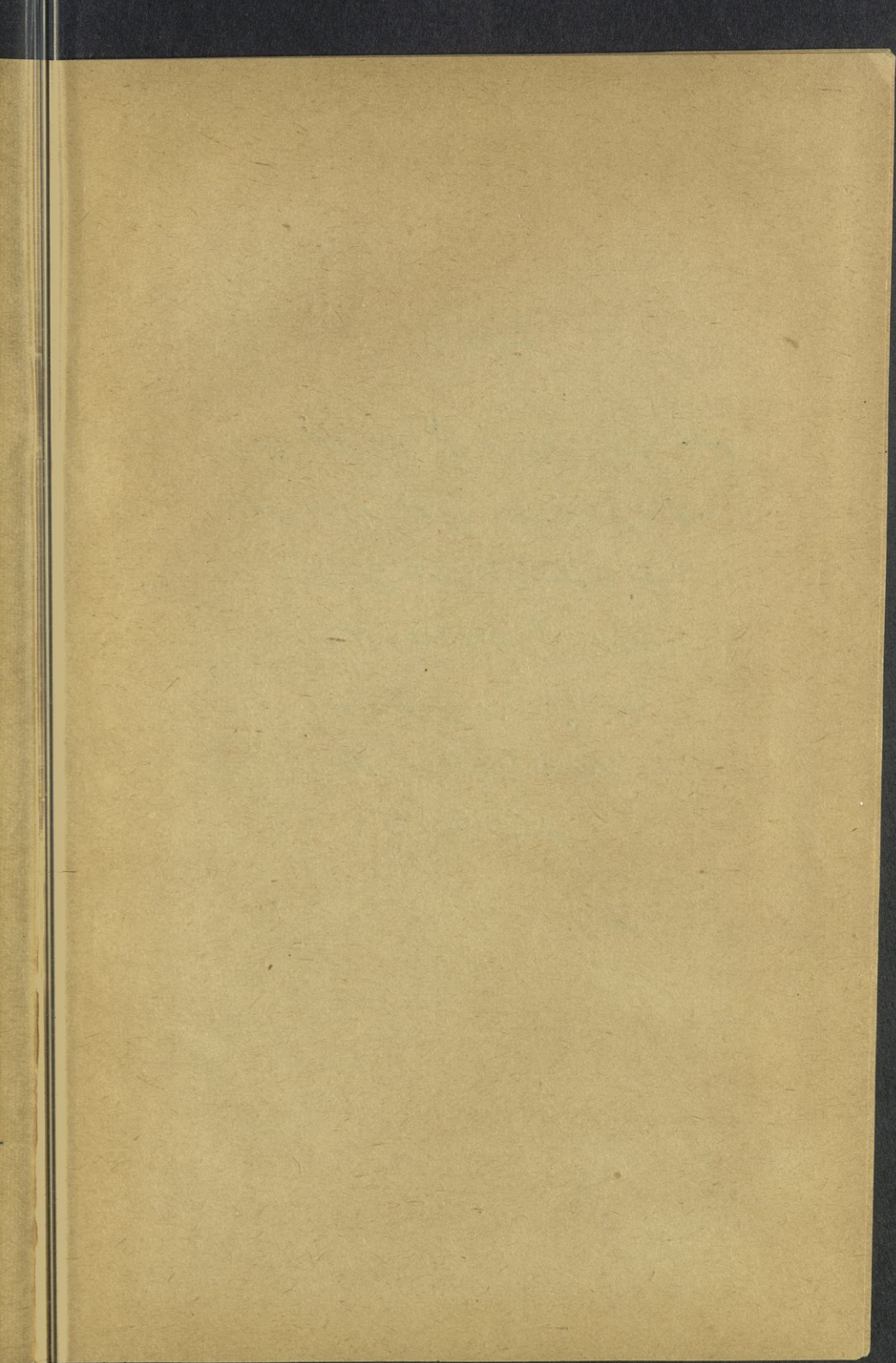
فعاشوا على هاضى الحياة يسكبون عليها
دموعهم وعصارة انظارهم . بصرو

رهم ونفوسهم بريئة لا يمازجها

الحقد او بخاطر الانتقام

اقدم هذا الكتاب

المؤلف



نشأ في محيط قروي، بين أبوين فقيرين حريصين على راحته وسعادته،
لذلك تضاعفت أوقات اشتغالهما في الحقل المجاور لقريتهما « شوزرق (١) »
ليهيئاً من القوت ما يكفل لهما العيش مع شيء من الزيادة في الملابس
والمكاليات لوحدهما « مارونا » ذلك الشاب الذي تفرق ماء الجمل في
وجهه وجرى دم الشباب الحار في عروقه حيث سبق بنموه أقرانه ففرع
بالطول المتناسب والاعضاء المتناسقة حتى صار مثال الشاب الكامل
بفضارته ونضارته وسلوكه وسيرته وجده ونشاطه ، فاصبح من شباب
القرية الذين يشار إليهم بالبنان .

كان « مارونا » قرّة أعين والديه لانه أملها المنشود وغايتها المثلى في
الحياة فقد صفق له قلبهما وطارا فرحا وابتهاجا حينما رأياه يشعر بالمسؤولية
الملقاة على عاتقه تلك المسؤولية التي تدفعه الى العمل في سبيل مساعدتهما
واراحتهما من مشاق التعب المضني الذي لا يتناسب وسنهما المتقدمة بالرغم
من ممانعتهما وعدم رضاها خوفاً عليه من اتعاب العمل ومشقته ، وحرصاً
على راحته ، لانها يريدان أن يخلقا من الشاب دمية مصقولة الجوانب
تلائم المحل الذي توضع فيه ، أو مزهية تحفظ لهما أزهار الشباب الذي
يسرها مرآة . لكن روح الشاب المتوثبة وشعوره بالواجب أبت عليه
إلا المشاركة في العمل إن لم ينفرد به لوحده فيوفر الراحة لأبويه .

فلا عجب من شاب يتمسك بتلك الصفات ويتحلى بهذه السجايا ويحمل

(١) قرية من قرى (بانوه درا) من أعمال الموصل وبانوه درا تشمل على قضائي
زاخو ودهوك اليوم .

ذلك الجمال الأخاذ أن يكون حديث المجالس ، تلهج الافواه بالثناء عليه
 فيتردد اسمه على كل لسان إعجاباً به وتعلقاً فيه ، وبالوقت نفسه كان حديث
 فتيات القرية في أسماهن عند ما ينفردن بمجالسهن وبتطرقن بحديثهن الى
 المحاسن والاخلاق ثم القوة والنشاط فالاعجاب ، والحب والغرام ، فله في
 قلب كل منهن حب ولوعة واشتياق ، فسكن يتسابقن في كسب وده
 والحصول على رضاه ، كما يتفانين في حبه وهواه ، لذلك ضايقته في تعرضهن
 له مجتمعات أو غير مجتمعات في كل طريق يسلكه أو عمل يشتمل به أو
 حفل يرتاده ، أو مهرجان يحضره أو اجتماع ينتظم في عقده ، فيعرض عنهن
 اعراض الناسك المتبتل ويتحاشى لقاءهن بتغيير طريقه ومسالكه ، أو
 انقطاعه عن الحفلات والاجتماعات لانه لم يكن من ذوي العواطف الثائرة ،
 والأهواء المتقلبة أو النفسيات الضعيفة ، فتخلبه البسمة ، وتصصره النظرة ،
 وتسكبه القبله ، وإنما كان في معزل عن ذلك كله .

كان يستغل أيام الأعياد وانشغال القوم في المهرجانات والاحتفالات
 والاعراس ليمتدح في محل ناه منزو ، يتعبد ويتبتل ، تلبية لنداء قلبه
 ذلك القلب الذي ما انفك يدعو الى التعمد وسلوك الطرق الحسنة التي
 تتفق وقداسة الدين وتلتئم ومرامي الصلحاء من الناس . وقد نمت عنده
 هذا الميل ، وتمركزت في قلبه تلك الرغبة ، لانه تربى في بيت يحافظ أهله
 على الدين وقماليه ويتمسكون بأصوله وحرمة قداسته ، ويجلون
 أهدافه وغاياته ، لهذا فقد عزف ماروثا عن الحفلات ، وازور عن الاعراس
 والمهرجانات ، لا مكابرة وتزمتاً أو تحاشياً وكتباً لميوله ورغائبه ، وإنما تلبية
 لداعي العقل واستجابة لنداء الضمير ، وعيناً حاول الناس استمالته واغراءه
 الى مواضع لهوهم ومجونهم لانه لم يعزلهم حياءً أو خوفاً أو عناداً ، وإنما

كان يرى في اعتزاله من اللذة اضعاف ما يشعر به فيما لو كان بينهم ، كما ذهبت جميع محاولات الفتيات في مغازلته واستهوائه سدى ، فقد كن يحاولن ايجاد طريق للحب الى قلبه ، فيتملكن بابتسامة الرضا أو القبول يفتر بها ثغره ، أو يبتهجن بكلمة الحب التي يستخلصنها منه يداعبن بها قلوبهن المشغوفة ، لكن الايمان الثابت والارادة القوية ، وقوة المبدأ التي كانت عنده قد حالت دون بغيتهن ، فترك وشأنه بعد ان افسح المجال امامه لأجل ان يعتزل الناس فيتعبد ويتنسك ، وقد تسرب الضيق والضرير الى الابوين من جراء طبع ولداهما الشاذ وحالته التي تدعو الى القلق وعدم الاستقرار ، لانهما يريدانه فراشة جواله تنفو الى المناظر الحسنة من الحدائق والبساتين ينمشها عطر الازهار وتخلبها مناظرها وتجذبها نضارتها ، فيسكره رحيقها . يريدانه ان يكون خير من يتمم بالشباب الغض ليرفه عن نفسه ويروح عن خاطره بمغازلة كاعب ناهد ، أو مداعبة حسناء جيده أو الوقوع في اشراك حب من خلبيته بحسن فجذبة بخفة الروح والظل وصرعته بسهم العظ فيعرف قيمة الحفلات والاعراس والمهرجانات ، ليقبل عليها وينتظم في حلقات انسها وملاذها .

وكثيراً ما كانا يفاخانه بما يشعران به من السأم والملل من طبعه الشاذ وتصرفه الذي يخالف تصرف اقاربه من اهل زمانه ، فيجيبهما بأنه يشعر بلذة ممتازة وسعادة تفوق سعادة القوم ولذاتهم ، فترك والدا ان شأن ولداهما كما تركه المجتمع وشأنه ، أما هو فقد شعر بالراحة التامة على أثر ذلك الاهمال فاستمر على سيرته التي اقتصر على اشتغاله في الحقل وتعبدته وتنسكه في سفوح الجبال او منحدرات الوديان في أيام الاعياد واوقات الراحة دون ان يلتفت الى مجتمعه الذي كان يعيب عليه اوضاعه ، وتصرفات افراده التي لا يستسيقها الذوق او يقر بها العقل .

بقي كذلك حتى اوشك ان يدخل سن العشرين من عمره فترك القرية
وعجز بيته على اثر حادث ألم بحياته فنفسها وجعلها جعياً لا يطق . ذلك
الحادث هو فقدان والديه الذين اودى بحياتها طعام مسموم على اثر تناوله
وهو لما يزل في الحقل .

بعد ان رأى مصرع والديه عند عودته من الحقل وكل منها يرسم
علامة الصليب على صدره ، أبت عليه نفسه ان يسكن بمفرده في بيته حينما
فقد القلبين النابضين بحبه الخافقين بهواء ، فلم تنفعه تمازي اهل القرية ولم
تخفف عنه حزنه وأساه ، لأنها لم تؤجل له قدراً ، او تدفع عنها ضراً او
ترجع اليه الظاعنين ، فاخلد الى الهدوء والسكينة مع ما يكابد من الحزن
الشديد والاسى العظيم ، فكيف لا يحزن وقد فقد خير من يمتاز بها في
هذا الوجود ، وبم يتأمل ؟ أبالانس الذي جفاه ، أم بالملذات التي عزف
عنها ، ام بالحفلات التي عافها ؟

لقد عرضت له فكرة الرحيل ، فتباورت في عقله وبدأت تراوده
وتحمله الى التنفيذ لتخرج الى حيز العمل ، وتخلص من الحجز والتقييد .
وما ان جن الليل حتى حزم امتهته واخذ من البيت ما امكن حمله مما يفيده
ويحتاجه وخرج منه وهو يودعه بالدموع الحارة التي الهبت خديه وهيبت
نار الالم في قلبه وسار دون ان يلتفت او يترث الى ان اعتلى الربوة المقابلة
للقرية ، فوقف وقفة حزين بألس يودع القرية الوداع الاخير بآخر ما في
عينه من دموع . ثم استأنف سيره وظل البؤس يلزمه ويماشيه حتى
شابت ناصية الليل ، لكنه لم يفر او يتعب رغم احتضار شبح الليل على
مرأى منه ، فترك جثته تفسخها أشعة الشمس المطلة على الكون وسار
دون ان يقف امام ذلك الميت وقفة الخشوع ، او يوجه اليه كلمة شكر

من جراء حسن صليعه حينما لقه باردتيه السوداء ، وتسلسل من قريته هارباً
تنفيذاً لرغبة ملحة دون ان يراه احد او يشعر به انسان ، بل واصل سيره
واستمر في طريقه يذلل الصعاب بالموارض والعوائق ويهزأ بالتعب والكلال
ظل كذلك حتى توسطت الشمس كبد السماء فوضع عصا ترحاله الى حين
تحت شجرة توت وارفة الظل . ولما رأى نفسه بحاجة الى الطعام بدأ يأكل
من خبزه الاسود الذي تزود به ثم شرب من عين قريية كان مأواها البارد
الصافي يستهوي حتى من لا يشكو الظماً والصدى . ولم يلبث ان اختلى
بنفسه واقترد بافكاره وبدأ يستعرض صفحات حياته من سجل ذاكرته
حتى انى على نهايتها .

وهنا بدأ النعاس يداعب اجفانه ورغبته للنوم نعتت باوصاله وعيديه
حتى انتقاد رغم اقبه الى سلطان الكرى فسجله في سجل رعاياه وحاول
اغراؤه لاطالة مدة بقاءه في اسره بما عرض له من الصور الخيالية (الاحلام)
لكنها كانت السبب في تمرد واعلان عصيانه على سلطان النوم فهب
مدعوراً مضطرباً وبين فكيه بعض أحرف متناثرة تمكن لسانه بايمار من
عقله جمعها في كلمة لطقها بصورة متفككة عمل على اعادتها لتبيان حقيقتها
واظهارها بمقاطعها وتام حروفها لـ . . . لك (لييك) فما ان صحا وهدأ
اضطرابه حتى بدأ يستعرض ما رآه في نومه فتذكر انه رأى نفسه بين يدي
رجل تعلمو مهابة الرجال الكاملة بقوام حسن وطول معتدل ووجه منير
ينبعث منه نور لا تقوى الابصار على مقابله او التحديق به ، وهو يسأله
ويقول :-

ما اسمك ؟

مارونا

- اني قد دعوتك بهذا الاسم ولا ازال ادعوك به واسكني لم اسمع
اجابة تسكون صدق لدعوتي اياك فهل تصامت ام تجاهلت ؟

- لم اتجاهل ولم انصام واني على علم من انني لم اسمع احداً دعاني .
- فان كنت تصدق فيما تدعى وتقول فما بالك هجرت قريتك وتوجهت
الى جهة غير معلومة ؟ ومن اوحى لك بهذا ومن استخفك للهجرة ؟

- لم اجد في قريتي ما اتعمل به او اتسلى لتبيان الذوق واختلاف الميول
بيني وبين اهل القرية الذين عملوا كل ما يمكن عمله لمشاركتهم في عيشتهم
ومشاطرتهم في ملاذهم ، لسكني كنت اشعر بالضيق والملل بينهم رغم حبهم
لي وتقائهم في سبيلي .

- اني اكرر عليك دعوتي بان تذهب الى احد الأديرة المجاورة
وتنصرف بكليتك الى فهم الدين وتعاليمه لتسكون ممن يتبتون بفيانه ويقون
دعائمه واركانه .

- وما ادراك اني سأكون كذلك يا سيدي .

- لتوسمي فيك النبل والطهارة وتوقعي منك الجهاد والنضال في سبيل
الدين الذي تعلقت به منذ صغرك دون ان تستميلك ملاذ الحياة وزخارفها .
- لم تكن من سكان قريتنا او القرى المجاورة لنا حتى تعرف عني ما
لا يعرف غيرك من المعلومات التي اصابك صنيم الواقع واستهدفت جوهر
الحقيقة .

- أنا يسوع آمرُك بالتبتل الى الله والانصراف الى الدين فيها . . .
قال ذلك بصوت مرتفع استيقظ ماروثا على اثره وهو على تلك الحالة
قام من لحظته وسار لأن الايمان يحدوه والرؤى تسوقه ، وقبل ان يشيع
شعاع الشمس المحتضر رأى على البعد برجاً عالياً تحته بناء نفخ ، ولما حث

السير اليه تقرب منه فتمكن من ان يرى ديراً من الاديرة يتزلم على قمة
تل مرتفع وحينما وصله طرق باب ففتح له ودخل ثم سار اثر من فتحة فادخله
غرفة معدة للضيوف ثم احضر له الطعام بعد ان استقبله بالتحية العطرة التي
يستشف منها الود والاخاء الصادر من روح صافية الجوهر والماهية .

لم يكذب يفتحي ماروثا من الطعام حتى دخل عليه راهب الدير فسلم
عليه فما كان من ماروثا الا ان استوى وافقاً فرد عليه تحية . وتبرك بلم
يده وبعد ان جلس الراهب وماروثا بدأ الراهب يسأل الشاب اسئلة تتعلق
بسفره ودواعيه واسبابه وماروثا يجيبه عنها حتى قدر ان يفهم تأريخ حياة
الشاب بصورة مفصلة فمش له الاب وبش وفرح به واستبشر بعد ان رنى
لحاله وعزاه بمصيبته وقال :-

لئن فقدت رحمة الابوين وعطفهما فقد كسبت عطف الاب والابن
ولئن ضيعت عائلة قوامها ثلاثة اشخاص باضافتك اليهم فقد حظيت بعائلة
ديرنا المتكونة من ثلاثين شخصاً قد نجد عندهم حب الابوين وحنانها
وشفقة الابناء وعطفهم وانسجام الاخوة وطاعتهم فطب نفسك وقر عينك
فاقك لا تجد في دير (نروس) الا ما يسرك ويرضيك وان تافت نفسك الى
اكثر من هذا بما ليس في حوزتنا أو تحت تصرفنا فاننا سنكون لك من
المساعدين المؤازرين ولو نجشمن المصاعب وتحملنا الاضرار .

شعر ماروثا بأنامل الامل تداعب قلبه المزين فتوقظ فيه روح المرح
والاعتباط تهز كيانه وتبسط اسارير وجهه وقسماته ، ثم يجيب الراهب
ويقول :-

لا شك اني قد لمست قوة ايمانك وثبات عقيدتك في دين المساواة
والاخاء فيما ابدته نحوي من احسان وقدمت لي من معروف بعد ان

غمرتني بمطفءك واغرقني بفيض لطفك فأحييت في قلبي ميت الآمال
 ووجهتي باتجاه مما كس لما كنت قد ازمعت عليه وان لسان الشكر مني
 ليعجز عن التعبير بالفاظ الثناء التي قد تكون قليلة في حقك غير كافية لكرم
 اخلاقك فقد نورت تجاوب قلبي الغاصة بظلام اليأس والحزن والقنوط
 وستجدني خير ولد بار واحسن خادم مطيع لك وللانسانية جمعاء تلبية
 لداعي الدين الذي يهدف الى اصلاح تلك السكتل البشرية التي شذت
 بتصرفاتها بمخالفتها لقوانين الحياة فتاهت في وادي الجهل وضلت في
 صحاري الجشع والانانية فاقطع العقد وتفرق الشمل و... .

فقاطعه الراهب وقال :- لا داعي للشكر والثناء يا بني فانك قد اصبحت
 منا لك ما لنا وعليك ما علينا والآن ارجو ان تأخذ قسطك من الراحة
 فتنام لأنك متعب من السير وعناء الطريق ثم حياه الراهب وانصرف
 فاستسلم ماروثا الى نوم عميق لم يستيقظ منه الا على رنين ناقوس الدير
 يدعو الى الصلاة فهب من فراشه مذعوراً لتأخره في النوم الى مثل هذا
 الوقت وتوجه الى محل التراتيل يقوده احد الخدم واشترك مع الراهب
 ثم تعرف بجميع من آواهم ذلك الدير .

- ٢ -

لم تمض الا عدة ايام حتى كان ماروثا يتفوق على زملائه في الاعمال
 الزراعية التي اشتغل بها على حساب دير (نروس) بما له من استعداد
 سابق بنفس العمل . وامتاز بسرعة فهمه وتوقد ذهنه حتى لمع نجمه ،
 وسطم نوره في افق الدير المذكور فكان احسن من يتقن تعاليم (يسوع)
 تلك التعاليم التي تلقاها من الراهب المذكور . فازداد في نظر الراهب

أكباراً واجلالاً بعد ان احتل من قلبه عملاً ممتازاً ، فاجبه وقربه ،
 واتخذها صاحباً وتلميذاً ومشيراً ونائباً عنه في غيابه . حتى الهبت هذه
 الاوضاع نار الغيرة والحسد في قلوب رجال الدير ، فاصبحوا غير صرّاحين
 لوجوده في ديرهم وبين ظهرانهم .

احسن ماروثا بما يحتاج قلوب القوم من الحقد والكراهية حينما عرضوا
 عنه ، وبدأوا يتصدون لاقواله وآرائه بالكذب والتسخير والخط من
 اهميتها وعظمتها فلفقوا الكاذب واسندوها اليه واختلقوا العيوب
 والمشيئات ولصقوها به . غابتهم الخط من كرامته او نحو آثار اعماله
 الناصعة بعد ان يجروا عليها ذبول الخزي والعار . وقد اوصلوا ما اختلقوه
 او لفقوه الى مسامع الراهب فلم يزد الراهب المذكور الا تعلقاً به وحباً له
 واعراضاً عنهم وابتماداً منهم لانه كان يرى الشاب بعكس ما يسمع منهم .
 استمر ماروثا دائماً على تأدية اعماله باثقان وتأن مكباً على مطالعة
 الكتب الفلسفية واللاهوتية مواظباً على تلقي التعاليم الدينية من الراهب
 غير ملتفت لما يحاك له من الشراك وينصب في طريقه من المصائد والانفاق
 وما تدبر ضده من المكائد للايقاع به والتخلص منه . لانه حجب نور
 شهرتهم وقضى بذكائه وحسن سيرته على آمالهم واحلامهم .

لم يقابل اعراضهم باعراض او عداوتهم وحسدم بمداوة وحسد بل
 بالتحيمات التي تعبر عن صفاء الود وعظم الاخلاص وشدة المحبة . فتزداد
 مراحل الحقد والكراهية التي في قلوبهم غلياناً . في مثل هذا الجو المشبع
 بروح الانانية والحسد تمكن ماروثا من ان يقضي ثلاث سنوات تلقى من
 الراهب خلالها احسن الدروس الدينية وتلقى من الحياة والمجتمع جميع
 الدروس ، الصبر والاناة وعدم الاكتراث مع التسامح التام لانه استطاع

بحقيقة الحياة السافرة . لذلك قدر على تكيف نفسه بالنسبة لمطالب
الحياة وغاياتها ، دون ضجر او ملل بل برضى واطمئنان وعدم اهتمام او
الانكفات الى ما يدور حوله او يحاك ضده .

لكن الزمان الذي سايره وماشاه الى حين لم يلبث ان قلب له ظهر
الحزن فتتمر له وتمرد عليه ففجعه بوفاة الراهب على اثر سقوطه من الجبل
حين ذات قدمه فتداعى وانهار ما تحته وهو لا يملك من وعيه غير لفظ
انفاسه الاخيرة بعد لحظة قصيرة من سقوطه ولم يتناول الموت على الراهب
الا لاجل ان يفقد (ماروثا) العطف الابوي والحب الاخوي والاخلاص
التمام . فترك الدير وبهم على وجهه وهو لا يلوي على شيء . وقد تحققت
امنية الزمان الفادر فهاجر ماروثا بعد اتمام مراسيم دفن جثة الراهب وترك
الدير ولم يتزود منه الا بمثل ما تزود من بيته الذي هجره بالامس . خرج
في ليلة حالكة الظلام مدلهمة ثم بكى ما شاء له ان يبكي . بكى الراهب
الذي لمس عنده عطف ابويه فتجدد حزنه عليهما وبكى سوء طالعهما ، فسار
على غير هدى تواركه الافكار والاخيلة وتماشيه الاحزان فتتفجر الدموع
من عينه كأنها الينابيع ، فلم يهتم بوعثاء الطريق وعراقيله التي كانت تتعاقب
مع الدهر في ابدائه واتعابه . واصل السير حتى انهمزت جحافل الليل امام
قرسان النهار فاهتدى الى الطريق المطروق فاطمأن قلبه وهدأت ثائرة
وحف حزنه فازدادت رغبته للسير السريع دون ان يعين له هدفاً أو غاية
بقي كذلك حتى قاربت الشمس ان تتوسط قبة الفلك فبدت خطواته تقصر
وسرعته تنقر شيئاً فشيئاً حتى شعر بثقل في قدميه لا يطاوعه على السير
فاتجه الى سفح الجبل الذي كان جائاً بقربه ولما وصله تداعى بجسمه ورمى
بنفسه بدون ارادة في ذلك الظل الظليل فقد نال منه التعب والضنى ما

جعلاه يفقد السيطرة على زمام نفسه فاصطدم في الارض اصطداماً قوياً
 لسكنه غير مكثرت لما اصابه من الاذى وقد واصل سيره بعد فترة استراحة
 قصيرة تمكن بواسطتها من اعادة قواه فاكل ما تبصر له من المتاع الذي
 كان بصحبته وسار في تلك الخيفة والجبال العالية الشامخ فتحمل من التعب
 والمشقة ما لا طاقة له به لكنه ذاك الصابر المحتسب . ظل كذلك يواصل
 في سيره الليل والنهار تتقاذفه الافئدة وتعبت به المواجه والتصورات ،
 فكلم ضل وكم اهتدى وكمرج على قرية فيجد من اهلها الحفاوة والترحيب
 والضيافة الحسنة التي تنسيه همومه واحزانه فيجد نشاطه وبضائع قوته
 بعد ان ينفض عنه غبار التعب والكلال ، وكثير ما كان يقوده سواه
 الطالع الى بعض القرى فلا يلقى من اهلها الا المهانة والاستهزاء ولا يستطيع
 الحصول منهم على قدح ماء الا بعد ان يبذل من ماء وجهه اقداحاً ،
 فيغادرهم دون ان يأخذ قسطه من الراحة بينهم او بالقرب منهم . ولم يكن
 سفره هذه المرة دون غاية او من غير قصد ، كما سافر بالامس حينما هجر
 قريته ، وانما كان من اجل العلم والفلسفة والدين ذلك العلم الذي كان يأمل
 ان يجده في احد الاديرة او الكنائس ، ولم يحظ بما اراد الا بعد ان
 انهكه السرى وانعبته الطرق واسقمه السهر ، فقد ذاق من العذاب والشقاء
 ألواناً متعددة وصنوفاً متباينة ظلت تراوده وتضايقه مدة عشرين يوماً
 وبعد هذه المدة ترامت له الابنية الضخمة والابرار العالية ، ولما ايقن انها
 غايته تجدد نشاطه فحث السير حتى وصل .

وقف ماروثا على باب الدير ينتظر فتحه بعد ان طرقة عدة مرات

وهو يراوح قدميه في وقفته بعد ان قال منه الاعياء ما افقده القوة والنشاط ولا سيما في سيره الاخير اثر رؤيته بناء الدير قد بصره في بلاهة واسترخاه كما اطلق لتفكيره العنان ليجهول في اللانهاية : وخجأة انفتح الباب واذا برجل يقول له ادخل ايها الضيف الكريم . ولما وضع ماروثا رجله على عتبة الباب قال :-

ما اسم ديركم ايها الاخ ؟

- لملك لم تكن من هذه الديار او من الاقاليم المجاورة ؟

- أجل يا أخي .

- ولهذا لم تعرف اسم الدير مع انه مشهور تقرب وتعرف المحلات

المجاورة باسمه . فدير « مارزكي » منبع التعاليم الدينية ومقر الرهبان والرهبان وموطن الفلسفة اليونانية الممزوجة بالديانة المسيحية .

- عفوك يا أخي لما بدر مني لانني لم اكن من مجاوركم أو القريين

منكم ، فلم أصل ديركم هذا الا بعد ان تعرضت لمشاق السفر عشرين يوما ليلايلها تتخللها فترات راحة واستجمام قصيرة .

- اذن انك بحاجة الى الراحة والطعام .

وما هي الإفترة وجيزة غاب الرجل خلالها ثم عاد يحمل طبقاً من الطعام

وقدحا فيه شراب وضعهما بين يدي ماروثا فأكل وشرب حتى اكتفى ،

ثم شعر بارتخاء في مفاصله وفتور في عضلاته لأن الوهن والنصب قد قضيا

على ما تبقى عنده من قوة ومقاومة فدب النعاس الى أعفائه يداعبها فما

لبث أن استسلم لقوة النوم الخفية التي غزته من الباب الصري فأمرته

وقادته دون مقاومة أو تمنع ونفور .

ولما اوشكت الشمس أن تتوسط السماء استيقظ ماروثا فوجد رجل

الامس يحمل له طعام الافطار فقال له بعد أن رد عليه تحية .
يؤسفني أن تطلع الشمس وأنا لا أزال أغط في نومي لأنني لم أعتد
نومة الضحى أبداً ، كما يؤسفني أيضاً أن يكون تعبك ومجهودك من
أجلي .

- لا بأس من ذلك ولا تثرب عليك فانا مهمتي السهر من أجل راحة
ضيوفنا وكل انسان يطرق محلنا .

- أظنك لم تصادف أكسل مني خلال اداء معروفك لضيوفك .

- لم يكن استغراقك في نومك وتأخرك في رقدتك دليلاً على كسلك ،
ولسكن لهوائنا المنعش الطلق وخصوصاً في ليالي الصيف سحر عظيم ،
يستبد بالمرء فيسليه الى نوم عميق بالرغم منه ومن ممانعته لجاذبية النوم .
أما أنت فلك الحق الكبير في تأخرك في نومك الى مثل هذا الوقت لأن
رقة الهواء وعذوبته مع تعبك وعنائك جعلتك تغط في نوم عميق .

أخذ ماروثا ابريق الماء وبدأ يغسل وجهه ويديه ليترد شبح النوم
الذي ما اتفك يراوده ثم انكب على طعامه فأكل منه كفايته ثم غسل
يديه وجلس برهة أمام زجاجة معلقة على الحائط تعوض عن المرأة وهو
يوجل شعره ويصاح من هندامه وزيه بعد ان نقض غبار الطريق منها وبعد
هنيهة عاد الى الرجل نفسه وقال : -

الريان^(١) (نادورو) يستدعيك ويطلب مواجعتك في غرفته .

قال ماروثا السمع والطاعة . فنهض من لحظته وسار خلف الرجل حتى
دخل غرفة الريان بعد أن استأذن في الدخول ، فوقف أمام رجل اسمر
اللون صغير العينين بادي عظام الوجنتين قد وخط الشيب شعره فبدل لونه

حتى استحال سواده الى لون رمادي . فتقدم الرجل منه وقال : - هذا هو ضيفنا يا أبي فقال الريان أهلاً وسهلاً ومرحباً .

فتشجع ماروئا وتقدم الى الريان ولثم يده ثم ارتد الى الوراء فأصره الريان بالجلوس أمامه وبدأ يداعبه بيمض النكات حتى تشجع وشعر انه غير غريب من هذا الدير وأهله ، فاستدرجه الريان بالكلام وقال :

يوسفني لعدم معرفتي اسمك ووطنك والمحل الذي قصدتنا منه يا بني .

- اسمي ماروئا ومنسقط رأسي قرية (شورزق) من قرى (بانوهديرا)

من اعمال الموصل وأتيت من دير (نردس) ، بعد ان قضيت فيه ثلاث سنوات .

- حقاً لك قد أرحمنا بجوبتك هذه فأزالت الشك الذي كان

يخامرنا من عدم معرفتك وعدم اطلاعنا على هويتك ، اما جئناك وعنصرنا فنعرف عندنا من سحنة وجهك وتقاطيعه بأنك من عمومنا السريان . ثم سكت برهة استأنف الكلام بعدها قائلاً :-

أظن ان راهب دير نردس هو (يعقوب) ؟

- أجل يا مولاي

- وكيف حاله عندما هجرت الدير ؟

- لم اتجشم مشاق السفر وألاني اخطار الطريق واتذوق مرارة الفراق والأب يعقوب من الأحياء ولكنني هجرت الدير بعد أن سجله القدر في سجل الاموات على أثر سقوطه من قمة الجبل المجاور ، وبموته فقدت كل شيء في تلك الديار ، لأنه استاذ عظيم . نورني بعلمه وهداني بمقله . وأب كريم لمست العطف والحنان منه فغممني بحبه ورعاني بعنايته عند فقد الأبوين وانقطاع ذات البين .

كان يتكلم بصوت متهدج تنبعث منه رنات الحزن والأسى ثم سكنت
بعد حسرة طويلة فاستأنف الكلام وقال : - تركت الدير يا سيدي لأنني لم
أجد بعده ما أعمل به أو أتسلى لأن محبته اياي وحده علي قد الهبت نار
الغيرة والحسد في قلوب رجال الدير فتسمروا علي وكرهوا صحبتي وبقائي
طعماً بالافضلية وأولاً بنوال الاسبقية .

فقاطعه الربان (ناودر) قائلاً : -

رحم الله انه كان عبداً صالحاً وصديقاً مخلصاً عرفت الاخلاص والمحبة
الحقة مع الصداقة الصادقة فيه حين عرفته وصادقته في عهد التلمذة في
كنيسة الرها . فلزمته لاخلاصه ووثقت به لدماثة اخلاقه وتضحيته .
بقيت معه على أحسن ما يكون من الود والوفاء الى أن تفرقنا بحكم الواجب
الذي كرمنا حياتنا لأجله وواصلنا سعينا له . فانتدبته الكنيسة راهباً في
تلك الربوع لانه منها . كما انتدبتي رباناً لهذا الدير .

ولما كنت نلميذه فاني استجلي فيك صورة افكاره وآرائه ان لم أرى فيك
أخلاقه وفضائله . لذلك فإن قلبي قد هفا اليك وتغسي نافت الى ان تشاطرنا
عيشنا وتصبح أحد افراد ديرنا لنشترك وياك في السراء والضراء فنحقق
امنية واحدة مشتركة ونصل الى غاية واحدة نهدف اليها وهي انارة مسالك
قافلة الحياة بنور مشعل الدين المسيحي ، فنصل الى الهدف السامي الذي
يكفل لنا السعادة الحقة تحت راية العدالة والاخاء والمساواة عند نزاع ما في
قلوب الناس من غل .

فأرجو ان تركز الى الهدوء والسكينة وتخلد الى الراحة التامة فتلقى
بعضاً ترحالك في ديرنا هذا لترى كل شيء يصرك ويرضيك فان كنت تشهد
الراحة فهذا موضعها أو تطلب العلم والفلسفة وتعاليم الدين الحقة فهذا

معينها ومن هنا بزغت شمسها فأنارت بلاد الشرق بعد ان تركت اليونان
وبلاد الشام ومصر ينعمون بالحياة تحت نورها الساطع وضياؤها اللامع .

فأجابه ماروثا قائلاً : -

لك الشكر الجزيل يا أبانا . فاني قد سمعت منكم ما هو كفيـل بضمان
راحتي وتحقيق لنوال غايتي وبغيتي فيها أنا قد القيت بمصا ترحالي في دبركم
بعد أن تحسست عطف وتلطف ربانه وحاشيته قبل أن يطلع على أعمالي
وميزاتي وهذا شأن المؤمنين الصالحين وهو شعورهم تجاه بعضهم البعض
مهما نأت الدار وشط المزار .

ما كاد ماروثا يفتحي الى هذه العبارة حتى تقاطر رجال الدير على اختلاف
أصنافهم وتباين منازلهم الى غرفة الربان (ثاودور) ليأخذ كل واحد منهم
منهجه اليومي ، فأقضوا من حوله بعد أن أخذ كل منهم منهج يومه من
العمل أو الدرس ثم التفت (ماروثا) الى الربان وقال : -

اعطيت كل رجال الدير مناهجهم اليومية وكلماتهم جميعاً بالتطبيق التام
لاخراج أو انتاج العمل الصالح بصورته السكاملة ثم تركتني رهين الانتظار
بعد ان سلمتني الى عفريت البطالة الذي يقود المرء بالرغم منه الى ما فيه
التخريب والتدمير فلا جرام . فان كنت من المقربين اليك رغم قصر مدة
تعارفنا فأرجوا أن لا تديقني مـرارة الانتظار أو تتركني مستسلماً لعفريت
البطالة فتجني علي وعلى المجتمع الذي سيخسرني ويسخر مني حينما اوجه
اليه سهام الشر ونار الضرر . فهذا العفريت المتمرد سيخلق مني انساناً
متمرداً متمراً على البشر مطيعاً مخلصاً له فرد عليه الربان :-

لا تظني قد اهلكتك او تركتك دون عمل او واجب فالعمل سيأتيك
والواجب يوافيك متى ما اخذت قسطك من الراحة التي انت بامس الحاجة

البها . لأنك الآن من ضيوفنا الكرام الذين حققت علينا تأدية حقوقهم كاملة غير منقوصة . ومتى ما استعدت قوتك ونشاطك ونفضت عن جسمك غبار التعب والانهك فأنك ستجد عملك المناسب بانتظارك . أما الدراسة فيمكن قربه العين هاديء الفكر مطمئن الخاطر طيب النفس من جهتها ، لأنني سأكون عند حسن ظنك وسأتولى القيام بها كما تحب لأجعل منك صورة ثانية مني كما أنت الآن صورة من الراهب « يعقوب » الذي صمقك بتعاليمه ونورك بأفكاره . وبعد مرور ثلاثة أيام على إقامة مارونا في دير « مارزكي » قرب الرقة انخرط في سلك العمل واختار « الفلاحة » مهنة له لهوايته الخاصة بها ورغبته الملحة لما له من استعداد سابق واشتغال كثير .

كان اشتغاله قليلاً لتوفر الأيدي العاملة المتآزرة هناك . الأمر الذي جعله يخصص أكثر أوقاته للدراسة على يد الرهبان تاودر بالإضافة الى المطالعة الخارجية مع الانفراد بنفسه للخلو بأفكاره يستعرض ما علق بذهنه من الدروس الفلسفية والعلوم الالهية والتعاليم الدينية التي تلقاها من الرهبان أو طالعها .

وحينما يخرج من عزلته ويتصل بأخوانه من قساوسة الدير وتلاميذه ، ينتظم معهم في حلقة واسعة للحوار والنقاش وتبادل الرأي في مختلف المواضيع كاللاهيات والفلسفيات وتعاليم الدين الى غير ذلك فكان يبدى من البراعة وطلاقة اللسان وسداد الرأي لما يستمده من العقل الراجح الذي اختمرت فيه العلوم المكتسبة ، ما يجعله فارس الميدان والمسيطر على الحلقة .

وكثيراً ما يحضر الرهبان (تاودور) ذلك الحوار والنقاش بطريق

الصدقة فيشاهد من براهه ماروثا في الرد والاقناع ما يعجبه ويرضيه .
 وذلك لعظم حجته وبلاغة قوله وقوة بيانه فيزداد حبه له وتعلقه به وتعظم
 منزلته عنده . الامر الذي جعل الربان يمتصر له بقية علومه وثمالة معرفته
 يودعها في عقله فيرتشف ماروثا تلك العلوم ارتشاف الصادي للماء الزلال . ولم
 يكد ماروثا يتم السنة الرابعة بدير (مارزكي) حتى اتقن اللغة اليونانية
 التي تغفل بواسطتها في صميم الفلسفة اليونانية فعرّفها واتقنها بعد ان حل
 عقدها واكتشف مجاهلها وذلل مصاعبها ، فوصل الى اقصى ما يمكن ان
 يصله المرء في ذلك الزمان في العلوم الالهية (وليدة امتزاج المسيحية
 بالفلسفة اليونانية) .

لم يكد ينتهي الى ما انتهى اليه من علوم وفلسفة وتضلع في الدين في
 ذلك الدير بواسطة الربان ثاودور حتى عرج الى الرقة ققطع الى كنائسها
 وادبرتها باحثاً عن العلم منقباً في زوايا تلك الكنائس عن المعرفة ولما لم
 يعثر على شيء جديد قفل راجعاً الى ديره المذكور يساعد استاذة في
 التدريس فاسند ثاودور مقاليد اموره وامور الدير كلها الى ماروثا يوجهها
 كيف شاء ويصرفها انى اراد .

نهج في سيرته نهجاً محبباً الى النفوس بحسن معاملته إذ بذل من
 الجهود الجبارة ما عجز عنها غيره وذلك لان قلبه منار بنور الفضيلة التي
 استمدت زيتها من ينبوع العلم المتدفق الذي طغى سيله على ادران الحقد
 والافانية والحسد فازالها فآزداد لسانه طلاوة ومرونة ونشطت روح
 الامتزاج والاختلاط في عقله مسح تلافي الاغلاط والعقود عن الهفوات
 والاختطأ ، وقد احبه الناس وقصدوه من كل فيج وصوب عند ما لمع
 نجمه وسطع ضوءه في جميع العالم المسيحي . حجوا اليه لاتزود من علمه ،

والاستنارة بنور معرفته التي استمد أكثرها من استاذ «ثاودور» ذلك
الاستاذ الذي وثق به وقربه منه لما وجد فيه من الكفاية والمقدرة
المنقطعة النظير وما عنده من العقل الراجح والاخلاق الدمثة والعلم
الغزير .

لكن ماروثا لم يحفل بالجاه العريض الذي اكتسبه ولا بالشهرة التي
ملأت الاجواء لانه لم يكن ممن يحسب لزيف الحياة الحساب الكبير ،
فينخدع بمظاهرها المغرية ونقوشها المزخرفة البراقة فيرضى بما بسط الله له
من سلطان وصيت ومال وبركن الى الهدوء والسكينة شأنه بذلك شأن
الصالحين . أو يتشبث بوسائل الظلم والجور والطغيان تلبية لنوازع النفس
الامارة بالسوء ، أو تدعيماً لملكه من الانبياء وما له من النفاد وجاهه
وصيته من الزوال . هذا اذا كان من ذوي النفوس الامارة بالسوء .
لكنه زاع عن هذا وانحرف عن ذاك فسكرس جهوده ووقف حياته
للدين ونشره ، فلام له في الحياة غير نشر الدين والعلم ولو كلفه ذلك
حياته ، وسرعان ما لبى طلب كبار رجال كنيسة الرها الذين ألحوا بكتبهم
بالشخص اليهم بالسرعة الممكنة .

أمرع ماروثا في سيره بعد ان ودع استاذه وجميع اخوانه الذين
يعز عليه فراقهم تسوقه الرغبة وتحذره به الحاجة الملحة للاطلاع على ما في
الكنائس من كنوز العلم والمعرفة . لكن هذه السفرة تختلف عما ألفه
من السفرات السابقة تلك السفرات التي قامى اثناها مختلف انواع المتاعب
والآلام وشتى صنوف المصاعب والمهالك . وقد ظن ان هذه السفرة
ستعرضه للمتاعب والاحطار فهياً نفسه لحجبتها ومقابلتها وجهاً لوجه
لكنه لم يجد ما توقعه وظنه لان البرذون الذي هبأ له الربان (ثاودور)

قد وفر عليه التعب السير وثقل الماء والمتاع ولذلك الرفيق الذي رافقه
في سفرته بإيعاز من الربان قد ازال عنه الوحشة وقطع جبل السكوت
ومنمه من الاختلاء الى نفسه ، فقد كان وياه في نقاش مستمر وكلام دائم
وابحاث كثيرة تدور كلها حول الدين والاراضي والطرق التي يرون بها
وبسلكونها ، لذلك فانها لم يشعر بالطريق الذي قطعاه والمدة التي قضياها
في طريقهما . وحينما تراءت لهما ابراج كنائس الرها العالية السماء التفت اليه
صديقه وقال :-

انظر الى ابراج كنائس الرها وقصورها التي كلفنا السير الوصول اليها
سبعة أيام .

فاجابه ماروتا : أجل أنها هي

- حقاً أنه سفر صريح لم نشعر معه بتعب الطريق أو مشقة السير .

- لأننا قضيناه بالحديث والنقاش ، فالسأم والضجر والتعب والافئ
تواني الشخص من جراء سيره في الطريق بمفرده ، فيضطر الى التعلل
بالاستماع الى وقع اقدامه وتعداد خطواته أو الركون الى هواجس نفسه
وأخيلتها .

وبعد ان تذاكراً قليلاً وساروا مدة ساعتين انحرف رفيق ماروتا عن
الطريق الموصل الى المدينة واتجه الى دير مرتفع قائم على جبل يطل على
المدينة من جهتها الشمالية الشرقية فقال له ماروتا :-

الى أين يا أخي ؟

- الى كنيسة الرها الكبرى الى مقر الذين طلبوك وأحبوك من
رجال المسيحية الكبار ، الى حيث يقيم الربان (توما الصغير) ذلك
الامتاذ الكبير والحارس الامين للمندبل الذي نشف به يسوع من ماء

التعميد ، الذي زاد في قدسية الكنيسة وعظم منزلتها . ثم سكت والتفت
فوجد انها قد اقتربا من الكنيسة المذكورة فالح على برذونه بالاسراع .
ولما سأله ماروثا عن سبب سرعته قال :-

لا سبقك الى القوم واعلمهم بقدمك حتى يستقبلوك .

- لا داعي للاستقبال يا أخي ولا معنى لهذا الاسراع فتهمل ودعنا
ندخل عليهم دخول الفقراء ، لا دخول من غرته السلطة وخدعه الجاه
فيصبو الى المظاهر الخلابة الفارغة وينبذ الجوهر والماهية . لكن صاحبه
قد غاب عنه دون ان يلتفت الى قوله أو يعيره اذناً صاغية .

— ٤ —

لم يكد يصل ماروثا حتى أصبح بين جمع غفير من رجال الكنيسة الذين
خرجوا لاستقباله يرد عليهم التحيات مقرونة بالمصافحة والاشارة وحينما
دخل الكنيسة ارشده الى محل توما الضمير الذي منعه الشيخوخة
والسن المتقدمة من استقباله رغم تلهفه الى مواجهته وتمطشه لرؤيته .
ولما دخل ماروثا حجرة الربان المنحوتة من الصخر استقبله شيخ طويل
حاصر الرأس أبيض الشعر غريض اللحية وهو يتعامل على نفسه بوقفته
هذه وجسمه يرتعش لان السكر انهك قوته وهذ حيله وتركه بلذاته بعد
ان اعتصرت السنون الكثيرة شبابه وقوته .

تقدم ماروثا من الشيخ فلم يده ثم ربت على كتفه اشارة في طلب
الجلوس فقد عجز عن الوقوف . فجلس وجلس ماروثا بقربه والربان يجدد
تحيته وماروثا يردها بلطف وحياء ثم قال الربان :-

أظنك لم تتعرض الى الاخطار والمهالك في طريقك الينا .

- نعم يا سيدي الربان ، لأن مشيئة الله حالت دون جميع المصاعب والمهالك والاضطراب التي كانت تهددني في طريقي فقد كنت وصباحي تعمل بلذة لقاءكم لأرتشف رحيق الحكمة والمعرفة من منبها الصافي وجدوها السليميل . وها أنا قد استرحت من جميع المتاعب فحسن لفاك يا مولاي قد قض عني غبار التعب والاعياء ، وجدد نشاطي فاعاد الي قوتي وجهودي بعد ان ايقظ ما عندي من القوة التي طمرت تحت ركام الظهور والوهن من جراء التعب والانهك .

- لم نستقبلك بالحفاوة التي انت أهل لها والتي تليق بشخصك ومقامك لأن مقدمك أتت به المصادفة وجاء وليد المفاجأة فارجو المَعذرة والصفح يا ولدي .

- الشعور بالاخلاص والمحبة التي لمستها منكم ، كافية لأن أبدي أو أظهر من الشكر والثناء ما يعجز اللسان عن ذكره والقلم عن تسطيره .
- لم نبذ من الاعمال التي تستحق الشكر والثناء ولذا فاني خجل من ذلك يا بني .

فبدل الربان حديثه وقال :- كيف تركت أهل الرقة يا ولدي ؟
- على أحسن حال يا سيدي . لأن الايمان الراسخ في قلوبهم جعلهم يتوافدون زرافاتاً ووحداً الى دير (مارزكي) للدراسة والتعليم ، فالاطلاع على الدين ومقوماته ليكونوا من خيرة المناصرين الصالحين .
- وكيف حال الربان (ثاودور) ؟

- بخير وعافية ، يتوق الى رؤيتك وهو دائماً في ذكرك لان أيام الدراسة تراوده في أكثر الاوقات وفي كل المناسبات ، للود الذي ربط بين قلبيكما والصدافة التي وجدت بينكما .

فقال له الربان توما الضيرير وقال :-

حقاً انه من ذوي الاحلاق الحسنة والفضائل الجملة الممتازة فلولا
الواجب لما اخترت البعد عنه والنأي منه ولسكنت أزم اليه من ظله ،
واخلص له من نفسه ، الا ان مطالب الحياة ومقتضيات الواجب تدعو
المرء يرضى بحالة ويرضخ للواقع فيستسلم للحقيقة الراهنة مهما كان نوعها
أو اختلف وقعها وتأثيرها . ولكن يا ولدي تصرفات الدهر الشائنة قد
حالت دون رؤيته والاتصال به لأن الظلم والاستبداد قد افسدا على
الناس افكارهم وعقائدهم ، إذ لم يكتف (ابردين) باذلال الامراء وطامة
الناس بل جعل من السكنائس والاديرة ميادين لظلمه ومسارح لتمثيل
فصول عسفه وجبروته فتصدى الى العقائد فأهانها ووجهها التوجيه الذي
ترتبته نفسه ويوجيه اليه عقله حتى انه تصرف بكنيستنا هذه تصرفاً
لا يتفق وحرمة السكنائس أو قدسيته فتطاول علينا وعمل على اجبارنا
لاعتناق المذهب النسطوري ذلك المذهب الذي تبناه ورباه هو بنفسه
حسب مشيئته فسير اموره ونفذ مطالبه السياسية متدرعاً بالدين الذي
اتخذ واسطة لاث سيطرته أو آلة لنوال بغيته فوضع (أحيشا ^(١))
الاسقف النسطوري أسقفاً على كنيسة (الرها) ليساعده على مدة اقامته
في هذه الربوع باسم الدين الذي ادعى انه من حماه . ولكن أهل الرها
واساقفة كنيستنا لم يرق لهم هذا التطرف الشائن لذلك اعلنوا عصيانهم
وتمردهم على الملك الذي لم يحسن التصرف في الأمور ، فاقالوا الاسقف
الذكرور رغم مساندة قوة الملك له وانتخبوا الرئيس الجليل الاسقف

(١) ذخيرة الازهان ص ٢٩٣ .

(يوحنا) أسقفاً على الكنيسة قاستشاط الطاعني بعد ان ارعدوا زبد
فلولا ان تداركته المنية لصب جام غضبه علينا ولنالنا من شرر جقده
وغضبه ما لا طاقة لنا به ولكن الله كفانا شره لأنه يساعد عباده
الصالحين بعد ان يؤيدهم روح القدس .

هذه الظروف وتلك الاوضاع هي التي وقعت حائلة بيننا وبين تحقيق
أهدافنا فعملتها وشجبتها الى حين . ولذلك انقطعت الصلة وانتثرت حبات
عقد المودة والاخاء بعد تلك العوامل .

- لم نعرض لمثل ما تعرضتم اليه من المصائب والنكبات لان الجيوش
قد جنحت اليكم بعد أن صدها قوات الروم القوية المتمركزة في ديارنا .

- ان قوات كسرى لم تنجح إلينا كرهاً لنا أو خوفاً منكم ولكننا
أغراض شخصية ومصالح سياسية أراد ابرويز تحقيقها فكنا على طريقه
لذلك نالنا من شره بعض الشيء . سار ليتمتع من الروم الذين فاقوا
بشورتهم ضد صديقه الوفي القيصر (موريني)^(١) وعينوا قيصر آخر محله .

- وهل ستظل هذه البلاد ساحة لتطاحن أهل المقاصد والأغراض
فلا تبقي إلا التعاسة والشقاء والتعسف والاضطهاد من الطرفين ؟

- أجل يا بني فالواقع الملم الذي تتمتع به ديارنا يجعلها دائمة التعرض
الى كل شيء من شأنه أن يعود عليها بالويل والخراب . لا سيما من قبل
الفرس أعداء المذهب والجنس والروم أعداء القومية .

- أظن أننا سوف لا نرى مثل تلك النكبات التي سجلتها يد الظلم في
سجل حياتنا الديفية .

- لم ذلك يا بني ومن أدراك ؟

- لان الامبراطوريتين قد دب اليهما الضعف والوهن من جراء ظلم
قياسرتها واكسرتها وتعسفهم الذي أدى الى التمرد والانشقاق فتجدى
أفراد الشعوب هؤلاء المستبدين وأبعدوهم عن كراسي الحكم ونسكوا بهم
بعد أن قالوا كلنهم وكلة السيف هي العليا .

هذا ما جعلنى اتكهن بزوال ملكهم ومحو ظلمهما لأن الظلم لا يدوم
وان دام فعاقبته الدمار والخراب

- حقق الله نبوءتك وصدق تكهنك وظنك
صفيق الشيخ (توما الضرير) فدخل أحد الخدم فلما مثل بين يديه
قال له : -

ضيفنا بحاجة الى الراحة فهي له فراشاً وثيراً في محل بعيد عن اللغو
واللفظ

انحنى الخادم وقال : - لك السمع والطاعة يا سيدي كل شيء جاهز
حاضر وللضيف الخيار في البقاء أو السير معي الى مضجع الراحة .

فقال الربان بعد ان التفت الى (مارونا) : - اننا قد اتعبناك بالكلام
والاصغاء بالاضافة عما صادفته من تعب الطريق فأرجو ان تأخذ
كفايتك من الراحة والنوم . وباستطاعتك استئناف الحديث في أي وقت
تشاء لأنك ستمكث عندنا كي تغمرنا بفيض علمك وتهدينا بنور هديك
وسوف تجدنا على تمام الاستعداد لتلبية جميع طلباتك وتمثيل كل رغائبك
وأوامرك .

نهض (مارونا) متثاقلاً غير راغب في الراحة التي تقطع عليه سلسلة
الحديث المعسول المحبب الى نفسه فودع الربان بعد تقديم جزيل الشكر اليه .
وفي اليوم الثاني صدر أمر الربان (توما الضرير) بتعيين (مارونا)

استاذاً للعلوم الدينية والمبادئ الفلسفية في كنيسة الرها بصورة موقته .
وهكذا أصبح (ماروثا) استاذاً في الكنيسة وبالوقت نفسه تلميذاً عند
الريان . فتعلم الخط وتعلم ما كان مخفياً عليه من بعض المعلومات قاعدته
معلوماته الى البروز . وساعده نضوجه الى التفوق والامتيان على غيره من
معاصريه حتى طار صيته وتآلق نجمه وبعد مدى شهرته فلما الاجواء
البعيدة والقرية .

— ٥ —

عقد (بطريرك) انطاكيا في كنيسة اجتماعاً كبيراً يضم كل من في
الكنيسة من قسس ورهبان وشمامسة وأساقفة فترأس الاجتماع بنفسه
وافتح الجلسة بقوله : — ان الشهرة الواسعة التي يتمتع بها أحد رجال
كنيسة الرها المدعو (ماروثا) قد انتشرت في الآفاق حتى طرقت
مسامعنا نحن ففهمنا انه احرز من العلم والمعرفة ما لم يحزره غيره من أقرانه
زيادة مما امتاز به من عقل راجح وتفكير صحيح واخلاق فاضلة حتى
استحق اعجاب الربان توما الضرير فاستدعاه من الرقة الى الرها ليكون
استاذاً فيها بعد ان نال ثقة الربان ثاودور في كنيسة الرقة وعلى ضوء تلك
المعلومات التي طرفتنا عنت لي فكرة اسناد دير (مارمتي) اليه لما للدير من
أهمية عظيمة بحكم موقعه ، وما لماروثا من العلم الغزير والثقافة الواسعة
وان نحن عملنا على تنفيذ هذه الخطة واخراج الفكرة الى حيز الوجود
والعمل ، فنكون قد درأنا خطر تمرب مذهب النساطرة الى اديرة
اليعاقبة وكنائسها . فاذا تقولون وبماذا تشيرون ؟

فلم يكذبتم كلامه حتى صاح الجميع بصوت واحد : — فكرة حسنة
ورأي سديد نحن على تمام الاستعداد لموافقتك ومؤازرتك . ثم استدعى

البطريرك بقلم وورق ودواة فاحضرت له فكتب الكتاب وختمه بخاتمه
بعد ان غنونه باسم الربان توما الضرير واعطاه الى أحد رجال الكنيسة
وأمره بالاسراع في سيره الى كنيسة الرها ليسلم الكتاب الى صاحب
الاسم (توما الضرير)

أخذ الرجل الكتاب وسار به في نفس الوقت وبعد ان استمر في
سيره عدة أيام لاحت له ابراج كنائس الرها ، وقد تطلع أكثر رجال
الكنيسة الى ذلك الذي الهب صدر برذونه بالسوط يستحنه الى الاسراع
في ذلك الطريق المتعرج المؤدي الى كنيستهم من جهتها الغربية وقد
استغربوا من سرعته وزيه ووضعيته التي تسترعي الالتفات . ولم يك
يصل باب الكنيسة بعد أن صعد الجبل حتى صاح بأعلى صوته المبحوح
ماء نخف ثلاثة منهم كان سبقهم ماروثا الى الماء ، فلما شرب وارتوى
أسند ظهره الى أقرب جدار اليه بعد أن أخذ برذونه وأردع الاصطبل ،
وبعد برهة غير قصيرة تمكن خلالها ان يسترجع شوارداً فسكاره الثائفة
في ذاكرته وفضلات قوته المنهوكة ، نطق فقال : -

أريد مواجهة الربان توما الضرير لأنني احمل رسالة من بطريرك
انطاكيا . فاجابه ماروثا قائلاً ألك قدرة على السير ولو مسافة قصيرة .

- أجل يا أخي . قال ذلك ونهض وسار خلف ماروثا حتى دخل به
على توما الضرير وكان حينئذ مطرقاً برأسه الذي اثقلته الافكار ولكنه
حينما سمع وقع الاقدام رفع رأسه فبادره ماروثا بالتحية فردها الربان
ببشاشة ودعاه الى الجلوس وقبل ان يجلس قال : -

هذا رسول بطريرك انطاكيا يحمل رسالة اليك من عند سيده

- أهلاً وسهلاً ومرحباً كيف تركت البطريرك يا ولدي ؟

بـ بخير وعافية يا سيدي وقد كفني بالمثل بين يديك لا بلغك تحياته
 العطرة واسلمك رسالته قال ذلك واخرج الرسالة من طيات ثوبه وسلمها
 الى الربان . فتمسها فوجدها مختومة بخاتم البطريك ثم سلمها الى ماروثا
 وقال

اقرأها عليّ يا ماروثا ، فلما فض ختمها بدأ في قراءتها بنصها هذا

أخي الربان توما المحترم

لا شك ان الحوادث تتبدل وتتغير بتوالي الايام وتعاقبها فلولاب
 الزمان لا يبقى في دورانه حادثة من الحوادث على وضعها وبكامل
 جسامتها او نحوها وضاً لها بل انه يغيرها ويبدلها من حال الى حال فيكيّفها
 حسب جهود الناس وحظوظهم ، فمنهم من ينال من الشقاء ما لا طاقة له به
 ومنهم من يرفل بأحسن مافي العيش من رغد وسعادة ، فلا الشقاء يظل
 ملازماً لذلك ولا الرخاء والنعيم يبقى من نصيب هذا ، فالتبدل والتغير
 والانتقال تعمل اعمالها في هذا وذاك .

من كان يظن يا أخي ان سحابة الجور والظلم التي نشرها ابرويز علينا
 ستنتشم عن سمائنا ؟ او تزول من عالمنا لتري النور بأعيننا ، واسكن
 المرء يعتقد بأن الحوادث دائماً في تبدل وتحول ويجزم ان تبدد غيوم
 الظلم وزوال الاضطهاد من الامور المحتمة الوقوع وقد كان ذاك .

واليوم وقد تنفسنا الصعداء بعد زوال اضطهاد ابرويز بدأنا نعمل
 ونجد في عملنا بقوة الايمان وبروح المودة والأخاء على نشر تعاليم ديننا
 في مختلف الاقاليم والبلاد وقد تهيأ لنا من الاكفاء ما هو قادر على تحقيق
 آمائنا وأحلامنا ، ولذلك فقد اسندنا الى تلميذكم ماروثا رئاسة دير

مارموني^(١) لما نعمده فيه من الكفاة التي تؤهله احراز ثقتنا فنسند اليه هذا المنصب الرفيع الذي نضن به على غيره ولذلك ارجو ابلاغه بالأمر ليأخذ الكتاب ويذهب الى الدير المذكور ليكون أقوى دعامة في صرح الدين المسيحي الذي تلفينا تعاليمه من (اوطيخي^(٢)) والسلام عليكم .

ولما أتم قراءة الرسالة نظر الى الربان فوجده مطرقاً برأسه مصغياً بكل حواسه اليه وكانت سحنته الطبيعية قد تبدلت ، فقطع جبل السمكوت وقال : - اهنتك بهذا الانعام الممتاز الذي يتفق وكفاءتك كما وأرجوا أن تكون عند حسن البطريك .

— أشكرك على حسن تطفك كما أشكر البطريك على هذه الثقة التي لا استحقها لأنها أرفع واعلى عما عندي من استعداد ومؤهلات .

— ومن يستحقها غيرك يا ماروثا ، انت الذي اخلصت لله وكرست حياتك لدينه ثم زكيت نفسك بما اكتسبته من علم ومعرفه وفلسفة وما انصفت من اخلاق فاضلة وسجايا حسنة . فثلك من يعز الدين ويرفع من شأنه ويعمل على تقوية بنيانه وتدعيم اركانه ، ليكون ملاذاً للضعفاء والمساكين ومرتماً لذوي النفوس الصالحة الذين يتوقفون الى الالتئام والامتزاج ويحنون الى التعاون والتآزر والعمل بصورة موحدة كي يصلحوا الناس بعد أن ينقذوهم من مهاوي الظلم والجهل . فأجابه ماروثا . — سأذلل المصاعب والأهوال باقتحامها عندما اتخذ من السلاح ما يقضي عليها ، بعد أن استطيع تهوين فراقكم والصبر على بعدكم .

أطل ماروثا من نافذة غرفته بعد ان استيقظ من النوم على المرح

(١) مارموني دير كان بالقرب من الموصل . ذخيرة الأذهان ص ٣٣١ .

(٢) اوطيخي مؤسس المذهب اليعقوبي .

المتوالي واللفظ الكثير فرأى رجال الكنيسة ينضمون جموع أهل المدينة
في صفوف على حافتي الطريق ، فعجب من هذا المنظر في باديه الامر
لكنه سرعان ما عرف السبب . حينما ارتدى ملابسه وأخذ قسطه من
القطور باقضى ما يمكن من السرعة ليوفر من وقته مدة وجيزة تساعد
على السير ما دام النهار لا يزال في دور طفولته والذسيم في رفته وعذوبته ولم
يلبث أن خرج وتوجه الى الريان (تدم) كي يودعه ويتزود ببعض
نصائحه وحكمه ، ولما وصل اليه وحياء مصافحاً ليودعه الوداع الاخير .
لكن الريان لم يكتف بهذا الوداع بل خرج معه ولما طلب منه ماروثا
الرجوع ليرتاح قال له الريان ، يجب أن اشهد موقف التوديع يا ماروثا
فاشبعك ولو الى مسافة قصيرة لأنني لا اضمن بدعمي بعد فراقك . قال ذلك
بعد ان وهنت قوته وقصرت خطواته ثم تركه ماروثا واطلق لعينيه
العنان لتجودا بالدموع ما شاءتا ان تجودا بها . وسار بعد أن ودع جميع
من حضر مهرجان وداعه وركب حصانه وقد أخذ ما عنده من المتاع
وضعه على برذون معد لذلك وسافر بصحبة أربعة فرسان متجهاً نحو الشرق
وسلك طريقاً لم يسلكه من قبل وفي نهاية الايام الثلاثة التي قضوها في
الطريق وصلوا مدينة نصيبين فاستراحوا فيها مدة وجيزة زار خلالها
ماروثا كنيسة تسمى وتعرف على بعض رجالها ثم استأنفوا سيرهم نحو الجنوب
الشرقي في طريق وعر كثير الوديان ضيق المسالك عالية الجبال وفي سنجار
جددوا نشاطهم أثر استراحة طويلة مكنتهم من استئناف السفر ومواصلة
السير حتى وصلوا مدينة الموصل ومنها عرجوا الى دير (مار متى) فألقى
ماروثا عصا ترحاله بعد أن عرف القوم بنفسه وقدم لهم كتاب غبطة
بطريرك انطاكية فأعربوا عن شعورهم بالفرح والاستبشار بمقدمه وأقاموا

له الحفلات والمهرجانات ولا سيما بعد أن علموا أنه من أهل منطقتهم ولما انتهت الايام الثلاثة على وصول مارونا وجماعته دير مار متى خرج الفرسان الاربعة الذين رافقوه في سفرته قاصدين الرها عندما ودعوا مارونا واستلموا رسالته الى الربان اودع فيها ما يكره له من حب ويشرح ما تذوق من مرارة الفراق .

- ٦ -

تطلع مارونا الى دير (مار متى) فوجده ديراً كبيراً منحوتاً في ذلك الجبل الشايع ورأى فيه مخدعين كبيرين خصص احدهما للأكل والثاني للنعام لأن رجال الدير رغم عددهم البالغ المائة والعشرين رجلاً ما بين راهب واسقف وشماس فانهم لا يأكلون وجبات طعامهم إلا سوية على مائدة واحدة ولا ينامون إلا في مخدع واحد لصفاء مودتهم واخلاص اخوتهم وصدق صداقتهم وبعد أن قضى وقتاً طويلاً في الدير تمكن من دراسة أهله وفهم عاداتهم وميولهم . خرج من عزلته وأنهى فترة استراحته عندما عباً جهوده للعمل المتواصل الذي لا هوادة فيه ولا اناة تخلف جواً مناسباً لتلقى تعاليم (اوطيخني) و (يعقوب البراوعي) ونبذ مبادئ ونعاليهم (نسطوريوس ^(١)) التي أوشكت أن تعبر دجلة وتجتاح المنطقة الغربية وذلك بعد أن نظم أوقات العبادة والصلاة عندما خلق من الدير المذكور مدرسة لتعاليم الدين والآلهيات والفلسفة تلك العلوم التي تولى

(١) المغيران المستمر وهي منزلة أعظم من المطرانية وأصغر من البطريركية بمنزلة الجنة ولم يبدأ استعمارها الا في عهد مارونا فكرهم النساطرة لأنهم يعتقدون أن هذا اللقب والمطران لهم . ذخيرة الأذهان ص ٣٢٦ .

تدريسها بنفسه نخرج الدين بمبـ ادىء الفلسفة اليونانية للغور الى أعماق الحقائق فمعرفة الماهية والجوهر . لتقوى الحجة عندما يرسخ الايمان في القلوب حتى تم له ما أراد وما كان يأمل ويرتجي ، حينما رأى في اتباعه من رجال الدير الكفاءة الممتازة في المناظرة والمناقشة بعد أن تبلورت الفكرة في أذهانهم فقوت الحجة وزادت البلاغة في قولهم فاطمان بما رأى وفرح بما لمس من عمرة اتعابه التي أتت أكلها وهي فاضجة طرية عندما قصده القاصي والداني فنهل من علمه ما قدر على ارتشافه واستطاع من استيعابه .

وبينما هو في كفاحه يناضل الجهل ويحارب الخرافات أتاه أحد رجال كنيسة الرها يحمل له رقعة الانعام من بطريك انطاكيا (يوحنا) وهذا الانعام هو انتخابه من قبل (تاودور) وأعضاء كنيسة مع موافقة رجال كنيسة انطاكيا وعلى رأسهم غبطة البطريرك (يوحنا) ليكون (مغرياً) لسكرسي المشرق بعد أن يتخذ مدينة تكريت ^(١) مقراً له وذلك بعد أن تطلت رئاسة كنيسة اليعاقبة مدة أربع سنوات اثر وفاة آخر رؤسائها (شموييل) المتوفى سنة ٦٢٤ م فكان صدى الخبر المفاجيء والانعام المنتظر اجتماع رجال الدير بكامل عددهم في القاعة الكبرى يطلبون من ماروثا التصريح بالخبر فما كان منه إلا ان اعلامهم ما في الكتاب فزنوا لفراقه وفرحوا بمنصبه الذي يستحقه ولما كان لا يعرف عن مدينة تكريت اي شيء فانه قد طلب منهم ان يطلعوه على بعض الحقائق والمعلومات التي يحتاجها ، فقال أحد شمامسة الدير اني من ابناء البلد الذي

(١) تكريت بفتح الأول - تقع على بعد اربع مراحل من بغداد أي على بعد ثلاثين فرسخاً من بغداد لها قلعة حصينة (مرصد الاطلاع) (الباب) .

سيضعك وبحتويك وعندى المعلومات التي تنشدها وترغب فيها .
 - وهل بإمكانك ان تنورنا بمعلوماتك لتكون على بينة من امرنا .
 - أجل يا مولاي ، فاعتدل في جلسته وقال :

— ٧ —

على بعد ثلاثة واربعين فرسخاً من الموصل الى الجنوب تقع مدينة
 تكريت وهي تطل على نهر دجلة من الجهة اليمنى من فوق جبل لا يتجاوز
 الخمسين متراً في الارتفاع مشادة على بضعة تلال تتخللها وديان منخفضة
 تنحدر نحو النهر بصورة تدريجية وبيوتها متلاصقة متقاربة الى بعضها
 مما ادى الى ضيق الشوارع وعدم الساعا والمدينة محاطة بسور حصين
 عالي البنيان ، قوي الاركان ، سميك الجدران فيه ثلاثة أبواب رئيسية ،
 الباب الغربي والشمالي والجنوبي ، وأربعة أبواب صغيرة فيما بين هذه
 الابواب الثلاثة ، تفتح هذه الابواب نهاراً وتغلق ليلاً لحفظ المدينة
 من الطوارئ الخارجية . والسور يحيط بالمدينة بشكل نصف دائرة غير
 منتظمة المحيط لتمرجه وتمداد انحناءاته وهو يلفها من الجهات الثلاث
 الجنوب والغرب والشمال . أما الجهة الشرقية فقد اكتفى بانحدار الارض
 الانحدار الفجائي العمودي بان يكون خير حاجز ومانع يمنع عنها الغارات
 والهجمات المتكررة من قبل القبائل العربية أحياناً أو الروم والفرس
 أحياناً أخرى فلحصانة موقعها ومثانة سورها وقوة المدافعين عنها تمتع
 أهلها ببعض الحرية والاستقلال الذاتي من تعاقب الاستيلاء عليها من
 جانب الفرس والروم لأنها كانت قلعة حدود حصينة تكبد من يروم
 الاستيلاء عليها الخسائر الفادحة ، ولهذا يمز عليهم تسليمها للطرف الثاني

المعادي لهم بسهولة أو بساطة ، ولكي يضمن المستولي بقاءه في المدينة المذكورة (من روم و فرس) فانه يهب أهلها الحرية التامة والحقوق الكاملة خوفاً من أن يشقوا عصا الطاعة فيعقروا المعسكرين فيها من الوراة حين حراجة الموقف وقرب الخطر وتآزم الحالة ، ولذلك فانها ظلت تتأرجح بين الفرس والروم . يتكالب الطرفان للاستيلاء عليها وهي يحكم موقعها على الحدود التي تفصل الجزيرة عن ارض العراق قد تكون داخله ضمن الممتلكات الرومية . وقد كان الفرس ينتزعون سلطتها من الروم ، أما من جراء ضعف قياصرة الروم واهمالهم أو لضعف الحامية المدافعة ، أو من عدم تمكنهم من ارضاء أهلها عند ما يلجأون الى الشدة والاضطهاد وثم التمسف والقوة في معاملتهم لتلافي نقصهم وتبرير حاجتهم وهذا ما كان يحدو بأهلها لأن يتفقوا مع الفرس لخراج الظالمين وابعاد المتعسفين من الروم ، وكثير ما كانت الظلم يحيق بهم من جماعة المنقذين فيضطر أهل المدينة الى اخراج شوائب الفرس أو الروم ويلتفون أبواب السور دونهم فيعتصمون بعد ان يعلنوا عصيانهم ويتمتعوا بالحرية التامة والاستقلال الذاتي الحقيقي فتجري مناوشات وتدور ممالك يضطر أهل المدينة الى التحصن داخل السور ^(١) لعدم مقدرتهم على مواجهة الاعداء وجهاً لوجه أو صبراً لصدر لتفوقهم عليهم بالعدة والعدد ولم يلبث أن يستسلم أهل المدينة مرغمين الى اعدائهم وذلك حينما يطول الحصار . لأن المدينة يحكم موقعها الطبيعي تفتقر الى المواد الغذائية والمواد الاولية

(١) استمر هذا الصور يدوم عن المدينة الاضرار ويصد الجيوش الهاجمة حتى أخريات الدولة العباسية فتهدم السور ونقلت حجارته الى دجلة خوفاً من أهل المدينة أن يتمادوا في عصيانهم .

الآخري التي تأتيها من الخارج بطريق القوافل أو من القرى المجاورة لها . وعند ما تنفذ مؤونتهم تهددهم المجاعة التي تؤدي بحياة الكثير منهم الى الدمار والهلاك فيفتحون ابوابهم لاعدائهم لا يسترقوهم ويستعبدوهم وانما ليتعاونوا معهم على درء ما يهددهم من الاخطار وذلك بعد ان يتلاقى المستولون أخطاهم وأغلاطهم التي أدت باهل المدينة الى ان يعلنوا عصيانهم ونمردهم وانشقاقهم فيمتشقوا السيوف في وجوههم لتلك قههم مضطرون الى أن يعاملوهم المعاملة الحسنة التي يرتاح لها ضمير الانسانية ويعقر بها العقل بانها تتفق ومطالب الحياة الحرة . أما تلك المعاملة الحسنة التي كانت تصدر من الفرس والروم لأهل تسكرت فما هي إلا من أجل الاحتفاظ بهذا الموقع الحصين ليتخذوه نقطة ارتكاز مهمة يثبتوا منها الى الطرف الثاني ليتحقق نصرهم لاحتفاظهم بخط الرجعة ، كما جعلوا المدينة منطقة تموين للجيوش المحاربة ليتسنى لهم الاستمرار والاسترسال في الحرب والقتال واحراز النصر ، ولا غرابة في عمل الفرس على تقوية السور وحفر الخندق وخصوصاً في زمن (سابور ابن اردشير ابن بابك ^(١)) الذي لم يكتف بما عمل من الحصون والمعقل ، حتى بنى القلعة الكبرى التي تقع في القسم الشمالي من المدينة بعد ان اغراه الموقع الحصين ، لأنها كانت عبارة عن صخرة كبيرة مديبة الرأس الشمالي يبلغ طولها حوالي ألف ذراع وعرضها ثلاثمائة ذراع محاطة بالماء من جميع جهاتها إذ بناها بالجص والحصى وشاد أبراجها وزخرف قصورها ثم جعل لها قنطرة من الجهة الشمالية فوق أبواب استخدمها لقطع جريان الماء في الوادي الذي يحيط بها من جميع الجهات عدى الجهة الشرقية المطلة على

نهر دجلة ، وذلك عند غلقها في اوقات الرافد ويجري الماء بعد فتح
الابواب في الوادي المذكور عند مداومة الخطر .

وجعل في القلعة مسالح وعيوناً وربايا تكون بينهم وبين الروم كي
لا يأخذوهم على حين غرة ، ثم مواضع للمعانيق ، فقاطعه ماروثا قائلاً :-
ما أعظم هذه المدينة وأحصن قلعتها وما أشد حرص الفرس عليها .
فاذا كان الامر كذلك وانها بهذه العظمة والفخامة والأهمية والشهرة فما
بالنا نجعل عنها كل شيء .

- لأنها يا مولاي لم تكن في يوم من الايام مقراً لهيئة حاكمة - أو
مركزاً لدولة من الدول - وذلك لوقوعها في منطقة الخطر وقرب الحدود لا
في زماننا هذا فقط وانما في اكثر عصور التاريخ حتى في زمن الاكديين
والعموريين والآشوريين والكلدانيين وغيرهم . ومدينة هذا موقعها
لا تصبح حاضرة من الحواضر ولذلك لم تشتهر ولم يذكرها الناس ، لأن
الشهرة في كل زمن من الارمنة مبذية على الفخفة والبهرجة ولا تشتهر
مدينة من المدن الا اذا اقترب اسمها باسم ملك من الملوك أو أمير من
الامراء بان يتخذها حاضرة له أو مصيفاً أو مشقاً أو ساحة لتطاحنه
مع اعدائه . لذلك فان الاخبار عن هذه المدينة قليلة ومنقطعة غير منتظمة
ولم تذكر الا بوقوع معركة بقربها أو ظهور شخصية فذة فيها أو غير
ذلك .

فقال ماروثا - كننا نجعل الاشياء المهمة التي تتعلق بها . نجعل تاريخ
وأول بنائها ونجعل سبب تسميتها بهذا الاسم ، وهل هو اسم روماني أو
فارسي ، عربي أم سرياني .

- لقد اختلف الناس في تاريخها واشاداتها كما اختلفوا في سبب تسميتها

بهذا الاسم ومتى دعيت به وما هو اسمها قبل ذلك . أما الاختلاف في
تأريخ بنائها فظاهر للعيان فقد قال بعضهم انها بنيت في الالف الثالث أو
الرابع قبل ميلاد يسوع ومنهم من قال انها ترجع الى الالف الثاني قبل
الميلاد ، ومنهم من قال انها بنيت في بداية المائة الرابعة قبل الميلاد ، وعلى
كل حال فانها مدينة تاريخية قديمة لم تستمر في العصور القديمة التي سبقت
ميلاد المسيح لانها لم تكن مركزاً سياسياً لذلك أهملت وأهمل تأريخها .
أما سبب تسميتها بهذا الاسم فقد اختلف الناس به أيضاً كما اختلفوا
في تحديد وقت بنائها وتأريخ اشادتها ، وقد تعددت الروايات في ذلك
فنهم من قال بان الاسم اسم روماني إذا ترجم الى العربية دل على انها
كانت تدعى « قلعة دجلة » ومنهم من قال ان الاسم محرف من
(تجريت ^(١)) وهو اسم المدينة الحقيقي وقد تطرق جماعة من الناس الى
ان اسم المدينة اسم يوناني وهو (ثرته ^(٢)) أو (برته) (Burtha)
وهو الاسم الذي دعاها به (بطليموس) وقد كان يطلق هذا الاسم على
التل الذي عليه القلعة . اما اكثر الناس الذين لا يشك بصحة أقوالهم
فيقولون ان سبب تسمية المدينة بهذا الاسم له قصة ^(٣) .

قال ماروثا وما هي يا أخي ؟

قال الشماس : يقولون ان المدينة حينما كانت خاضعة لدولة الفرس كان
يحكمها احد صرازتهم وله وام وهوابة شديدة في الصيد والقتل ، فخرج
مرة بتصيد وقد شت عن اصحابه فقاده جواده الى حي من احياء العرب

(١) تجريت وهو اسم سرياني كان يطلق على تكريت . دائرة المعارف
الاسلامية ج ٥ ص ١٨ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ج ٥ ص ١٨ .

(٣) ذكرت في معجم البلدان ج ١

ولما تقرب منه وجده خلواً إلا من النساء فلقى منهن الحفاوة والترحاب
فقد تركن أصهارهن الخاصة وانصرفن الى اكرام وفادته من طعام وراحة
فلمست عينه من بينهن فتاة امتازت بجملها الساحر وحسنها الفتان
وجاذبيتها الاخاذة فشغف بها حباً ، فلم يستطع ان يكتم هواه ويخفي نار
حبه وهيامه ، بل اخبر النسوة بما خالج قلبه من حب وشغف لتلك الفتاة
بمد ان اعلمن بانه مرزبان القلعة المجاورة لحبيهم ، فقلن له ان الفتاة التي
وقعت في نفسك هي بنت سيد الحي واثنا نصارى وأنت شخص مجوسي
فلا يجوز في ديننا ان تزوج من يخالفنا ديناً ومذهباً .

- أنا أدخل في دينكم . فقلن له انه الخير لو فعلت ثم عليك ان تعرض
الامر على رجال الحي وخصوصاً على والدها فهو رئيس الحي حينئذ يكون
لهم الخيار في قبولك أو رفضك .

وعند رجوعهم خطب اليهم الفتاة على ان يتنصر اذا قبلوا تزويجها
منه ، فزوجوه الفتاة المذكورة فنقلها الى القلعة وانتقل معها عشرين
اكراماً وتمطيماً لها ، فنزلوا حول القلعة ولم يلبثوا ان اتخذوا الابنية
الثابتة والمنازل الممتازة التي أسسوها من الجص والحصى والطابوق فسمى
ذلك الرض (تسكريت) كما سميت القلعة وجميع المدينة باسم الفتاة الياضية
التي تزوجها المرزبان (تسكريت) (١) .

وقد استغل المفريان ماروفا سكوت الشمس فقال :- ما كنت أحسب
ان المدينة بهذا المجد وهذا التأريخ القديم وتلك المنزلة السامية . فشكرنا

(١) وهناك روايات كثيرة في سبب تسمية المدينة بهذا الاسم لسكنائهم تتأكد
من صحتها .

لك يا أخي يتضاعف ويزداد فيما اذا نورثنا ببعض المعلومات عن طقسها
ومناخها وهل هو مشابه لطقسنا ؟

فأجابه الشمس :- مناخها معتدل بصورة عامة . أما فصولها فتختلف
في الطول والقصر ، فصيفها طويل وشتاؤها قريب الى الطول كذلك أما
ربيعها فقصير لكنه رغم قصره يخلع على صحراء المدينة أرديته السندسية
الموشاة بمختلف ألوان الزهور ومتنوع أشكال الورد الفواحة بالاريج
المعطر الذي تنقله نسائم الرقيقة البليلة لذلك فانه يستفز عواطف المرح
والابتهاج عند الناس ^(١) فيخف أهالي المدينة الى خارج السور يحتفلون
بموكب الربيع القادم فتظل مهرجاناتهم الشعبية عامرة خلف ذلك السور
دون ان يلتفتوا الى شيء حتى يرجع ركب الربيع بعد قضاء احوال الفرح
والطرب عند القوم فيودعونه بمثل ما استقبلوه به لما له في قلوبهم من
منزلة عظيمة ومقام رفيع لانه سبب الالفسة بين القبائل وربط قلوب
الاحبة برباط الحب المقدس فانه شاب عاطفي يسمح لمن تنحرك في قلبه
عاطفة حب أو غرام ان يمثل دوره مع من أحبه واشتاق اليه على مسرحه
وفي جوه العبق الارجيج .

وقد يتبرم الاهالي بفصل الصيف لانه كان ينغص عليهم عيشهم ويكدر
صفوهم حينما كان يطارد بحارته اللاخفة وهوائه الجاف آخر ما تبقى من
نسائم الربيع الوسنى البليلة ولكنهم يستأنفون انفسهم ويسترجعون ما
افقدهم الصيف من مرح ولهو في لياليه واصائله لاعتدال الجو وبرودة
الهواء في ذلك الوقتين وقد يتضاعف الانس وتزداد الغبطة في الليالي

(١) قال المري فيها :

هات الحديث عن الزوراء أو هيتا وموقد النار لا تكري بتكريتا

المقبرة فيطيب الوقت ويتحسن الهواء في فصل الخريف لكن القوم يتخوفون منه لتبدل الطقس الفجائي ولتغير الهواء السريع الامر الذي يدعو الى الحيلة والحذر من الاختلاطات المرضية التي توافيهم من عدم الاستقرار في الطقس .

يمتلك الناس في بيوتهم اذا حل فصل الشتاء ليمتنعوا لهم السمر والنقاش في شتى الامور ومختلف المراضيع ، والشتاء هناك رغم عدم شدته يكون بمثابة السكون الذي يسبق العاصفة لان القوم يقيمون فيه لاستئناف انفسهم ومرحهم في فصل الربيع ، فقاطعه المفران وقال :-
يظهر انهم في فرح دائم ومرح مستمر .
- نعم يا سيدي .

- ومتى يشغلون ؟ وما هو شغلهم ؟

- يستغرق شغلهم اكثر اوقات السنة لكنه شغل منظم تدخله الاستراحة التي بواسطتها يعلنون فرحهم ويعبرون عن سرورهم وأطول هذه الفترات هي استراحة الربيع ، فيه تترك اكثر الاعمال وتعمل للتمتع بمباهج الحياة ونضارتها التي تتجلى واضحة سافرة فيه ، فيزداد الاهالي تعظيماً وتقديساً له حيث تتجلى لهم محاسن الطبيعة الزاهية بزخارفها وثوبها القشيب ، ذلك حينما تكون حسناء الربيع بكامل اريديتها وجمالها في تناول ايديهم ونحت تصرفهم . وهم مهرة بزراعة الكروم في الارض التي تبعد نصف فرسخ عن المدينة الى الغرب ويعتمدون على الآبار في اسقائها ورها . أما الجهة اليسرى فانها منطقة غنية بانتاج الحبوب والبطيخ . كما انهم يمتازون بنسج المنسوجات الصوفية والقطنية بالإضافة عن اشتغالهم بالتجارة تلك الحرفة التي واتام بها موقع المدينة على طرق

القوافل التي تتمصل بعدة أقاليم « ودير الحاطرة » الذي يبعد عن المدينة بفرسخ الى الجنوب الشرقي مشهور بعصر الكروم لتجهيز المدينة بالنبيذ. فقال ماروثا :- قد يفهم المستمع كلامك ان مستوى معيشتهم متوسط لاهم بالفقراء المترين المعدمين ولا بالاغنياء الموسرين المتخمين بالثروة الثقيلين بالمال .

- أجل انهم كما تظن لأن عدد الاغنياء هناك لا يتجاوز عدد الاصابع وعدد الفقراء المترين قليل جداً أيضاً ، فالحالة المالية لا كثر أهالي المدينة متوسط .

- ومن هم سكنتها والى أي العناصر والاجناس ينقسمون ؟
 - أغلبهم عرب يتألفون من ثلاث قبائل هي : أياد ، وهم أقدم العرب استيطاناً في المدينة واعتناقاً للنصرانية . وأغلب ، وقد تنصروا على يد الاسقف (أحودي) سنة ٥٥٩ (١) . والنمر والبقية الباقية تتألف من الروم والفرس وغير ذلك من الاقوام ، وهم رغم اختلافهم في العنصر وتباينهم في الجنس وتنوعهم في القوميات يشعرون بشعور واحد ويسعون الى غاية واحدة وهدف واحد هو العمل على جلب السعادة والرفاه لجميع ابناء البلد وذلك لأن الدين المسيحي الذي يدين به جميع من في المدينة قد وحد قلوبهم وربطها برابطة الاخوة المقدسة عند ما صهرت تلك القلوب في بودقة الود والاخلاص وصبتها في قالب الانسجام والاتلاف ليكنوا متعاونين متآزرين في الدفاع عن الدين والمذهب اليعقوبي والاخلاص لها .

(١) وهو باني دير حلا في نيكريت واول اسقف لليعاقبة وقد قتله كسرى أنوشروان . ذخيرة الازهار ص ٣٠٠ .

وكثيراً ما كانوا يتصدون لكل من تسول له بأن يحط من كرامة
مذهبهم وعقيدتهم فيذيقونه من العذاب ألواناً فيما إذا تمادى في تسخيف
آراءهم ومعتقداتهم دون أن يقنع أو يقر بحقائق براهينهم وقوة حججهم .
وهم أهل ورع وتقوى وزهد . . .

فقال ماروثا :- شأنهم إذن شأن المؤمنين الصالحين الذين لا تأخذهم
في الحق لومة لائم .

- أجل يا سيدي ، قال ذلك ، وسادت فترة سكوت وسكون ثم لم
يلبث ماروثا أن بددها وأزالها بقوله :

- حقاً أنك قد حببت لي الإقامة في مدينتك التي ذكرت لي كل ما
الشده وأطلبه متيسراً فيها .

- وستبرهن لك الأيام على صحة ما ذكرت . ولولا أن يقال إنه يشيد
بمدينته ويتعصب لها فيسند إليها جميع المحاسن والفضائل لذكرت لك أكثر
من هذا . ولكني اكتفي بهذا المقدار وأترك ما تبقى لك كي تلعبه
وتشاهده بأمر بصيرتك .

- سئى ذلك . قال هذا وقام ليأخذ نصيبه من الراحة ، وينام ما
تبقي من الليل ثم قام اثره جميع من حضر من القسس والرهبان والاساقفة
ودخلوا مخدع النوم جميعاً .

- ٨ -

وفي صباح اليوم التالي كان رجال الدير يشيرون ركب ماروثا المتألف
من خمسة عشر راكباً بعد أن قضوا ما عليهم من واجبات الوداع
ومطالبه .

فكلما سار الركب وابتعد كلما ابتعد عنهم الصبر وواتاهم الجزع فكان في قلب كل واحد منهم نار تملظى خافها ذلك الركب الذي توارى خلف الجبال العالية عن عيونهم وقد شعروا بالضيق والفراغ المدمم الذي احدهه ماروثا بغيابه . ومع ذلك فانهم قد صبروا واحتسبوا وتشاغلوا عن صاحبهم الضائع بالانكباب على صلاتهم واعمالهم .

أما الركب فقد أخذ يجد في السير في تلك السبل الضيقة وسط المسالك الوعرة الخيفة حتى اشرف على ابنية المدينة الرابضة فوق تلال مرتفعة في نهاية اليوم الرابع . فالتفت ماروثا الى احد اصحابه وقال :-

أظن ان هذه الابنية والابراج هي ابنية تيكريت .

أجابه الرجل نعم يا سيدي ، ثم التفت رجل آخر الى ماروثا وقال :-

ليأذن لي المفران بإبصال الخبر الى أهل المدينة قبل وصولكم .

وقبل ان يسمع من ماروثا كلمة السماح له انفصل عنهم بعد أن ألهب صدر حصانه بالسياط يستحثه على الركض ويحفزه الى الجري السريع حتى وصل الى المدينة فاخبر أهلها وجميع من في الدير من رهبان بنجر وصول المفران الجديد المدعو ماروثا ليمتخذ من مدينتهم مقراً للكرسي المشرق بناء على اقتراح ثاودور وموافقة رئيس كنيسة انطاكية وتأيد زملائه لما للمفران من دراية واسعة وعلم غزير وشخصية ممتازة تصلح لهذا المنصب وتتفق وأهميته نخف الناس لاستقباله ودخل ماروثا في موكب مهيب لائق بمنزلة ونزل في دير (مريحنا) وسمح للناس زيارته في كل وقت وحين متى شاؤوا وأتى أرادوا . فبشهم خلاصة افكاره ونورهم بنور معرفته فازداد رسوخ الايمان في قلوبهم وقد استغل اقبال القوم عليه واطاعتهم لاوامره فافترح عليهم بنساء كنيسة كبيرة تناسب منزلتها

ومركزها وتلبق بأن تكون مركزاً لكرمي المشرق الذي اتخذ هذه المدينة مقراً له على أثر تعيينه مفریاناً له .

فرحبوا باقتراحه وحيدوا فكرته وتلففوا الى اخراجها الى حيز الوجود . فالحوا عليه بتنفيذها . رتطبيقها . فاخبرهم بأن الفكرة تحتاج في تطبيقها الى مساعدتهم المالية والاجتماعية . لذلك تقاطروا عليه زرافات ووحداً شيباً وشباباً ونساء يحملون ما عندهم من حلي ومال فيقدمونها بين يديه حتى تجمع من المال ما كان كافياً لاشادة أعظم كنيسة في بلاد المشرق تصلح لأن تكون مركزاً لكرمي المشرق فارتفعت ابراجها الشاخنة المقامة على تلك الجدران السميكه المتينة بالرغم من ارتفاع الارض التي شيدت الكنيسة عليها .

ولما تم البناء وكل التأثيث على ذلك الجبل الذي يطل على نهر دجلة من جهته الغربية بمجنوب المدينة بدا المفریان ماروثا بجفر تفق طويل يوصل الكنيسة بالقلعة التي هي اقصى الشمال وقد تم له ذلك ليكون منفذاً سريعاً لوقت الحاجة فأنتم كل ما تآقت اليه نفسه

— ٩ —

وبمناسبة افتتاح الكنيسة اقيمت حفلة كبرى في الساحة الغربية المحاذية لها ، فأعلنت الأفراح واجتمع الناس من مختلف الطبقات ومتنوع الرتب فانتظموا في حلقات أفراس التأمّت مع بعضها فكونت مهرجاناً كبيراً ينم على أحسن ما أظهره القوم من شعور بالفرح والمسرة التي وافقتهم بها ظروف افتتاح الكنيسة ، فتفاهلوا بها وعدوا كمال بنائها فاتحة خير

ويعن وسلام تعود خيراتها عليهم ، وقد كان لهم ذلك .

وللنساء في هذا المهرجان الكبير الحصبة الممتازة والقدح المعلى لما أظهرنه من ابتهاج وحبور حينما شاهدن نتاج حليهن قد تحول الى ابراج شاذخة يجلجل فوق اعظمها واعلاها ناقوس يملن الحق والحرية والطمانينة ، فيدعوا الى الانخراط في سلكها والتظلل برايتها ، بقلوب تقية وروعة بغيرها الايمان وتغلؤها الفضيلة والطهارة . وهكذا ملئت الاجواء بعبير عطر النساء الفرحات ، فتلهف الرجال والشباب من الفقراء وذري الجاه والمال الى الاقتراب من مصدر العطور والدنو من ينبوعه ليشاركوا بقية حواسمهم الأخرى بالتلذذ والاستماع ، فكان اقتراب وكان اختلاط . وبينما كان الناس غرق في بحار الآمال والاحلام أو في هواجس الحب والغرام ، فمنهم من كان يؤمل نفسه بلقاء حبيبته في هذا المجتمع الزاهر بالخلق ومنهم من كان يتأبط ذراع مثيرة غرامه وجواء لينتظم وايها في حلقة الرقص التي انظم كثيرأ من امثالهم .

في ذلك المجتمع وقف شاب مديد القامة أبيض الوجه حاد النظرات يتفردس بوجوه الفتيات وطائر حبه الذي انفك من قفصه وطار على الرغم منه وهو لما يزل يرفرف فوق تلك الرؤوس ولكنه سرعان ماصرعه سهم انبرى من لحظ فتاة اسيلة الخد بارزة النهد فرجسية العينين وجاء الحاجبين بيضاء جدياء نحيلة الخصر ثقيلة الدف غضة بضة يشتكي الطول منها الى القصر ويشتكي القصر منها الى الطول فلا هذا محصل منها بغيته ولا ذاك واجد فيها ضالته . فوق الطائر بين يديها يتلوى ويتخبط وهي لم تلتفت اليه أو تهتم به رغم فداحة الخطب وجسامته بل لوت بجيدها وصمرت خدها عنه غير عابثة به وكأن الأمر لا يعينها أو يهمها اوله مساس بها . فازدادته

لوعة الشاب وحرقة جواه وتصدى لها من الجهة الثانية وتعمد مكلمتها لكنها أعرضت عنه ونفرت بكبرياه وحشمة زادت في تلهفه وتمطشه للتمتع بذلك الجمال الأخاذ ولو بنظرة عرضية تلتقي فيها العين بالعين لتثير في القلب بعض العواطف والاحساسات ، لعله يرق أو يلين . لكنه لم يحظ بما كان يأمل أو يتوقع لأن فراغ قلبها كان قد ملئ بحب عامر وهو الضيف الأول المحبب فقد امسى لا يتسم لغيره ولا يستضيف سواء اقتض الاجتماع فتفرق القوم ولذة الفرح لا تزال بادية على وجوههم الضاحكة القسبات واجسامهم المتزاقصة في سيرها . تفرق القوم وهم على تلك البهجة إلا ذلك الشاب الذي غادرهم برأس مثقلة بالهموم والهواجس . كان يسير ببطء وتناقل ورأسه مطرق الى الارض لا يكاد يرفعه حتى وصل قصره المطل على دجلة في اقصى الشمال من القلعة فاحتضنه أحد المقاعد حينما تداعى اليه وهو متهالك تواق الى الاستراحة . وبعد فترة وجيزة بدأت الأخميلة تتردد على مخيلته فتراوت له وجوه جديدة لم تلبث ان برز من بينها ذلك الوجه الذي حرم من التمتع بالنظر اليه لاعراض صاحبه عنه وقفورها منه بكل ما في ذلك من غطرسة وكبرياء دون أن تلتفت الى هندامه أو حسنه وجماله وعلو منزلته وسلطانه وهو أمير اياد تلك القبيلة العريقة في المجد والشرف والتي احتفظت بمفاتيح الكعبة في يوم من الأيام فاستوطنت تكريت قبل غيرها من القبائل العربية وعلى اسم فتاتهم التي تزوجت من أحد صرازة الفرس حينما اعتنقت النصرانية من أجلها قالت تكريت شرف هذا الاسم . كل هذه المؤهلات التي كانت في حوزته لم تحرك من الفتاة إلا عواطف الكراهية والاحتقار فتزداد ايتعاداً عنه وتنفورا منه . لكن خادمه قطع عليه سلسلة أفكاره هذه وحجب عنه

تلك الصور فطرد الاخيلة والتصورات حين دخل عليه وقال سيدي : ان الفتاة التي أسرني باقتفاء أثرها لمعرفة أهلها هي (سلمى التغلبية) حبيبة أمير بني تغلب (عامر) وهي في غنى عن التعريف والابضاح ومسكنها قرب قصر عامر في جنوب المدينة فالتفت اليه سطيج وقال : - اظنها ليس كما تدعي فقلبا لا يزال مغلقاً دون ضيف الحب لأن افعال الطفولة لا تزال عالقة في مزاجه بحكمة غلقه . فأجاب الخادم

الحب فارس يغزو القلوب دون أن يعوقه عائق مهما عظم أو كبر ، ليذنها ويستعبدها ويجعلها خاضعة لأرادته مستسلمة لمشيئته يصرفها كيف شاء ويوجهها أنى أراد وهو ديمقراطي رغم قوته وجبروته واتساع سلطانه من حيث انه لا يتقيد بنظام الطبقات أو يتحدد بسن أو عمر أو ينظر الى اعتبارات البشر التي خلقوها من انفسهم وروجوها بين ظهراهم ، وهو فارس اناني لا يقبل المصاحبة والمشاركة مهما عز الرفيق وكبرت منزلة صاحب .

- نعم انه كما تقول فالحب سلطان السلاطين وملك الملوك تذلل له التيجان وتخضع لأوامره العروش يغزو القلوب لا ليذنها ويستعبدها بل ليملأ فراغها فيصقل العواطف ويهذب الشعور ويرهف الاحساس لكنه يزيد الاضطراب المحبب الى الحبيب رغم ما يخلعه عليه من اردية الضعف والسهو والفنى . ثم زفر زفرة طويلة وقال : - ويل لقلبي من نهم عيني وويح لمني من نظرة اختطفناها اعتبناها حسرات وأنان كنت أهزأ بمن جرفته تيار الحب الى حيث ما لا تحمد عقباه من سوء الطالع ورداءة المصير ، حتى صرت لا اقدر على مقاومة هذا التيار رغم ما عندي من

القوة والمقدرة لأنني لا أريد مقاومته الشعوري بالذلة والاعتباط مع ما أقامي من آلام الصد ومرارة البعد .

.. من الأرجح يا مولاي ان تخفق طفل حبك الآن ولا تفده بدمك وراحتك وصحتك ، لينمو ويكبر فيتمرد عليك ثم يسيرك كيف يشاء وحسبما أراد بعد ان تستغل قوته الجبارة ضمتك ووهنك وخسارة ارادتك مع فقدان عزيمتك : -

فقاطعه سطيح وقال : ولم لا انمي هذا الطفل الذي اوجدته جاذبية من أحببت واكتشفه قاي ؟ وكيف اخنقه ولماذا ؟ وما يضرني ان عصاني أو تمرد علي ؟

- لأنك لا تحبني من وراء حبك هذا ثمراً فليس لك في سامي نصيب .
قال سطيح ولم

- لأنها حبيبة عامر الآن وصديقه في صغره وطغولته .

فاغتاض سطيح من كلامه وظنه اهانة له فقال : -

وهل تظن ان عامر خير مني واقدر بل واجدر بحبة سامي وغيرها ؟
- لم يكن خيراً منك يا سيدي فكلاهما في منزلة واحدة ان لم تكن أنت خيراً منه فهو سيد بني تغلب وأنت سيد اباد ، فليس المهم هنا الأفضلية ، ولكن المهم ان اخبرك بأنها لا تحب سواء ولا يشغل قلبها غيره مهما تبدلت الأيام وتغيرت الظروف والامضاء ، وسوف لا يتسنى لحبك أن يحتل ولو زاوية من زوايا قلبها في يوم من الايام ، لذلك فاني أرى من الاصلاح أن تترك هذا الطارق ما دمت تستطيع الترك لان العاقبة ستكون وخيمة والضرر عليك جسيم . فقاطعه سطيح بعد ان بلغ الغضب منه ذروته وقال :- اغرب عني قبحك الله يا سقيم الرأي . تريد

أن تردني وتثني بي بهذه الآراء الفاسدة التي لا تمت الى الصحة والصواب
بصلة فتقف أمامي موقف المدير الحكيم والمشير الخبير بالحب والغرام
والفاهم بامور النساء والمطلع على قضايا المجتمع السرية منها والعلمية .
فارتعد الخادم من الخوف وقال بصوت متقطع .

- عفوك يا سيدي اني لم أتمد وظيفة الخدمة والاخلاص لها ولمن
استخدمني لأرجح ضميري فراحة الضمير والوجدان خير من اراحة الجسم
وارضاء العاطفة . واني اعتقد ان انحس أعداء المرء صديق خادع وصاحب
مخايل لا يردع صديقه عن الاعمال التي تضره وتخالف تقاليد المجتمع ولا
تتفق والتفكير الصحيح فيتركه يسترسل في غيه حفظاً لرضا صاحبه
وكسباً لوده .

فقاطعه سطيج وعلائم الندم بادية عليه على ما فرط منه تجاه خادمه
وقال بصوت رقيق مملوء بالشفقة والرحمة :

لا شك ان طول عهدك بالحياة لم يكسبك خبرة في بعض نواحيها
ولذلك بدأت تعذلي عن جبي لسامي وتحذري من هذا الحب بل وتخوفي
بجيبها عامر وتفضله علي في الوقت الذي بلغ بي الحب أعلى مراحلها ولم
تعلم بان الحب لا يقبل كلام العاذل بل ويسحقه مهما كان نوعه فكيف اذا
قسا هذا الكلام واستمر على منواله كما كان كلامك ، لا شك ان المعذول
لا يلبث ان يظهر قوته وحماقته فينكب كل بمن لومه وعذله بل أهانه وخوفه ،
ولجهلك في هذه الناحية حملتني على اهانتك مع عظم منزلتك عندي .

أدعيت ان قلب المرأة لا يتسع لأكثر من واحد وادعائك هذا باطل
من أساسه لأن قلب المرأة لم يخلق إلا ليكون مسرحاً لفصول الحب ،
وقد تختلف هذه الفصول باختلاف المؤثرات والعوامل والاشخاص .

فكثير من النساء ما يكون جهن فراشياً (أي انتقالياً) ، لأنهن يركضن وراء (القوة والصحة والجاه والمال والجمال) فان وجدت هذه المؤهلات في شخص عبده ، وقد تتطور الى كفر والحاد اذا لم يحظين باللذة التي تهيشها لهن العاطفة . أما إذا فقدت الرجل الذي عبده من أجل تلك المؤهلات المذكورة فانهن يبعين شخصاً آخر ، ولو كان أقل درجة ومنزلة من الأول فيملأن فراغ قلوبهن بحبه ، ثم سكت سطيح وأطال سكوته والتفت بعد ذلك إلى خادمه وقال :

لك حرية الانصراف والراحة ، ففرح الخادم وترك سطيحاً مضطرب الاعصاب نائر النفس قلق الفكر ، مشغول الفؤاد يقدح زناد عقله ليجد وسيلة تخلصه من آلامه وكآبته ، أو يعثر على سبب يحقق له احلامه وآماله ومنال بغيته لعله يستطيع أن يعمل على تغفل حبه في قلب سامي كما تغفل حباها في قلبه ليسعد بها وتسعد به بعد زواج تباركه الكنيسة ويتوجه الحب باكاليل الغار . لكنه مع هذا لم يهتد الى خطة أحسن من ان يخطبها الى ابنته فاذا أبى تزويجها أغراه بالمال العزيز . حينئذ شعر بالهدوء والطمانينة وبات ليلته في رغد وراحة . وعند ما استيقظ في الصباح أمر خادمه باستدعاء بعض الوجوه والأعيان فامثل الخادم أمره ولم تمض الا سويعات حتى اجتمع في قصره كل من استدعاهم وبعد ان استراحوا مدة شاورهم في الامر ، فاستحسنوا فكرته واخذوا على عاتقهم القيام بالمهمة .

فقاموا على الفور وتوجهوا الى والد سامي ، فلما وصلوه وجلسوا عنده ، فآخوه بالقضية التي جاءوا من أجلها . لكنه أبى أن ينفذ طلبهم لان ابنته كما هو الواقع مخطوبة الى سيد قومهم (عامر) ولا يمكن

إبدال سطّيح به أو تفضيله عليه . فهو الاول وهو المتقدم وله الافضلية والامتياز . وهكذا ذهبت جميع محاولاتهم لاقناعه سدى . كما آل مصير فكرة سطّيح الى الزوال والعفاء حينما رجعوا اليه واعلموه بالواقع . فقامت قيامته وهاج نائره ، لذلك لم يعد يفكر في الطرق السلبية التي يتوصل بواسطتها الى (سلمى) وخصوصاً في تلك اللحظة لأن وقع الصدمة كان شديداً عليه ولما هدأت أعصابه وسكن اضطرابه وهدمت سورة غضبه قال في نفسه .

لما كانت محاولتي للمرة الاولى فاشلة فيجب ان اكررها مراراً ولو لاقيت الفشل عدة مرات حتى احرز النجاح وأنال الغاية ولو كلفني اقدامي ما لا طاقة لي به من المجهود على أن لا أقف وقفة الحزين اليائس اودع آمالي وأحلامي بمجرد فشلي هذا .

لهذا فانه قد انفرد بنفسه وبدأ يقدر زفاد فسكره ليستخلص منه ما تبقى من الشرر فيوقد من النار ما يحميه قرصة البرد وينير له السبل ليصل الى ما كان يأمل الوصول اليه فينال ما أمل وارتجى ، وظل على شأنه هذا يتحرق جوى ويدوب صباية ، ينتظر الاعياد العامة أو فصل الربيع ليختطف من سلمى نظرة تبل أوامه ، وتطفئ حرارة حبه الى حين . وفي تلك الايام العبة باريح الانس وعبير الحب ، كان يرى سلمى بين الحين والحين حتى كبر طفل حبه الذي غذاه بدمه وصحته وراحته ، وصار لا يطيق مقاومته أو عناده ، بل انقاد له وسار بموجب أوامره وتعاليمه فكان يستغف بعقله أحياناً ، ويخرجه عن وضعه واتزانه أحياناً أخرى ، ليقحمه في المآزق الحرجة التي لا تتفق ومنزلة سطّيح الاجتماعية التي تترتب لها ويعتسكف في برجها البلوري وذلك قبل ان تتطفل لطفة الحب التي

وجدت طريقها معبداً الى قلبه فتدرجت في النمو والكبر حتى اصبحت
 غفريقاً عتيماً . فكانت السكابة تلازمه وتواتيه في اغلب اوقاته ، لأن
 سامي محتجبة عنه ، منصرفة بكليتها الى عامر . ظل كذلك تتقاذفه امواج
 الحب الثائرة وتجرفه تيارات الهيام دون ان يستطيع السيطرة على زمام
 نفسه بالرغم من دورات دولاب الزمان الثلاث التي لاقى خلالها مرارة
 البعد والصد والهجر ممزوجة بشهد الحب والغرام حينما تحدر بمجازية
 (سامي) وسكر بمحاسنها وجمالها .

وبينما كان غارقاً في بحر من الهواجس والهموم ، مصفياً الى اصداء
 حبه التي ملأت قلبه فلحكت عليه حسه وكيانه يستمع حديث نفسه الى
 قلبه ، ومشاورة عاطفته لعقله وتفكيره ، اذا بخادمه يدخل عليه ، فيقطع
 سلسلة افكاره وينقذه من هواجسه المزجة واخيلته المضنية ، حينما قال
 بالباب احد خدم الكنيسة ، مكلف من قبل المفران ماروثا باستدعائك
 الى الكنيسة للمشاورة في امر مهم . فاجابه سطيح وقال :-

اخبره بانني لاحق به على الاثر ، ثم اخبر سائس الخيل ليسرج لي
 الحصان الابلق ، ويهيئه ريثما ارتدي ثيابي .

ركب سطيح حصانه وسار امام كوكبة صغيرة من بني قومه (اياد)
 متجهاً صوب الكنيسة ، فلم يكذبصلها ويدخل القاعة ، بعد ان ترجل
 حتى رأى رؤساء المدينة وقادتها من عرب وروم مجتمعين ، فسلم وجلس ،
 ولما استقر به المقام دخل عامر رئيس (تغلب) فكان آخر من يرحمه
 حضورهم .

التأم المجلس وغص بالجالسين ممن ارسل المقررات اليهم للمشاورة
والمداولة في امر الكنيسة ونشر الدين في الاصقاع النائية والمحلات البعيدة
فقطم المقرران حبل السكوت وقال :-

لا شك ان العمل المشر والعاقية الحسنة لا يحصل عليهما المره إلا من
عصارة الافكار الناضجة والعقول الذكية بعد المشاورة والمخاطرة ،
فالاتفاق الاجماعي على رأي سديد ، وقول مزن معقول ، وقد يكون
التطبيق سهلاً والعمل فاضحاً اذا قرن بالاقدام والاخلاص ، مع التآزر
والتعاون بناء على اشتراك المنفعة . لذلك ابيت ان ابت في رأي او اقدم
على عمل ما لم اعرضه عليكم ، لأنفق واياكم على رأي واحد يضمن لنا
النجاح التام . نخوفي من الزلل والشطط ، إذا ما استبدت في رأي
واقتردت في عملي هو الذي دعاني الى احضاركم ، للتماس رأيكم فيما عن
لي من الفكر التي اريد اخراجها الى حيز الوجود . وأني ايها الاخوان
قد ازمعت على نشر الدين في بلاد (سجستان) و (هرات) و (اذريجان)
وتعميمه على سكانهم لانه دخل هذه البلاد حديثاً فاصبح فيها غريباً .
واخاف عليه من الضياع ، لأن المجوس لا زالوا يدسون الدسائس عليه
فنوره الساطع ، وضوؤه اللامع ، بددا دياجير الجهل والظلم عندما عجزت
نار المجوس عن تبديلها وازاحتها . لان تلك النار قد استخدمها المفرضون
واسطة لاصطياد الناس واستعبادهم ، فاذلهم ، بعد ابتزاز اموالهم
وسلب حريتهم لذلك لم يستفد من تلك النار إلا الملوك والامراء ، ومن
الامم وناصرهم من البطانة والحاشية ، وأني لانتخوف من تغفل النسطورية

ومبادئها ومعتقداتها الى عقول من استرشدوا بهذا الدين واستنداروا بنوره
 فاهتدوا بهديه ، وليست النسطورية الحققة هي التي تخيفني ، وانما النسطورية
 التي تبناها الفرس بعد ان اعتنقها ملوكهم وروجها صراحتهم ليتخذوها
 وسيلة لبسط السيطرة على البلاد والاقاليم ، أو رابطة للتحكم برقاب الناس
 واموالهم ومقدراتهم ، وقد تم لهم ذلك بمساعدة بعض مطارنة المدائن
 وبطاركتها الذين كانوا يوغرون صدور الأكلسة ويخرضونهم على خنق
 اليعاقبة في بيعهم وأديرتهم ، كي لا ينبروا عقول من أعمتهم أضاليلهم
 فيمتدوا الى طرق الخلاص والتحرر . وقد برهنت الاحداث الماضية على
 صحة ما اقول ، وذلك ان (كسرى^(١) انوشروان) لم يقدم على قتل
 (احودي) صاحب الاعمال الجليلة والايادي البيضاء التي قدمها واسداها
 الى الدين الابعدين او غر صدره مطارنة المدائن النسطوريين ، لأن
 تعاليم (احودي) لا تتفق وما يحرض عليه كسرى من الفطرسنة
 والكبرياء ، او يطلبه من الرعية ، بطريق النذل والاستكانة والرضوخ ،
 لأن ديننا كما تعلمون هو دين الاخاء والمساواة والعدالة ، والفضل للصالح .
 أما الاحترام فخري بمن تقع الناس ونفسه مع اطاعة الله ويسوع . فاذا
 ترون ؟ فاجابه سطيح وحب الظهور يدفعه الى ان يقول :-
 فكرة حسنة ورأي شديد . علينا ان نتدارك الموقف بكل ما أوتينا
 من حول وقوة ونسرع في تنفيذه .

فقال المريان :- هذا هو غرضي من اجتماعي بكم ، والكنى الآن
 اريد استبانة السبل ومعرفة المسالك التي يجب ان نساكها على ضوء آرائكم
 ومقترحاتكم .

قال عامر :- لا رأي لنا في هذا الباب غير رأي واحد ، هو بث
المبشرين ، وبناء البيوع والاديرة في تلك الاقاليم ، لتكون مدارس يتلقى
الناس فيها اصول الدين على أيدي الاكفاء المقتدرين .

فرد عليه المقران وقال :- قول معقول اذا استطعنا تنفيذه .

فلعلت بوارق الامل في ذهن سطيح لذلك اهتدى الى خطة جهنمية
تخلصه من منافسه في حبه مقابل تأدية خدمة دينية فغضب على وتر
حساس يسكر عامر بنغمته فيقحمه في المهالك والاهوال دون مبالاة
فقال :-

إني لا أشك برجاجة عقل عامر ولا ارى رأياً غير رأيه ولكني أرى
تطبيقه في تلك الربوع من الامور الصعبة ، لاحتياجنا الى الاكفاء
الذين يعرفون الفرس وتقاليدهم وعقائدهم ، بالاضافة الى اطلاعهم على
امور الدين وفهمهم لتعاليم اليعقوبية ، لان تلك الاقاليم تأخر باوامر الفرس
والفرس كما نعلمون لا يروق لهم ان يتغلغل العرب الذين تأدبوا بأداب
المسيح واتبعوا تعاليم اليعقوبية ، لتخوفهم من ان يشلوا حركتهم
ويقلصوا سلطانهم من البلاد الذي يحتلونها لاعتقادهم بان اليعاقبة من
الموالين والمناصرين لاعدائهم الروم ، ولم يعلموا باننا لا نوالي غير المصلحين
ولا نناصر الا الحق .

فاجابه المقران ماروثا وقال :- نحن نعلم كراهية الفرس للعرب ولكن
يجب ان نختار في انجاز مهمتنا هذه من تضلع بالفارسية واثقن السريانية
وبرع بالخطابة وامتاز بالديانة .

قال رئيس النمر :- ومن أين لنا هذا الشخص الذي تتوفر فيه هذه

المؤهلات فيؤدي الواجب الديني في تلك البلاد التي خيم عليها الجهل والفقر واجتاحها الظلم والاستبداد .

فالتفت ماروئا الى الجالسين وقال :-

من منكم يكون السابق في تأدية رسالة سيدنا المسيح في بلاد غزاها الظلم والكفر والباطل ليخلص أهلها من القيود ويهديهم الى سواء السبيل ففرح سطيف لعله أن عامر سيكون أول المبين لدعوة الدين لشجاعته ونحوته أولاً ولحيازته لتلك المؤهلات ثانياً . ولم يلبث أن صاح عامر بعد ان اطرق بقية القوم وقال :-

أنا للامر ولو لاقيت حتمي . قال ذلك لجزعته من اطراق القوم وسكوتهم وجهودهم . فقام ماروئا الى عامر وقال بعد ان طبع على جبينه قبلة .

بارك الله فيك يا بني فانت العلامات من قبل ومن بعد ومثلك من يفتخر ببركة روح القدس التي اكتسبته وحفظته .

اما سطيف فقد كانت تتقاذفه عاطفتان متنافرتان : عاطفة حب الظهور والغيرة مما ناله عامر من شرف وعاطفة الانتقام منه ، لكنه قال على الرغم من ذلك :

لا يليق لهذه المهمة غير مامر لانه قد تعلمذ في كنيسة الرها ونصيبين وتعلم اللغة السريانية وانقنها كما اتقن تعاليم (اوطيخي وبعقوب البرادعي) وقد فهم تعاليم النسطورية كما عرف اللغة الفارسية واطلع على عادات الفرس وتقاليدهم حينما درس في كنيسة المدائن وقد اتقن ما درسه في فترة قصيرة من الزمن رغم صغر سنه . فقاطعه المريان ماروئا وقال موجهاً كلامه الى عامر :-

لا شك ان مجهودك ينحصر في تغافل الدين بين مختلف الطبقات في تلك البلاد بصورة محببة الى النفوس وهناك اتباعنا يساعدونك في مهمتك. واذا ما انجزت اصلاح الاديرة أو بنائها ثم تحسین حالة من فيها ، فارجو ان تجعلها مدارس مجانية يقصدها من شاء بدافع الرغبة لا الرهبة لان الرهبة تفسد ثمرة العمل وتقضي على الرجاء والامل فالعمل الذي ينتج من جراء الخوف والرهبة يكون ضعيف البليان متداعى الاعمدة والاركان . فقام وأحضر كتباً كثيرة ثم قال لعاصم :-

خذ هذه النسخة من تفسير الانجيل الذي اكلمته قبل أيام واستمعن به لتطلع على مخفيات الامور وغوامض العبارات ، وبواسطته تستطيع حل العقد المستعصية المعقدة لأنني وضعته بأسلوب سلس بسيط مناسب لمفاهيم الناس ، وخذ هذا الكتاب الذي ألفته في دير (مارمى) لتستمعن به على مناضلة النساطرة والرد عليهم بما يقبله الدين ويقر به العقل والدوق ، واحرص على الكتاب الحرص كله لأنني لم يستنسخ بعد فهو غاية الذساطرة المطلوب وامنيتهم المنشودة

لا نني رددت فيه كيدهم الى نحورهم فسخفت اقوالهم ومعتقداتهم التي اطلعت على ظواهرها وبواطنها فبقاء الكتاب مع حفظ وفهم محتوياته كاف للحيلولة دون انتشار النسطورية بل والقضاء عليها ، وعند ذلك يلتفت الناس الى تعاليم اليعاقبة واعتقاداتهم التي تتفق والدين الحق الذي لا تغيير فيه ولا تحريف وخذ أيضاً هذه المجموعة من الخطب في الاعياد . ففتح الكتاب وقال انظر الى خطبة الاحد الجديدة التي بدأتها (يا أخواني انا لليوم الجديد معيدون ، وعلية الامرار متذكرون) وقد ضمنتها النصائح الجمة والحكم الغزيرة فاستفد منها .

وفبل أن يهيم عامر بمغادرة المسكان تذكر المفران التخشعات^(١) وقال له تريث يا عامر حتى اوافيك بسجل (التخشعات) وما هي إلا لحظة قصيرة غاب خلالها المفران حتى حضر ويده السجل المذكور فقدمه الى عامر وقال :- تستطيع عندما تقرأها بصوتك العذب الشجي ان تستفز الشعور وتستبد بالعواطف فتركزها في قلوب من تمرده عليه . كما أرجو أن توافينا باخبارك فتغرس بذور الدين في قلوب من تمرده عليه . فانهض المجلس بعد باستمرار وألا تطيل غيابك ، فاذهب راشداً مهدياً . فانقض المجلس بعد أن ودعهم عامر واحداً واحداً وبدون تعليق أو استرسال في الحديث .

— ١١ —

خرج سطيمح قبل غيره من المجتمعين فقد بيت في نفسه لعامر أمراً جسيماً وشراً عظيماً . وقد تولاه من الفرح والابتهاج ما عجز عن كتمه واخفائه ، ولما وصل قصره دعا بخادمه (مربع) فلما حضر قال له :- كثير ما ادعيت بالاخلاص لي يا (مربع) ولحد الآن لم اجربك إلا في الامور التافهة التي لا تكلفك من المشقة والتضحية كثيراً ، واليوم قد احتجتك لأمر جسيم يستنفذ منك بعض الجهد ويحملك التضحيات فهل أنت مستعد لذلك ؟

قال الخادم على تمام الاستعداد يا سيدي حتى ولو كلفني طاعتك حياتي - تذهب الى (سجستان) قبل عامر وتتصل بحاكم مدينة (ازريخ)

(١) التخشعات هي الابتهالات وهي من وضع ماروثا بالاستناد على التخشعات رابولا وعددها ثلاثمائة وهي من أبداع الحان الكنيسة .

ورهبان اديرتها ، وتعلمهم بأن اليعاقبة قد غزوه وهم في ديارهم بمبشر
لا يجارى ولا يناظر فاذا سمح له واتصل بالناس فإنه سيستميلهم الى مذهبه
ويجرهم الى حضيرته فيتمردوا عليهم وعلى مذهبهم ، ولأجل أن يتخلصوا
من شره عليهم أن يقتلوه قبل ان يتصل بالناس ، فهل بإمكانك القيام بهذه
المهمة ؟

- أجل يا سيدي

- إذن أسرع واسبق عامراً . فقام الخادم من ساعته وركب حصانه
وشار يسابق الريح دون أن يلتفت الى شيء .

أما عامر فقد وصل قصره وجلس في محل استراحته فاسترسل في فحش
افكاره واستعراض صحائف ذاكرته والصور المرسومة عليها ، فترأت
له صورة (سلمى) وثبتت أمام ناظره فوجدها بأثمة ، تلومه على
عمله الذي اقدم عليه دون غيره ، وتعاتبه على ما بيت في خاطره ، واضمر
في نفسه ، بأن يسافر دون علمها ، كي لا تضعف عزيمته ويتزعزع ايمانه .
ترأت له تلك الصورة بوجه شاحب واجم من ألم البعد ومرارة الفراق .
فهب من فوره ونادى « مريم » . فلما حضرت بين يديه ، قال لها : -
اذهي الى « سلمى » وبلغها بالحضور .

خرجت « مريم » من القصر متجهة الى دار سلمى ، وعند وصولها
ودخلوها قالت : -

سيدي يستدعيك يا سلمى .

فاجابتها سلمى بعد أن زمت شفقتها وحدثت الخادم بعينها اليسرى :
وما سبب ذلك ؟

- لست أدري .

- لعل في الامر غرابة وخطورة ؟

- لا علم لي بذلك يا سيدتي .

فلم تر سلمى بدأ من الذهاب الى عامر ، لأنها هي الاخرى كانت مدفوعة بماطفة حب الاستطلاع وبرغبة ملحة جامعها الى مقابله ، لتطمئن خاطره وتهديء بعض عواطفه المضطربة ، فارتدت ملابسها وسارت امام « مريم » حتى وصلت القصر ، فلما دخلت عليه وكلها شوق وتوق اليه . استقبلها بأعطر التحيات كأنه لم يرها منذ زمن بعيد . ولما جلست واستقرت بجلستها قالت له :-

ماذا حدث يا عامر وارسلت تستدعيني رغم مقابلتنا في صباح اليوم، هل من جديد يا عزيزي ؟

- أجل يا حبيبتي . نعم يا عزيزي .

- كأنك تريد ان تطلعي على ما دار بينكم اثناء اجتماعكم في الكنيسة ، وما اتخذتموه من الوسائل للوصول الى اهدافكم ومراميك ؟

- نعم يا سلمى . وكنت قبل الآن ضيقاً به عليك . لأنني حاولت أن أتخذ الخطوة لولا أن تراهي لي صورتك ، وتعرض أمام ناظري وترسم في خلدي . فانهارت عزيمتي وتقوضت ارادتي وتزعزع ايماني ، فعدلت عما سمعت من عدم مواجهتك قبل مغادرتي الديار . ولذلك ارسلت في استدعائك ، لأتزوّد منك بنظرة ونفسي تطمع بدعائك وابتهاالك ، لا أكون في حرج من الممالك والاضرار حصين . فردت عليه سلمى وقالت : ماذا ؟ وأي سفر تريد ؟ وما هي البلاد التي ستضع فيها عصا ترحالك ؟ ولماذا السفر ؟ وما هي الغاية ؟ وكيف تتركني ؟ خبرني يا عامر . هل من

زائر فضولي زار قلبك فاستوطنه عندما سقيته بعصارة قلبك ، وغذيته
 بحشاشتك ؟ كيف يا عامر قد تغيرت ومن ذا الذي قد غيرك ؟
 هل هذا هو المصير الذي كنا نحلم به ونتمناه ونعلق عليه آمالنا ؟
 ما كان ظني بك هكذا ، أقصدك المداعبة والمزاح ام انك مجد في قولك
 صادق في نيتك مصمم على تنفيذ خططك ؟

عامر : ان كانت غايتك الحرب والابتماد عني فلا تكلف نفسك مشاق
 السفر وتطوح بها في المفاوز والحزون . بل ابق يا عزيزي لاتزود منك
 بنظرة من بعيد بين لحظة واخرى ، وامنح حبك لمن شغل قلبك . فحبك
 يا عزيزي قد غلب على مشاعري واحساسي فأصبحت لا افكر إلا فيك
 ولا انظر إلا اليك ، فأغلق قلبك من دوني واتركني ما شاء لك هواك ،
 وتراني من احسن المحلصات اليك ، واعلم ان غيابك عني ، قصد الهجر
 والقلبي معناه ، ازهاق لروحي وزوال لحياتي ، فكن حارسي من الموت
 الذي اتخوف منه من أجلك لأظل بقربك ، واستعذبه وارحب به إذا
 ما انحرقت عني ، أو فأيت مني ، أو تغيرت علي .

ثم زفرت زفرة طويلة وقالت بعد ان جزعت : -

آه يا ربي ما جنائتي وما هو ذنبي ؟ فأجهشت بالبكاء بعد ان يأس
 فقال عامر عليها يخفف من آلامها واحزانها ، ويطرد عنها المخاوف
 والمآسي ، وقد أخذه العجب مما رآه وسمعه ، وكيف ما ظن سلمى به
 قبل أن تعرف الأسباب وتطلع على الدواعي والدوافع ، فقال لها بعد أن
 عيل صبره وخف بكأؤها : -

لم اعهد فيك التسرع في الحكم . وقد عهدتك متزنة رابطة الجأش
 قوية الاعصاب امام المفاجآت الجسيمة والاختطار العظيمة ، فإياك الآن

قد استسلمت لليأس والقنوط ؟ بعد أن أسأت الظن بحبيبك الذي يضحى بالحياة في سبيل راحتك . ما لك تشأمين من هذا الاستدعاء هل هنالك باعث للتشائم ؟ خبرني بربك يا سلمى ؟

- كيف لا أنشام يا عامر ؟ وكيف لا تذهب في الظنون شتى المذاهب وقد استدعيتني في وقت لم أكن أتوقع فيه ذلك ، لأنني كنت قبل ساعات عندك بصحبة والذي الذي جاءك في الامر الخاص بنا ، وزيادة على كل هذه المفاجآت فانك قد قررت مغادرة الديار ، دون مواجهة أو توديعي وما ارسالك في استدعائي إلا لأقناعي ، بالكلام المعسول ، فتخدع به فتاة هام قلبها بحبك ، لتسعد بها بالآمال الضائعة وتسليها بالآمان التي اصابها العفاء .

- لم أكن كما تظنين يا حبيبتي . إنما اردت تنفيذ خطة « ماروثا » في نشر الدين المسيحي ببلاد سجستان ، بعد ان احجم واجبن غيري من امراء العرب وقادة الروم . مع بث تعاليم اليعاقبة ، لتدعيم الدين ، والعمل على توسيع رقعته في تلك الاصفاع . ولم اغادر البلاد حباً في السفر ، أو تخلصاً من الناس أو هرباً منك كما تزعمين .

- اذا كان الامر كذلك فما بالك تتحاشى مواجهتي قبل سفرك ؟

- خوفاً من أن يستبد بي سلطان حبك ، بعد ان يستغل ثورة عواطفني التي تسد دوني جميع منافذ نور العقل والبصيرة ، فتوهن من عزيمتي وتزعزع ايماني ، وتضعف ارادتي ، ثم اضطر الى تغيير خطتي وتأجيل سفرتي التي نلت بها التقدير والاعجاب من رجال الكنيسة ، وقادة الحامية وامراء المدينة . واذا أحجمت واحتثت بعهدي الذي قطعته على نفسي في سبيل ذلك أكون قد حلت دون تلاً لنجمي في افق الشهرة وسماء البطولة

والتضحية . فانا يا « سليمى » لم اطوح بنفسى في هذه المهالك إلا من
اجلك ورضاك . فلولاك لما تاقت نفسى الى المعالي وحتت الى المنازل
الرفيعة ، واشتأقت الشهرة والصيت .

لأن الحب يا « سليمى » اذا غزا قلب الشاب فإنه يحدث في حياته
انقلاباً وتغيراً حيث يخلق من الجبان شجاعاً ، والمحجم مقداماً ، والبخل
كريماً ، والقاسى الطباع لين العريكة ، اذ أنه يصقل العواطف ويهذب
الشعور ، ويرقى الاحساس ، وينعمى الذوق .

فلولاك يا حبيبتي لم ارض الزيادة . ولم اتقهم المخاطر واتجشم الالئاب
لأنى في سعة من الرزق والحياة والسلطة . لكن حبك اخرجني من عزلتي
وانزلني من برجى الذهبي ، فزجني في سوح القتال ، وميادين الجهاد
والنضال . فالحب طموح يا سليمى ، وطموحي جعلني أحب الدين واقدسه
وقد ازداد تمسكي به وعظم عندي ، عندما رأيتك تتفانين في سبيله بعد
ان سمحت لتعاليمه ومبادئه ان تتغلغل في احساسك وشعورك وافكارك .
ولما كانت سفرتي في سبيل الدين الذي احببته من اجلك . فلي فيك
وطيد الأمل بأن تستحسني الفكرة وتشجعيني على السفر ولو سبب ذلك
آلام الفراق وعذاب البعد لمدة من الزمن . قال ذلك وسكت ليترك مجال
التفكير واسماً أمام سليمى ، كي تعطي رأيها وتبت في الامر . واخيراً تمكن
من ان يستخلص منها هذا القول : -

وفقك الله يا عامر ، وحرستك عين عنايته ، وكلا تلك روح القدس من
المخاطر والأهوال . سر على بركة الله فستجدني من الصابرات الداعيات
لك بالخير واليمن . ولكن ارجو ان ترفق بنفسك وتحترس على حياتك
لا من أجلك انت فقط . بل من أجل من شاطرتك السراء والضراء .

عندما احتليت سويداء فؤادها ، وما كنت جميع مشاعرها واحساساتها .
 لا جلي انا التي غدوت لا أفكر إلا فيك ولا انظر في غيابك وحضورك
 إلا الى صورتك ولا يشغلني شاغل غير حبك . قالت ذلك وعيناها تضيقان
 بدمعتين جائلتين حائرتين لم تلبثا ان سالتا على وجنتيها بعد أن اجهشت
 بالبكاء .

فاحتضنها عامر ليخفف من آلامها واحزانها ، ويحفف دموعها وبمطرها
 بقبلائته . ولما هدأت وسكنت مدت يدها وصاحته . ثم خرجت تترنح في
 مشيتها كأنها سكرى .

— ١٢ —

وقبل ان تشيب ذؤابة الليل عبر (عامر) مع خادمه (جرير) نهر دجلة
 فركبا حصانيهما وسارا ينهبان الارض متجهين نحو الجنوب الشرقي دون
 أن تفر همتها او يعتريهما الوهن والتعب حتى اشرفت الشمس على المغيب
 وهي تجر ذبول اشعتها الذهبية البراقة لتعكس ذلك اللون على الطبيعة
 الزاهية التي بدت تستفيق من رقادتها الطويلة وتصحو من سكرتها على
 أثر انتعاش النائم من عطر الزهر والورد عندما فتحت اكمامها بواذر الربيع
 الباكر . وفي سفح جبل (بارما ^(١)) حط رحليهما ليستريحا من تعب
 الطريق ومشقته ويبيتا ليلتهما هناك يتوليان الحراسة ، لكنهما لم يكملا
 ليلتهما في الراحة والنوم بل ركبا حصانيهما وسارا دون ان يسلكا طريقاً
 معينة مطروقة يجتازان المفاوز الخيفة والجبال العالية والوديان العميقة

(١) جبل حمرين - الاصلطخري ص ١٥٥

لا يسمعان غير اصداه أصوات الوحوش أو اصطدام الرياح بالجبال والكهوف وكل ما هو مفزع مزعج . ظلاً كذلك يواصلان في سيرهما الليل بالنهار مدة ثلاثة أيام وهما في سكون دائم وهدهود تام وفي نهاية اليوم الثالث قبل ان تحتضر أشعة الشمس الصفراء وهي تجمع ذوائبها لتودع الطبيعة ولو الى حين لاح لهما على البعد شبح أسود يحمله السراب لم يستطيعا ان يثبتا حقيقة أو يعرفا ماهيته ، ولما حثا جواديهما في السير اليه تمكنا تمييزه ومعرفته ، فاذا هو برج مخروطي الشكل تحته كهف كبير منحوت في ذلك الجبل مقسم الى مخادع وغرف بحواجز خشبية غير منتظمة الصنع والترتيب ورأيا باب الكهف الضخم مفتوحة على مصراعيها ، فهم عامر الى ولوجها فاستوقفه جرير وقال : مهلاً سيدي تريت قبل الدخول فلا تجازف في حياتك وأطوح بها وتسوقها الى المهالك . فالتفت عامر اليه وقال :-

وأى مهالك يا جرير ؟ أتزعم ان في دخولي الدبر هو اقتحام المهالك ؟
إني لا أرى رأيك في ذلك . فما سبب الضرر والأذى ؟ فقد تهياً لنا المحل المعد للراحة الخاص لايواء المسافرين واطعامهم وحفظهم من الاخطار .
- ليس كل ما بني على هذا الطراز وبمثل هذا المحل يدعى ديراً مخصصاً للمسافرين .

- ولم لا يكون كذلك ؟ وما الفرق بين هذا الدبر وغيره ؟
- عهدت الاديرة ياسيدي تبنى قرية من الطرق والمسالك ، بعيدة عن مناطق الخطر والمحلات المفزعة المنعزلة ، وعهدي بسكان الاديرة مسلمين متحفظين ، لا يتعمدون الشر أو يتصدون له أو يبعثون عنه كما هو ظاهر بئين في هذا الذي تدعوه ديراً . أنظر ياسيدي الى تلك الرماح

الطويلة والسيوف الكثيرة على ذلك الجدار في الغرفة المقابلة ، ثم انظر الى تلك الاواني والاثاث التي تملأ ارض الخدع المجاور . ثم اترك الرأي لك في شأن الباب الخارجي المفتوح رغم ما يهدد القوم من اخطار اللصوص والمصابات أو مهاجمة الوحوش الكاسرة الجائعة . أليس كل ذلك بغريب ، يدعو الى الشك في أمر البناء وسكنته ؟ لأن القسس والرهبان يتحاشون الشر ويتحفظون من الخطر ، ولا يفتحون أبواب أديرتهم إلا لمن طلب معونتهم أو لاذ بجحاهم . وهذه القلعة التي تحسبها ديراً لا يسكنها إلا لصوص أو قطاع طرق أشداء يتصيدون المارة بهذا الاسلوب وتلك الطرق من السلب والنهب .

وبيناها كذلك إذ سمعا صوتاً يقول :-

إدخلا على الرحب والسعة فأننا سنكون لكم خدماً مخلّصين ، نسهر على راحتكم وطمانينتكما بحكم مهنتنا وبدافع ايماننا بديننا .

والنفتا الى مصدر الصوت فاذا بشيخ طويل القامة مديدها حاد النظرات تفاذها متغضن الوجه كك اللحية عريض الصدر . فلولا يياض شعره ، وتغضن وجهه لظنه كل من ينظر اليه انه ابن العشرين لجودة صحته وقوة سواعده المقتولة .

فاقبل عليها وهو يحاول تثبيت جلبابه الاسود على كتفيه عندما بدء الهواه يعبث به ولما رأى جرير ان سيده سيكون مضطراً لقبول دعوة الشيخ تحداه وقال :-

شكراً لك أيها الشيخ الوقور على ما ابديته من لطف وعطف لكننا لا نرغب في الراحة الآن لأن مهمتنا تتطلب منا الاسراع في السير دون

هواة أو فتور لنصل محلنا بأسرع وقت ممكن كي لا تفلت الفرص من أيدينا ، فأجابه الشيخ :-

السير في هذه المفاوز والجبال ، ويمثل هذا الوقت سيعرضكم الى الاخطار العظيمة التي اقلها سلب ما عندكم وطرحكم تتخبطان بدمائكم بين الحياة والموت ، فالارض معمورة بالصيوع وقطاع الطرق والوحوش الكاسرة . وتلافياً لما سيمحدث ارجو ان تقبلا ليلة كما عندنا لنضمن لكم حياتكم كما في ديرنا هذا . قال ذلك وسكت . أما جرير فقد أخذته الشك وانتابته الريب من كلام الشيخ والحاحه فاجس خيفة منه وقال :- تعلمنا على الأحوال فركبناها بعد ان ذللناها لنا حينما تعودنا على تحمل المشاق والصعاب ، فارجو ان تسمح لنا بمغادرتك ولك منا الشكر الجزيل . فاغتاز عاصم من كلام جرير وان دفع بحدة وقال :-

يجب ان نأخذ راحتنا عند هذا الشيخ الوقور الذي دعاه كرمه وحسن ضيافته الى ان يلج علينا ، فنحن بحاجة الى محل نخلد فيه الى الراحة والاستجمام ، ولما كان هذا المحل هو خير ما تصبو اليه نفسنا المضطربة وجسمنا المتعبان المنهوكان فيجب ان نزل ، ثم ترجل وتبعه جرير بالرغم منه وأخذ الجوادين الى الاصطبل بإرشاد الشيخ ثم رجع الى عاصم يتعثر بمشيته لعدم راحته ولا تشغال فكره بالهواجس والهموم وفي فترة غياب الشيخ قال جرير :-

كن يا سيدي على تمام الاستعداد لمواجهة الخطر وخذ الحيطه والحذر لأننا قد وقفنا في فخ كان معداً لاصطيادنا واصطياد المغفلين الذين يخلبهم كلام الشيخ المعسول وتسحروهم اقواله فتجذبهم متانة البذاء وعصبة المحل بعد التعب المضني والخوف المستمر . فرد عليه عاصم .

وما السبب الداعي لاصطيادنا ، وما هي الغاية في ذلك ؟ وكيف يتسنى
لهذا الشيخ الهرم ان يوقنا في حبائل المسكيدة وفخ الصيد ونحن اقوى
منه وأقدر ؟

- لم يكن الدافع الا الطمع في الغنائم والاسلاب التي يسلبونها منا او
يغنمونها بعد اغتيالنا . وهل تظن ان بناء كهذا في هذا المحل المقفر
الموحش الخطر ، يسكنه شيخ هرم بفرده ؟ لا شك انه معمور بشبان
اشداء عودتهم الحاجة والمهنة على اصطياد الحيوانات طمعاً في الاكل
واصطياد البشر املاً بالمال والاسلاب .

فوقع كلامه من نفس عاصر الموقع الذي ينتهيه جرير ويريده لذلك
انتابته المخاوف وساورته الريب والشكوك عندما ايقن ان كلام جرير
ينطبق والواقع ويتفق مع الحقيقة السافرة وهو المسؤول الاول عما
سيحدث لها ، لأن غطرسته وكبرياه واعتداده بنفسه ورأيه هي التي
حالت دونه ودون اتباع آراء خادمه المصيبة واقواله الراجحة . فالتفت
الى جرير يلتمس منه الرأي السديد والخطة الناجحة التي تنقذها من هذه
الورطة وتخلصها من الخطر المحدق بهما وقال :-

وكيف الرأي يا جرير ؟

- وهل غير الحذر والتحفظ ينقذنا من هذا الموقف الحرج والحرب
عند اختلاط الظلام ان امكن ؟

- وكيف يتسنى لنا الحرب يا جرير وحيولنا قد اوصد الباب دونها ؟
ونحن كما تعلم لا نستطيع السير على اقدامنا ولا سيما في هذه الارض الوعرة
فالاحسن ان نخلد الى الهدوء ونبقى الى ان يقضي الله امراً كان مفعولاً على
ان لا ننسى الحيلة والحذر ، و...

فقطّع عامر كلامه حينما أقبل الشيخ يتمم بادعية غير مسموعة الثبرات
ولا مفهومة المقاطع والكلمات يحمل بيده صحناً وباليده الأخرى قدحاً
كبيراً وعندما وصل وضعه بينهما وهو يعتذر من رداءة الطعام وعدم
ملاءمته لذوقيهما فقد كان يظنهما من أهل اليسر والثرى ، أو من أصحاب
الجاه والسلطان لذلك قال :-

ان طعامي هذا غير مناسب لكما لكن الضرورة ألجأتني اليه وانما
تعلمان ان محلاً كهذا لا يمكن ان يتهياً فيه كل شيء في اكثر الاوقات
والظروف لانعزاله عن الناس وبعده عن المدن والكثرة ضيوفنا الذين
يستنزفون ما عندنا من المؤن والغذاء . فرد عليه عامر وقال :-

لا بأس عليك يا عم فانا في غنى عن اكلك هذا رغم ملاءمته للذوق ،
فقد اكلنا قبل مجيئنا بساعة ، لعدم توقعنا محلاً للايواء وتقديم الطعام
والغذاء في مثل هذا المحل . والآب وقد رأينا محلكم ودخلنا فيه ،
فسيكفينا ما لقيناك منك لأنك قد أنسيكنا أتعاب الطريق بتطلفك
وعطفك . فارجو عدم مؤاخذتنا وعفوك من عدم تلبية طلبك بشأن
الاكل .

قال ذلك بعد ان تلقى الاشارة الخفية من جرير ، بعدم الاكل ولو
لقمة واحدة من هذا الطعام الذي تطير منه . فتقدم الشيخ وخاطبهما بكل
لطف وعناية وقال :-

لم أكن أتوقع هذا الرفض الذي ليس بالحسبان ، وقد كنت اتأمل
ان ستنزلا ان مستوى الشيخ البائس ، وتقبلان ما اقدمه اليكما ، ولو
هذا الذي بين ايديكما . لكن طعام الفقراء لذيق يستلذه الفقراء انفسهم
ويتوق اليه الاثرياء . فهذا هو ، فارجو ان لا تخيبا ظني وتنجلاني

وتركاني ارجع به من حيث أثبت . ثم تناول لقمة وقدمها الى عامر وقال :-

ما أشهاها وأطيبها ! إن الزيت يقطر منها فيزيد في الشبيه ، فهو زيت نظيف ممتاز . أرجو ان لا ترجع يدي بما اقدمه اليك . فباسم السن المتقدمة والشيخوخة أدعوك وأتوسل اليك في قبولها .

- لا أستطيع اكل الشيء الذي يحوي الزيوت والدهنيات .

فتناول الشيخ قدح النبيذ وقدمه الى عامر وقال :-

نبيذ معتنق يغنيك عن الطعام ، فرشفة منه تحدد فيك نشاطك وتعيد اليك قوتك التي خسرت بمضها في الطريق المتعبة .

فلم ير عامر بداً من تناول القدح . ثم ارتشف منه رشفة ضاعت بين فكيه . ولما تحول الشيخ الى جرير وطلب منه ما طلب من عامر رفض الاكل والشرب رفضاً باتاً . وقد خاف على سيده من عاقبة الرشفة التي نهلها من كأس الشيخ . فساوره القلق والاضطراب ، وانتابته الوسواس والهواجس .

وحينما غادرهما الشيخ . افترق جرير أثره دون أن يحس الشيخ به . لذلك دخل المخدع المجاور دون ان يلتفت ، فدخله جرير بعمده ، ولأذ بزواية فستتر بالظلام ، وبدأ يراقب الشيخ على كذب . فراه يضع الطعام على الرف المقابل ، وينحدر في قبو بوسط المخدع ، بواسطة سلم ضيق ، صغير الدرجات فلم يقدر جرير على كبح جماح نفسه التي ساقته الى المغامرة ، فتقدم الى باب السلم ونزل بضع درجات ، وبدأ يطل برأسه على ما في القبو . فخال الظلام دونه وذوون ما كان يتوقع ، لأن ضياء الشمعة الخافت لا يساعده على الرؤيا والتمييز . ومرعاف ما أجفل وارعد الى الوراء حينما

طرقت سمه، همسات خافتة ضعيفة . ولما أصاح السمع تبين صوت الشيخ
بوضوح وهو يقول :-

أصبنا اليوم صيداً سمياً . فرد عليه صوت آخر .
وما هي الاشراك التي نصبتها لافناصه ؟

- اشراك الحذر الذي وضعته في الطعام والشراب ، فقدمته اليهما ،
وقد أوشكت التدابير تفشل والاحراءات تخيب لولا حياء الشاب من
توسلاتي السكينة اذ تناول رشفة من النبيذ . أشك في أمر مفعولها
بتخدير الشاب ، اما الآخر وأظنه هو الخادم فلم ينخدع بكلامي المعسول،
ولم يلقن أو يرق ، بل أمر على امتناعه ورفضه ، وقد جئتم الآن اعلمكم
بالامر لتتخذوا الأهبة والحيلة ، وتكونوا على استعداد تام لتنفيذ
خطتنا على الوجه الاكمل والاثم عندما نسلب من الشابين أموالهما، فارجو ان
تبينوا لنا رأيكم في الموضوع بسرعة ، كي لا يفلت زمام الفرصة السانحة
من ايدينا . فسمع جريز صوت آخر يقول :-

وهل لنا غير قتلهم واخفاء معالمهم خطة تمكنا من سلب أموالهم ؟
فرد عليه الشيخ وقال :-

وهل تتصور ان القتل سيكون سهلاً الى هذه الدرجة ؟ فلمهم عندنا
الآن هو القتل وكيفية تنفيذه ، لأنه خطر على من يقوم به . فقد اتوقع
الشجاعة والاقدام عند الرجلين . وخصوصاً من الشاب الحذر الذي اخذ
من الحيلة والحذر ما اظنه قد يكون حائلاً دون تنفيذ خطتنا . فعدم
اطمئنانه منا ومن محلنا الذي لمسته منه وعرفته فيه ، سيسهره الليل ليتولى
حراسة صاحبه المغفل رغم حاجته العظمى الى النوم .

فقال آخر :- هب انه سهر واتخذ لنفسه الحيلة والحذر ، فهل يقدّر

علينا اذا ما داهمناه وسدينا عليه طرقة وطرائقه ؟ أو نظن ان سيفلت
وصاحبه من ايدينا التي تعودت القتل والسلب والنهب ؟ مما ذا لله الا اذا
كانا ملـكين مجنحين .

فرد عليه الشيخ وقال :-

نعم انها سيفلتان ، وربما انقلبت الحالة الى عكس ما نظن ونتصور ،
فيذيقانا ما كنا نروم اذاقتهما . لأن قلبي يحدني بسوء العاقبة ورداءة
المنقلب . فقاطعه آخر وقال :-

الشك والريب لا يتسربان إلى قلب شخص ، ما لم يتسرب الوهن
والضعف اليه . ويظهر ان الشيخوخة قد اسلمتكم الى الشك وعدم الاعتماد
على قوتك ، أو الوثوق بنفسك . فبدأت تتخوف من الشخصين بعد
ما كنت تهزأ بالعشرات . فان كانت السن المتقدمة قد نالت من قوتك
ما نالته فاننا لا نزال نقبض على ناصية قوة الشـباب الجبلي . ولذلك
فسنكفيك الشر الذي تتخوف منه ، ونحصل لك على الغنيمة التي تريدها
دون ان نكلفك بشيء . أو نقحمك خطراً ما ، ولا نطلب منك غير شيء
واحد : هو حمل الشابين على السهر بما تقصه عليهما من القصص المحببة إلى
نفسيهما أو ما تقدمه لهما من المجاملات والتلطف . وبعد ان تطمئنهما على
اموالهما وروحيهما . تتركهما ينعمان في سبات عميق .

فامتعض الشيخ من هذا الكلام ، وغضب على صاحبه وقال : —

لا زلت اتمتع بقواي الكاملة ، ولا زال قلبي كما عهدتموه . فانا المقدم
المغامر الذي عرفتموه قبلاً لا ازال كما كنت . اما شيخوختي فهي التي
اكسبتني الخبرة والمعرفة ، ثم الحدس الصحيح والتخمين الذي يستهدف

الحقائق التي لا غبار عليها ، ولا تضليل فيها . في الوقت الذي سد عليكم
دم الشباب الحار جميع منافذ العقل وسبل التفكير الصحيح . فأنقذتكم
إلى أهوائكم بمقود العاطفة وزمام الكبرياء والاعتداد بالنفس فنبذتم
جميع ما توجبه العقول الناضجة ، وابتدعتم التفكير . ثم استهنتم
واستهزأتم بالصغائر بعد أن احتقرتم القلة .

وزيادة على ذلك كله فإن شياطين التمرد والانشقاق قد بدأت تتغلغل في
قلوبكم ، لتستحوذ عليكم وتصرفكم كيف شاءت ، لتفرقكم في الأرض
فتذوقوا مغبة أمركم ، فتحننوا أو تندموا على ما فرط منكم .
فرد عليه صوت آخر وقال : -

ارجو أن لا تسمح لطلائع الغضب والانزعاج من أن تصيب منك
شيئاً لأنها تقتل المواهب وتثبط الهمم وتحبط المساعي ، فتوقع صاحبها في
المهاوي التي لم يكن يتوقعها ، رغم شجاعته ومقدرته .
أما الآن فأرجو أن تهدينا بنور عقلك إلى ما سئسلكه في اقتناص
صيد اليلة المشؤوم ، فرد عليه الشيخ بئأس وقنوط وقال : -

ليس لي من الأفكار التي تهديكم إلى اقتناص المساكين اللاجئين . فإذا
تنتظرون من شيخ قد دبت علائم الكبر في أوصاله وعقله . فأضعفتها
وانهكتها فأفقدتها سيطرتها على نفسها . ماذا تنتظرون من هذا الشيخ الذي
افتقر إلى إرشادكم يا أهل العقول النيرة ؟ وإلى قوتكم الحديدية التي تغل
الصخر وتحطم الحواجز والموانع ؟ قال ذلك وقد بدأت علائم الغضب في
صوته المرتفع وهو يخرج الكلمات بسرعة فائقة مع التشديد والتأكيد
فساد القبو سيكون مخيف . قطع أحدهم حبله وقال موجهاً كلامه إلى
اصحابه : -

ان شيخنا قد نقض يده من عندنا اليوم ، فخرمنا من افكاره التي تنورنا بها ردها من الزمن. فما علينا والحالة هذه إلا ان نعمل على ارضائه كي لا نحرم من افكاره الراقية، وآرائه السديدة ، ونقوم باقتناص صيدنا بأحسن وسيلة ، وبأسرع وقت: هذا اذا كنا من أعوان الشيخ المتنورين بخبرته والمستفادين من مهارته وافكاره . فقال آخر :

وكيف ذلك ؟

- يذهب الشيخ الى الضيفين ويعقد معهما جلسة ممر مسرة الى وقت متأخر من الليل . وفي أثناء ذلك يطرق اثنان منا الباب الخارجي فيهب الشيخ ويفتح الباب . فيدخلان ، ويدعيان انهما عن ساقتهما الصدف الى هذا المحل بعد ما ضل الطريق . ثم يجلسان ويتامان وقت النوم مع الضيفين ، وعندما يستسلم الكل للنوم ينهض الفارسان من مضجعهما ويباغتانهما بالضرب ، ثم يشدان وثاقيهما أو يقضيان عليهما . وعند ذلك نكون قد حصلنا على فريستنا بسهولة ، وبدون مشقة أو كلمة . فقاطعه الشيخ وقال :-

سأعمل على تنفيذ خطتكم . فليتهياً اثنان منكم . قال ذلك وسكت . ثم سمع جرير وقع أقدام متشاقلة على الدرج من جهته السفلى . وقبل ان يروح جرير محله سمع صوت آخر يقول :

ولا ينسى شيخنا من لبس درعه واخفاء سيفه تحت ثيابه ، للحيلة والحذر .

ولما كانت الاقدام لم ينقطع صوت اصطدامها بالدرجات فقد ظن جرير انه الشيخ قد أنسل من مجالسهم وقصدها لأجل ان ينفذ دوره في المؤامرة على مسرح الدبر . لذلك امره يركض على اطراف اصابعه . وما ان

وصل الى عامر حتى رآه جالساً ورأسه مطرقة الى الارض ، يحاول بين
الآونة والاخرى تعديلاً فلم يقدر أو يستطع . فيقن انه قد تخدر من
تلك الرشقة التي أخذها من قدح النبيذ . نخاف سوء العاقبة ورداءة
المنقلب وتقدم الى عامر . وقد نسي القروق الاجتماعية ، ولم يعترف بمنزلته
بالنسبة لعامر . وبدأ يهزه هزاً عنيفاً ، يحاول إيقافه ، فلم يفلح . لذلك
شمر عن ساعده فصفعه صفعه قوية على خده كانت سبباً لايقافه وتنبهه
فانتفض عامر من ألم الصفعة وقال :-

أراك قد جئت يا جرير ! فتحدثيني وغررت بك نفسك وتناولت
علي وجازيتني بهذا الجزاء الذي لا يمكن ان يقوم به شريف . فالعاقول هو
الذي لا يركن الى الحاشية الوضيعة والبطانة السيئة ، ولا يعتمد على
السوقة والخدم ، دعاة الرجس والذيلة .

قال ذلك بعد ان امتشق حسامه واستوى واقفاً . وما كاد بهم بسيفه
على رأس جرير حتى سمع الشيخ يصيح :-

مهلاً مهلاً . ما هذا التطاول وهذه الجسارة ؟ هل بلغت بك الخسة
الى هذا الحد ؟ وتفتحم دار الأمان والطمأنينة ، لتسفك بها دماً محرماً ،
وتزهق نفساً بريئة دون أن تلتفت الى حرمة المحل وقديسيته ، أو الى الضيافة
وآدابها . قف ولا تتحرك ، فان تحركت ونفذت بعيتك وما هممت به
لتكونن من المقتولين الذين تلقوا جزاء صنيعهم وذاقوا عاقبة عملهم
وأمرهم . فالتفت عامر الى الشيخ فحجل منه بعد أن وقعت كلماته عليه
وقوع الصاعقة . لكنه تمالك زمام نفسه الجارحة فقادها بمقود العقل
والبصيرة ثم وجهها الاتجاه الحسن . فبدأت أعصابه المتوترة الثائرة .
عندما علم ان كلام الشيخ يتفق والحقيقة ويألف والواقع ، فاستسلم للالهانة

والتقريع رغم انها استهدفت كرامته ، ووقف وقفة المغلوب على أمره ،
يمتدح عما صدر منه عند ثورة النفس وتوتر الاعصاب ، وحدة الغضب .
ويقول : -

أرجو ان تغفر لي ذنبي ، وتسامحني على هفوتي ، وتصفح عن ذلتي .
كما أرجو من جرير ألا يحمل اهانتني له بالحمل السيئ . لأنه عالم بسريرتي
ودخيلة امرئي . وقد يفقد المرء وعيه وادراكه ، ويفلت منه ذاك ، فيستسلم
لثورة النفس وحدة الغضب . عندما تحجب العاطفة المضللة نور العقل ،
فيتيه المرء في حزوب غيه وضلاله ويضل في مفاوز تهوره وتسرع ،
فيحظى بانحس العواقب ، وينال انعس الجزاء ، فيديت في صحراء الخيبة
والفشل عندما تحز الندامة قلبه ويحرق الحياء شعوره .

وقد يحق لي كل هذا التهور أيها الشيخ الوقور ولا سيما وقد تلقيت
الصفعة القوية من جرير دون سبب مبرر . جرير الذي نشأ في ظل قصرنا ،
ونال من نعمتنا ما نلته أنا . ولم يعامل معاملة الرقيق أو الخدم . لأنه
كان يعتبر بمنزاتي ومستواي ، وقد نشأت واياي على الاخاء والمودة ،
وروابط الصداقة الصادقة تربط قلبينا دون تمييز أو التفات الى الفروق
التي اوجدتها تقاليد الناس الضعيفة ، ونظمهم الواهنة فكان مثال الأخ
الجسيم والصديق الصادق في التضيحية والتفاني . فكم انقذني من الهلاك ،
وكم خلصني من المآزق الحرجة . لكن شيطان العاطفة قد استغل رقدي
فنشط عزمي وقوي في كياني على أثر الصفعة . وبدأ يعزف لي موسيقى
الارستقراطية التي ذكرتها بما فطرت عليه عند الطفولة . فاستفز بي تلك
الروح التي لا أقر بها أو أعترف بوجودها عندما يكون العقل مسيطراً
علي . لاني لا اتفق ومطالب الفطرسه الفارغة والارستقراطية الجوفاء ،

التي نشأت في أبراج أهل النفوذ والجاه الذهبية ، فحالت دونهم ودون معرفة البشر وطبائعه ، لاستعجلاء اموره الظاهرة والخفية وللوقوف على ماهية الحياة وجوهر المجتمع .

وقد لاحظ جريب اصغاه الشيخ الى حديث عامر اصغاه تاماً . وكيف كان يحرق الارم عندما كان عامر مسترسلاً في حديثه ، وكيف كانت علامات الندم بادية عليه من جراء صنيعه هذا ، حينما علم بالدافع الذي دفع جريب الى تحدي سيده . فقال بعد سكوت سيده : -

ليغفر لي مولاي زلي . لاني لم أكن في اللحظة التي تحديته فيها اشعر إلا وأنا امام من اغلظ القول لسيدي ، وذلك على أثر تسرب سنة ضعيفة من النوم التي ففطت بصري ثم افقدتني اتزاني ، وسلبتني تفكيري وادراكي . فاستسلمت لهذا الطارق الفضولي حتى أوقفني أمام الشبيحين اللذين يمثل احدهما سيدي في دور المظلوم المعتدى عليه من قبل الشبيح الآخر . ولذلك انتصرت لسيدي . وما ان اخرجني صدا الصفعة القوية من موقفني واصحاني من سكرة النوم التي لازمتني حتى رأيت نفسي أمام سيدي يمتشق حسامه يحاول اغماده في صدري ، فعملت اني قد مثلت الدور على مصرح الحقيقة ، لا على شاشة خيالات الاحلام والالوهام ، وعلمت ان الالهانة كانت لسيدي لا للشبيح الذي تصدى الى اهانتة كما صورته لي الرؤيا ، وزخرفته لي الخيال .

ولم يلبث جريب حتى انكب على قدمي عامر يقبلهما ويتعرج في ترابهما يطلب العفو والمعذرة ، ولما استخلص كلمة العفو من بين شفتي عامر ، اتجه الى الشبيح يقبله ويشكره على حسن صنيعه ويقدر جهوده وفضله التي ان دلت على شيء فانها لا تدل إلا على كرم الاخلاق وحسن المعاملة ،

مع الحرص والسهرة على كل من تقياً ظل سقفه ونشد الراحة في قلعة .
فالتفت الشيخ الى جرير ولسانه يتعثر ببرد الشكر والثناء له ، لانه لم ينخدع
بكلامه الخلاب ولا بعباراته المنمقة التي لا تتم إلا على حيلة صائغها ومهارته
بالطلي والتمويه ، لاخفاء الحقائق وطمس معالم الاشياء التي يتعذر اظهارها .
فقاطعه بعد ان استثقل وقم كلامه وقال :-

أنا لا استحق الشكر والثناء لأنني خدمتكم بحكم الواجب المفروض
للضيوف على المضيف . قال ذلك بمرارة وألم لأنه قضى على آماله وأحلامه
بنفسه وأضاع الفرصة التي واثته بالنصر الأكيد والنجاح التام بتسريعه
وعدم تربيته وذلك عندما حسب ان عامر بهم يقتل أحد أصحابه الذين لم
يحضروا مجلسه في ذلك القبو . ولهذا خاف العاقبة وتطير من المصير . ولما
اظهر له الواقع عكس ما كان يتصور أو يتوقع انقلب على نفسه باللائمة
والتقريع ثم استأنف حديثه وقال :-

لم أتصور انك تروم قتل صاحبك أو (خادمك) ولكنني تصورت
انك ترد الصاع صاعين لمن فاجأك من الاشقياء الذين يملأون هذه
الوديان ، وقد دخل الدير حينما رأى الباب الخارجى مفتوحاً فدخل قصد
الاجرام . وقد حلت بينكما كي لا تدنس أرض الدير المقدسة بدمه ،
ولا كفيك شره عندما أجره الى خارج الدير فأصفي الحساب معه . ولكن
الحمد لله على حسن العاقبة والمنقلب والحمد لله ثانية على خلاص جرير من
فتسكك به وأنت في سورة الغضب وثورة العاطفة . ثم التفت الى جرير
يطمئنه ويهدئه بابتسامة خبيثة صفراء ضمنها كل معاني التحريض ولا سيما حينما
حرك زاوية فمه اليسرى وأردفها بغمزة بأعلا وجنته كانت سبباً في تحريك
جفن عينه اليسرى بتلك الحركة الخفيفة التي يريد من ورائها ان يتغاضى

جرير عن ذنب سيده الجسيم بما يستحق من الحساب العسير .

فأظهر جرير للشيخ ما يسمه ويرضيه حيناً رد على اشارته بهزة خفيفة خفية برأسه، اشارة الرضا ودليل فهم الغرض والمقصد الذي يريده الشيخ ويتوخاه منه . فقد عرف اللغة التي يجب أن يكلم بها ذلك الشيخ بعد أن اتبع حركاته وسكناته وفهم أهدافه السيئة ومراميه الدنيئة . لذلك فأن الشيخ قد اقتنع بموافقة جرير على آرائه واعماله التي تستهدف التنكيل بعامر ، وايقن انه سيكونه واصحابه مشقة القتل وعناء التفكير فيه وسيقضي على سيده في هذه الليلة فقد أمسى موتوراً جريح الكرامة .

وبيناهم كذلك إذ سمعوا طرقاتاً قوياً على الباب الخارجي ، فأسرع الشيخ يستطلع الأمر ليتحقق من هوية الطارق ومقصده بمثل هذا الوقت الذي يتعذر السير فيه ولا سيما في هذه الارض .

وقد افترس جرير فرصة انشغال الشيخ وابتعاده عنها فقال لعامر بصوت خافت غير مسموع : -

كن على حذر الليلة ولا تنم فأن نمنا فستكون نومتنا أبدية . فالسلامة بالحذر والتحفظ .

- وما حاجتنا الى الحذر والتحفظ والسهر ونحن في محل الأمان والطمأنينة قال عامر ذلك متعمداً ليزداد معرفة من جرير فيستدرجه الى معرفة السبب الذي جملة يتحداه فيضربه .

- لقد اطلعت على كل شيء في هذه القلعة المنعزلة ، وفهمت سبب بنائها في هذا المحل الخيف ودواعي سكنها واعمارها بعد أن توصلت الى معرفة أهداف سكنها .

- وهل غير الشيخ بشر يمكن هذا الدير ؟

- لم يكن هذا دبراً خاصاً بالشيخ . وإنما قلعة يأوى إليها قطاع الطرق
واللصوص ، لیتصيدوا الناس فيسلبوهم أموالهم واسلابهم . وما ذلك الشيخ
براهب متبتل منقطع الى ربه بالعبادة لكنه رئيس السفاكين وزعيم اللصوص
الذين يسكنون القلعة الآن .

فرد عامر عليه يريد استدراجه الى الدواعي والاسباب التي دعتة الى
ضربه فقال :-

اني لأجدك اليوم قد انخرفت بتفكيرك ، وتصرفاتك ، وقولك عن
جادة الحق فابتعدت عن الاتزان والعقل . هل اصابك مس من الجنون ؟
أم حطمت اعصابك رعدة الخوف والفرع أثناء تغلغلنا في الصحاري
المقفرة ، واجتيازنا الحزون المريعة ، وسلوكنا المسالك الضيقة المخيفة ،
وصعودنا الجبال العالية الخطرة ؟ أم تعمدت التظاهر بالجنون لتثنييني عن
عزيمي ، وتحول دون تنفيذ خطتي وتحقيق مهمتي . لخوفك وفرعك من
أن يصيبنا أذى أو يلم بنا مكروه . فان كانت غايته هذه فارجع يا جريـر
إلى اهلك راشداً مهدياً لا لوم عليك ولا تثريب .

- لم اكن كما تتصورني يا سيدي ، إذ لم يمسنى خبل أو جنون ، أو
يصيبنى ضجر أو ملل من مصاحبتك . وقد وهبتك حياتي وأنا الآن
ضعيفتك . ولاجل ان تطرد الشك والريب من مخيلتك ارجو ان تسمح
لي بأن اطلعك على الاشياء التي شاهدتها وسمعتها بنفسي ، حينما كنت
مدفوعاً بدافع الشك وعدم الاطمئنان .

- تكلم واوجز .

فقص له جريـر جميع ما شاهدته وسمعه في تلك القلعة ثم اردف وقال :-
ومصدق قولي ما استراه الآن من أمر الشيخ الذي خف الى صديقيه ،
وقد تزيا بزي فارسين ، قصداً الدير للراحة والاستجمام . قال ذلك

وسكت حينما سمع وقع اقدام الضيفين والشيخ . وما ان رأها عامر حتى ظهرت على وجهه علائم الرضا والقبول والتصديق بكلام جرير . لكنه قد تغير وتبدل حينما رأى الشيخ يتقدم الفارسين . فزع وجزع . لكن جرير طمأنه وهدأه بنظرة خاطفة . ولم تمض فترة وجيزة حتى بدأوا الحديث ، وقد اظهر كل الارتياح من بعضهم البعض . ثم نهض الشيخ وهم بالخروج ولما اعترضوه قال : -

اظنكم بحاجة ماسة الى النوم الآن ولذلك فاني سأغادركم . وقبل ان يغادروهم التفت الى الفارسين فرمقها بنظرة خاطفة عبر بها عما اتفقوا عليه ، ولما أحس بمراقبة جرير لحركاته وسكناته انتحل لنفسه عذراً يستتر به تلك النظرة وقال : -

لا شك ان ضيفينا الجديدين بحاجة الى الطعام والشراب :
فرد عليه احدهما وقال لا يا سيدي ولكننا بحاجة الى النوم فقط ولما خرج واغلق الباب اختطف المفتاح أحد الفارسين .

- ١٣ -

اضطجع القوم كل في مرقده ، فنام جرير وعامر في فراش واحد كما نام الفارسان في فراش واحد كذلك فتسنى لكل منهما التشاور والتآمر كالاتفاق على تنفيذ الخطة في وقت معين . وقد استفاد عامر وصاحبه من بعدهما عن الفارسين إذ تمكنوا من رسم الخطة التي تدفع عنها الخطر الذي اصبح عنهما قاب قوسين أو أدنى . فاتفقا على وضع الرجلين بالاغلال في منتصف الليل ليتمكنوا من الفرار تحت جنح الظلام .

هذا ما اقترحه جرير فرد عليه عامر وقال :

وكيف تقدر على الفرار والمفتاح عندهما ؟

— تأخذه .

— وكيف تأخذه ؟

— تتظاهر بالمفص الشديد فنطلب المفتاح منها كي نخرج لقضاء حاجتك ، فیرحبان بذلك لينقضا علي وأخذاني اسيراً دون كلفة أو جهد ، لأنني وحيد بين قوتين متكاتفتين متعديتين . اما أنت فأفتح الباب وتظاهر بالخروج علي ان ترجع متخفياً وتقف علي مسافة قصيرة منها دون ان يشرأبك وحينما تحس بأنهما علي وشك الهجوم علي فبادر اقربهم اليك بضربة قوية علي رأسه . فاعمل انا بالآخر كعملك ثم يكبل كل منا قريسته بعد ان يجرده من سلاحه ويحول دونه ودون الصباح والاستنجاد بوضع الكلام في فمه فنتركهما كذلك ونخرج متسترين بالظلام .

ولم يكذب يفتي جرير من كلامه حتى نهض عامر وقام بتمثيل الدور الذي اسند له بحذافيره ، وما هي إلا فترة وجيزة حتى اصبحت الفكرة حقيقة واقعة ، حينما جنم كل من عامر وجرير علي صدر خصمه يكبله بعد ان افقده الوعي والادراك من عظم الصدمة التي تلقاها . وخرج عامر وجرير وركبا جواديهما ولاذا بالفرار يسابقان الريح وهما لا يلتفتان ولا يلويان علي شيء .

وما ان تنفس الصبح حتى كانا قد قطعا من الأرض مالا يتصوره المرء لو عورتها وصمة رقعتها وفي كل سيرها هذا كانا قد اتخذنا الحذر الشديد والحيلة واستعدنا للطوارئ والمفاجآت خاصة وقد كانا يتوقعان ان يلحق بهما أهل القلعة لذلك واصلا سيرهما الليل بالنهار دون ان يركنا الي الراحة إلا في فترات بسيرة لا خوفاً منهم ولكن تحاشياً من وقوع الشر

الذي لا يناسب نفسيتهما وطبعهما . فاستمرا على مواصلة السير في تلك
 المفاوز الخيفة التي لم يعمرها إلا ما هو ضاري مفترس ، وبين تلك الوديان
 السحيقة البعيدة الغور . سارا أياما ولياليك انسهبها مشاق الطريق واتعبه
 عددها ومقدارها . فقدروها بثلاثين يوما بضمنها فترات الاستراحة
 والاستجمام القصيرة الأمد . لانهم لم يلتفتا الى الوقت الذي قضياه في
 سيرها إلا بعد أن عذت لهما على البعد ، ابراج عالية ، وأبنية مرتفعة
 فوق تل متوسط الارتفاع . ولما واصلا سيرها أصبحا على بعد قريب من
 تلك المرميات التي تراءت لهما من ذلك البعد الشاسع ، فتمكننا من مشاهدة
 مدينة عامرة تطل على سهول فسيحة خصبة ، وكثبان من الرمل متنتلة
 رغم كينتها ومقدارها وذلك بفعل الاغصير والعواصف .

وقبل ان يدخلنا المدينة من الباب الغربي لذلك السور الذي بني لمقاومة
 عبث البشر الطامعين في مختلف الأزمنة والعصور . سأل عامر أحد المارة
 بلغة القوم المتداولة عن اسم هذه المدينة . فأجابه الشخص بأنها تدعى
 « ازرنج ^(١) » أكبر مدن « سيجستان » . وأول مدينة في هذه الاصقاع
 احتضنت المسيحية وحدثت عليها .

فالتفت عامر الى جرير ، وعلائم الفرح والابتهاج بادية عليه وقال :-
 الحمد لله الذي هدانا الى ضالتنا ، واوصلنا الى بغيتنا رغم تشعب الطريق
 واختلاف المسالك . ألا ترى يا جرير اننا قد توصلنا الى المدينة التي كنا
 قد شدينا رحلينا اليها !

- أجل انه رؤوف بعباده الصالحين . ثم التفت عامر الى الرجل فوجده

لما يزل على وقفته يتسمع اليها ليستطلع خبرها ويستجلي أمرها . فاراد
أن يستفيد منه فقال له : -

هل تعرف أين يكون الدير الذي يقيم فيه الأب « تاريس » ؟
ولم يكده يسمع الرجل ذلك حتى قال لهما : -
اتبعاني بسرعة .

فسار وسارا خلفه حتى اخترق بهما المدينة من الغرب الى أقصى
الشرق فوصل الرجل وعامر وجريز خلفه الى الدير . وبعد أن طرق الباب
فتح ودخله على مريض من أهل الدير الذين ارتابوا في أمرهما لأنهما
غريباء . أما الرجل فقد غادرهما قبل ان يفتح باب الدير .

فشعر عامر بقلق القوم . لذلك أراد أن يزيل الشك منهم ويدفع الريب
عنهم فسألهم عن الأب « تاريس » . فقيل له انه في عزلة المهودة . ولما
طلب منهم مواهبته والدخول عليه ، أبوا عليه ذلك لتخوفهم منه .
ولاجل أن يطرد عامر الشك من قلوبهم ، أخبرهم بأنه وصاحبه موفدان
من الغرب اليه ، من قبل رئيس « الكنيسة الخضراء ^(١) » بتكرير صاحب
كرسي المشرق « المفيان ماروثا » وهما يحملان بعض الهدايا والارشادات
التي طلبها الاب « تاريس » من المفيان ، عندما كان بأمس الحاجة اليها .
ولم يلبث ان اخرج الكتاب المعلنون باسم الأب « تاريس » . والمرسل من
قبل المفيان ، وناوله لأحد الحاضرين ، ثم كلفه بايصاله الى الأب
فلاستئذان لهما بالمواجهة لمشاورته في أمر على جانب عظيم من الأهمية .

(١) يقول ابن حوقل : - ان الكنيسة الخضراء مبنية من الجص والطابوق
والحصا ، وهي مركز السلطة الروحية . أما القلعة فكانت مركز السلطة وبها عدة
دور عظيمة .

ولم ينتظر عامر إلا قليلاً حتى خرج من الغرفة المقابلة شيخ طويل القامة حاسر الرأس أبيض الشعر مسترسل اللحية بارز عظام الوجنتين ضامر البطن رشيق القوام ، يتجلبب بجلباب أصفر يسترسل الى تحت ركبتيه . فتقدم اليها هاشاً باشاً مرحباً فكان لقاءه يعبر عن الاخوة الحقة والحب الصادق . فكلما بالسريرية (اللغة المسيحية الرسمية في ذلك الزمن) ثم قادها الى غرفته فجلسا واستقرا في مجلسها بعد أن مرت فترة من السكون قضاهما الأب في تلاوة رسالة المقيان . وعندما أتى في قراءته على آخرها التفت اليها فجدد سلامه وتحياته وغمرها بموجة من المجاملات الحسنة والتلطف والتبسط . وكأنه قد عرف منزلة عامر الاجتماعية من رسالة المقيان . وفي فترة سكوت قصيرة انتهى أمدها بانتفاض الأب (تاريس) تلك الانتفاضة الفجائية . صفق بعدها مرتين ، فحضر أحد الخدم على الفور وقال :
أظن أبانا بحاجة بشرفني بقضائها ؟

- أجل يا بني . ارجو أن تحضر الطعام للضيفين السكرمين بكل ما اوتيت من السرعة . وما هي إلا ساعة حتى احضر الطعام في أطباق نحاسية واسعة . فالتفت الاب الى من رآه من الخدم وقال
ليحضر كل من في الدير من الاخوان كي يشاركونا الاكل . ثم التفت الى عامر وقال :-

أرجو أن يسمح لي ولدي عامر بهذا ، لاني قد تعودت مشاركة جميع من في الدير على اختلاف رتبهم ومنازلهم والاكل معهم على مائدة واحدة لا فرق عندي بين واحد وآخر فالكل سواء ، لعدم اعترافي بما يقر به الناس ويعترفون من وجود الحواجز بين فاس دون آخرين . تلك الحواجز هي حواجز الانفضلية بالرتب والمنازل والالقاب ، التي خلقتها

المادة وتبنيها الفطرية فربتها الإنسانية وحب الذات ، واكملت فضيلتها
ونحوها الأغراض والمقاصد الشخصية التي تربي إلى التحكم في رقاب العباد
والتصرف بأموالهم وحرمانهم . وبإليت أنها القاب ورتب وأفضليات تقال
عن كفاية ومقدرة وجدارة ليتم بواسطتها الصلاح التام والسعادة
الدائمة . ولكنها جوفاء خرقاء . يتوصل إليها المضلون المدجلون بغير
جدارة تذكر أو عمل مثمر .

ولهذا فاني أجاس وخدم الدير ورهبانه وقسمه على طبق واحد دون
حياء أو تعفف لا بدافع المداخنة والدجل والرياء والتفضيل بل بدافع
الإنسانية المجردة من الاوشاب والأدران والبراقع والحوازر والاستار
تلك الروح التي تجمل من المرء شخصاً يلتأم والإنسانية في الميل والشعور ،
ليشارك وياهم في عمل واحد يحقق غاية واحدة تعود بالخير والسعادة
على المؤازرين المناصرين ومن ثم تعم المجتمع الإنساني بأكمله فقاطعه
عامر وقال :-

هذا دليل على شدة تمسكك بالدين وتعلقك بالفضيلة التي اجتبتك
وسمت بك ، وهذا هو البرهان الناصع والعمل الواضح على ما عند المؤمنين
من الشعور ، الذي يوحد الميول والأهداف ، رغم الاختلاف بالعنصر
أو التباين في الزمان والمكان . فعملك هذا هو كل ما نصبو إليه نفسي ،
وتتوق له بالرغم من تربيتي الأرستقراطية التي تتطلب مني تقاليداً أن
اتقيد بنظمها الواهية وقوانينها البالية .

ثم استأنف « تاريس » اجتماعه بعامر وجريز في غرفة الخلوة . وذلك
بعد الانتهاء من تناول الطعام وحديث المائدة ؟

بدأ عامر يخاطب « تاريس » ويقول :-

ان ماروثا مطلع على أمرك تمام الاطلاع . فحملك مستودع مره ،
ومن يركن اليهم وقت الشدائد والمهبات . لذلك كلني بانجاز مهمتي هذه
بمساعدتك ومؤازرتك واستشارتك ، قبل البدء بالعمل . فهل كانت بينكما
معرفة سابقة ؟

- نعم : كانت بيننا معرفة وصداقة متينة العرى والاواصر ، من عهد
بعيد ، يوم كنت والمقران نتلقى العلوم والفلسفة في دير « مارزكي » على
يد الربان « ثاودور » فكنت وياه على أحسن ما يكون من الصفاء والمودة
والوثام ، يوم كانت الشعور الموحد والمشارك تجاه ما فراه ونحسه ، أو
ندركه يوحد قلوبنا ويؤلف بينها ، وقد ازدادت تملقاً به ووثوقاً
بصداقته ، لافكاره السامية واعماله المتزنة وتصرفاته الحسنة . لكن
المهمة التي كرسنا حياتنا من أجلها قد فرقتنا فابعدتنا عن بعضنا ، يوم
دعته كنيسة « الرثا » فكنت رفيقه في سفرته ولكن الواجب قد
دعاني اثره عند الربان « توما الضرير » فارجع الى دير « مارزكي » فلم
امكث فيه بعد غياب « ماروثا » إلا ثلاثاً . وقد غادرته على اثر انتخابي
لهذا المنصب .

- لذلك فانه يفتي عليك ، ويشيد باخلاقك وصفاتك . وقد كلفني
بمشاورتك بالامر الذي جئت به قبل البدء فيه .
- عهدي بماروثا انه قد وهب نفسه لله ، وكرس حياته للدين ، وضحي

براحته في سبيل مبدئه وعقيدته ، فعزيز قواه وركز جهوده لاعلاء كلمة الله في كل مكان .

- وهذا هو الدافع الرئيسي الذي دفعه فافندي الى هذه الاقاليم التي يكاد بصيص الدين فيها يجبو وينطفئ . . نخوفاً من ضياع جهود اصدقائه أمثالك من أن تذروها رياح الكفر العاصفة ، أو تحتاجها أمواج الظلم النائرة . هب لنصرةكم وانتفض لمساعدةكم بعد ما انجز مهمته في ديارنا والمحلات المجاورة لها . . .

فقاطعه الأب « تاريس » وقال :-

ان الجهود التي بذلناها هنا كافية لرد كيد الكائدين من المشركين الضالين .

- حقاً ما تقول أيها الأب الجليل . جهودكم قد ثبتت أسس الدين وعززت بنيانه حينما قوت أركانه وأعمدته . أما نحن فنتخوف من النساطرة الذين بدأوا يضايقوننا نحن اليمامة في كل مكان . فيثيرون الفتن المتكررة ضدنا وضد مذهبنا . وأنت تعلم ان تعاليمهم لا تلتأم والدين الحق الذي نورنا به السيد المسيح ، لأنهم انحرفوا عن الطريق السوي ، وزاغوا عن جادة الحق والصواب . قالوا مع أهواء أكسرة الفرس الذين اتخذوا من المذهب الفسطوري واسطة ، بل مطية للوصول الى اهدافهم الخاصة ، التي تجعلهم يتحكمون في رقاب الشعوب ، فيبتزون أموالهم وخيراتهم . وقد تم لهم ما ارادوا ، وتوصلوا الى ما كانت تصبو اليه قوسهم وتثوق له . فباتت حال عذر نشر الدين وتغريزه وترويجه غزوا البلاد ، وحاربوا الامم . فقتلوا المعارضين الذين تصدوا لهم بعد ما عرفوا أغراضهم ، واطلعوا على اهدافهم وغاياتهم .

وقد شعرنا بالخطر النسطوري وبالأحرى خطر ظلم الأكاسرة بتهديدكم
وبحقيق بكم . فقررنا تلافى الأمر قبل حدوث الكارثة ، واتخاذ الجسيطة
والحذر قبل ان يقضى على جوهر الحرية وماهية السمادة التي جاء بها
الدين . . .

فرد عليه « تاريس » وقال :-

نعم يا ولدي ، فأني قد احسست بهذا الخطر منذ أمد بعيد ، عند ما
بدأت طلائع الغزو الصامت في بلادنا قبل سنة ، وذلك ان المبشرين
بالنسطورية كانوا يتجولون في البلاد بزي التجار الغربيين . فيدسون
السم بالعسل . وكثيراً ما كانوا يدخلون بعض تعاليم النسطورية اثناء
ثناءهم على مبادئ اليعاقبة وكثيراً ما كانوا يشيدون بكرم اخلاق
الأكاسرة ببعض الروايات الملفقة والقصص المختلفة عند ما كانت الفرص
تسمح لهم . فكنت امنع الناس من الاتصال بهم والاستماع الى اقوالهم
كي لا تنسم افكارهم . واسكن القوم سفسطائيون يستميلون الناس
بتطليلهم وتزويرهم أولاً وبتهديدهم باسم الأكاسرة وبقوة السلطان ثانياً .
لأنهم حسبنا كانوا يفهمون الناس ، انهم يعملون من أجل الملوك والامراء .
فقاطعه عامر وقال :-

لدي من كتب «مارونا» ما يسخف أقوالهم ، ويرد كيدهم الى نحورهم
إذا ما عاننا على ترويح ما فيها من الآراء ، والتعاليم بين الناس . فلنبداً
بها الآن فن الضروري ان تطلع عليها .

ثم التفت الى جبرير فاذا بالنعاس يداعب اجفانه ، من جراه السكوت
والاصفاء فقال له :-

يظهر انك بحاجة الى النوم يا جبرير ؟

- أجل يا مولاي .

- لكنني أرجوك أن توافينا بالكتب والرقوق التي زودتنا بها « مارونا » ليطلع عليها الاب « تاريس » كي نسير على ضوء آرائه وافتراحاته ، التي لا يمكن الاستغناء عنها .

فقاطعه تاريس وقال :-

أشكر لك حسن ظنك بي ، كما أقدر فيك تضحيتك واهتمامك في الدين ، عند ما تقعمت وجبر الأموال والمخاطر في سفرة - كما . ولا سيما وقد سلكتما الطرق الملتوية الخطرة .

- لم نسلك تلك الطرق أو نتغلزل في تلك الصحارى والمضائق ، إلا توفيراً للوقت في الوصول ، وتجنباً من الاخطار . ورغم ذلك فأتنا قد تعرضنا للاخطار الجسام التي كنا نتحاشاها . ولكن حكمة جرير ورجاحة عقله قد امتزجتا واتحدتا بشجاعته فكانت سبباً لنجاتنا من الهلاك الحقيق والدمار الاكيد .

- وكيف ذلك يا ولدي ؟

ولما قص عامر قصة سفره مع جرير . عجب تاريس ، وعدد نجاتهما معجزة خارقة فحمد الله على سلامتهما ، وحفظهما من كيد الكائدين المتربصين للابرياء في المفاوز والطرق طمعاً في اسلابهم ومؤونتهم . ثم اتجه الى عامر وقال :-

فلو سلكتما الطريق الممهودة لتعرضتما الى اخطار اعظم وأجسم ، ولصادقتما أعداء ألد وأقوى . لأنهم يقصدونكما بالذات ، ومهمتهم تنتهي بالقضاء عليكما ليحولوا دونكما ودون ما تبغيان .

فاجعل مامر • وانتفض كمن أفاق من سبات عميق بعد الوخز المؤلم أو الصوت العالي المزعج • ثم قال :-

لماذا يقصدوننا بالذات مع اننا لم نجن على احد • ولم يعلم بسرنا بشئ في هذه الاقاليم ليحول دوننا ودون تحقيق أهدافنا التي نصبطدم بمصالحهم الخاصة • فنعمل على تقويض صروح طغيانهم وجبروتهم • فهمتنا أيها الأب لما نزل في طي الكنف ، وسراً مخفياً عن الناس ، عدا بعض الشخصيات التي حضرت الاجتماع بالكنيسة • وعم من عليه القوم وأعيانهم •

- ليس الامر كما تظن وتمتد • فالقضية قد تطورت كثيراً وقطعت مراحلها الاولى وهي في طريقها الى مرحلتها الاخيرة الحاسمة • فالسر قد فشى وانتشر وعلم به القاصي والداني من اعدائنا واصدقائنا • فالذي نشره وفشاه هو احد من حضر اجتماعكم في الكنيسة وتمكن من ان يفهم مقرراتكم التي تتوقون بواسطتها الى نوال أمانكم وغاياتكم • لذلك خف اليما فاعلم النساورة بامرك • وزاد في تحريضهم عليك • لذلك بثوا عيونهم وجواسيسهم وفرسانهم في الطرق والصهارى كي يتصدوا لكم فيحولوا دون وصولكم كما ولو أدى الامر الى قتلكم •

ولا أظنهم قد انتهوا من البحث عليك أو ينتهوا بعد • وسنحول دونهم كما حال الله دونك فذاك ورعاك برعايته انت وجير • ولم أقصد بكلامي هذا افزاعك او اراعتك • وانما اريد تنبيهك وايقاظك لتأخذ للامر حيطة وعدته كي لا يأخذوك على حين غرة • فخرصي عليك وعلى اداء رسالتك ومهمتك في هذه الاقاليم هو الباعث الأساسي • لأنني وأيم الحق بعز علي ان ينالك ما يضرك أو يفيضك ، كما بعز علي أن أرى

الدين بهان ، والمذهب اليعقوبي تهتك حرمة ، وتذلل عزته ، وتطأاً
 ليحط النساطرة كرامته . أولئك الذين لما يدخل الايمان في قلوبهم بعد ،
 فحرارة نار الجوسية قد اضرمت قلوبهم فعزلتها عن الدين المسيحي الحق .
 وأظنك لا تجهل النساطرة « السريان الشرقيين » اتباع « نستوريوس »
 صاحب الكنيسة التي لم يعترف بها الرومان . وقد كان بطريقاً للقسطنطينية
 في بعض أيامه . وقد مات في منفا سنة ٤٥٠ م ، فاتباءه يقولون :-
 « إن للمسيح طبيعتين متميزتين : الطبيعة اللاهوتية ، والطبيعة
 الناسوتية » ، بخلاف قولنا إذ نقول : « ان الله والإنسان قد اتحدا في
 طبيعة واحدة هي (المسيح) » .

وقد دخلت عليهم آراء أخرى وتعاليم منافية لما عندنا من الآراء
 والمعتقدات لأنها وليدة التساهل والتساع مع الجوسية الصلبة التي اندست
 في صلب مذهبهم عند ما جازوا ملوك الساسانيين المتمسكين ببعض
 تعاليم الجوسية رغم تنصرهم . فالنساطرة هم انصار الجوسية المسبوكة في
 قالب جديد لم يغير منه إلا المظهر الخارجي .
 فرد عليه عامر وقال :-

وبناء على ما فهمنا من هذه المعلومات التي ذكرتها عن النساطرة .
 قررنا تعميم تعاليم مذهبنا « اليعقوبي » في هذه الربوع التي لا تزال
 متأثرة بتعاليم الجوسية دون ملل أو ضجر أو خوف . بالرغم من جهودكم
 الجبارة ، ومثابرتكم على محارم المعصية ، وتضحياتكم الفذة ، مع مقاومتكم
 العنيفة ، بالاضافة من انكم غرباء الديار ، مخالي المذهب والعقيدة ، حسب
 عرفهم وعاداتهم .

وسنوحدهم جهودنا ، وتقوي عزماتنا ، فنوجهها مشتركة الى ما فيه

الاصلاح فالصلاح ، دون ان نلتفت الى ما يحدث أو نسمع الى ما يقال ، بل نواصل العمل ، ونستمر في القول ، لننهي مهمتنا على أتم وجوه الكمال .

- شكراً يا ولدي ، على هذا الايمان الراسخ ، والعزيمة الثابتة ، وعلى تحمسك للعمل الذي من شأنه ان يدعم الدين المسيحي بدعائم قوة الحق . وقد أرجع اليك فأذكرك بان لا تنسى الحيلة والحذر ثم التريث والتدبر قبل البدء بالعمل ، واثناء الاستمرار فيه . فلا تغفل عن كيد الكائدين الذين يتربصون لك بصورة خاصة ولمذهبنا ومناصريه بصورة عامة ، ولا يدفمنك دم الشباب الحار الى المهالك والمكاره ، أو يسوقك الى مهاوي الدمار . فذلك ما يعرقل مساعيها ، ويقصينا عن غايتها ، بل ويفقدنيها . فبسلامتك ادراك الهدف وتحقيق الغاية . فاحرص على حياتك حرصك على دينك وعقيدتك . لأنك لم تخلق لنفسك وشخصك ، وتظن ان حياتك لا تنهم غيرك . بل انك خلقت لمبدئك وعقيدتك أيضاً . واعلم يا عامر انك ستجني الجناية التي لا تغتفر ، وترتكب الخيانة الكبرى ان انت اقحمت نفسك في المهالك وزجيتها في المآزق . لأننا بامس الحاجة اليك لتحقيق أهداف الدين ، وتقوي اركانه ودعائمه ، بمقدرتك العلمية ، وبما زودك به ماروثا من التعاليم والارشادات .

فسمكت الأب « تاريس » برهة كأنه يريد استئناف حديثه أو السماح لعامر بابداء رأيه في الموضوع ، ليطلع على مدى تأثير كلامه في نفس عامر . فرد عليه عامر وقال :-

لا نفس أيها الأب الجليل حاجتنا الى التوضيح ، وافتقارنا للاقدام ، لنكمل أعمالنا بالنجاح الذي نحن بامس الحاجة اليه ، فمها صغرت قيمة

العمل أو كبرت ، فإنه لا يتم ولا يثمر الا بالاقـدام ، والاستمرار عليه
بالحمد المتواصل والاجتهاد الدائم بالاضافة الى التعاون والتآزر مع
الاصدقاء الذين ائتمنتهم بعد ان خبرتهم وعرفتهم بانهم اكفاء للنضال
والجهاد في سبيل المبدأ ، والدين أو العقيدة .

أما الاقدام على العمل والدخول فيه بدون تدبر ، أو ترور وتفكير ،
فلا يعتبر تضحية أو اقداما أو شجاعة ، وانما هو ضرب من ضروب
التهور ، أو سورة جنونية وقتية ، تعتري المرء العاجز الذي يحفز جميع
اعصابه وقواه لمجاهة أمر يحسبه نفسه غير كفء له . لانه يعتبره من
الجسامة والخطورة بمكان . فتراه لا يقوم عليه إلا بعد ان يفقد أماله من
الحياة التي اجتباها فاجبها وهام بهواها .

فانحن من أولئك ولا من هؤلاء أيها الاب المحترم . فستراني لا
اقدم على عمل لا يرضيك ، أو يرضي ضميري وضمير الانسانية .
رسأ كون طوع أمرك . اعمل بموجب ايعازاتك وارشاداتك ، واسير
على ضوء افكارك التي تلتئم وتتفق وتعاليم مارونا ، فنجاحي منوط
بمساعدتك ومؤازرتك .

- حسناً تقول يا بني ، ولا تحسبن ان سأتركك وشأنك في هذه البلاد
التي لم يكن لك عهد فيها أو معرفة سابقة ، ولاكني سأكون خير مساعد،
وأحسن نصير ولو اقتضى ذلك أبلغ التضحيات وأجسم الخسائر واقدمها
لأنك والحق يقال خير من عرف نفسه وقدرها ، لذلك استحققت
الاعجاب والتقدير ، وأحسن رسول من ابلى رجال الدين واكثرهم اطلاعا
وتضلعا فيه ، واني لأرجو لك فوزاً كبيراً ، ونصراً وتوفيقاً .

وقبل ان اختم قولي أرجوك أن تطلعي على تعاليم مارونا وكتبه التي

جئت بها من عنده . لا وحد قولي وغايتي وحجتي وهديني ، بشواك
وغايتك وحجتك وهذتك .

- لك الحق بذلك .

فالتفت عامر الى جرير فوجده قد اعد كل ما كانا يحملانه في سفرهما
من الكتب والرقوق ، وراه يميل الى اليمين والشمال تارة ، وإلى الامام
والخلف تارة اخرى بعد ان لعبت طلائع النوم ألاعيها في عضلاته
واعصابه ، فانزعجت منه زمام السيطرة على نفسه ، وبدأت تعيث به
كيفما شاءت .

فاخذها عامر من بين يديه وسلمها الى الأب « تاريس » الذي انكب
هو الآخر على قراءتها ، واستسلم عامر للسلطان الذي استسلم له جرير من
قبل . واخذ النعاس يداعب اجفانه ، والخور يتغلغل في أوصاله فيعمث
بها . لأنه بأمس الحاجة الى طاعة سلطان النوم الذي رأى اللذة الممتعة في
ذلته ومهاتته . لما كابد من آلام وقامى من التعاب .

وقد أحس الأب « تاريس » بهما وتحقق ذلك حينما التفت إليهما
فوجدهما بين اليقظة والمنام . عند ذلك نادى أحد الخدم . وقال له عند
حضوره :-

هيء الفراش للضيفين فأنهما بحاجة الى النوم .

وقد تيقظ كل من عامر وجرير على صوت الاب . ثم سارا خلف
الخدام الذي قادهما الى مخدع النوم . فاضطجع كل على سريره . وراحا
يغطان في نوم عميق .

انشغل « تاريس » بدراسة الكتب والرسائل فبدأ بأعادة قراءة الرسالة
الخصوصية من المفريان اليه ، وقد دعاه داعي الذكرى الى محافل الماضي
البعيد . فلباه دون وعي أو ادراك ، وانقاد له انقياد المطيع ، ليمجول في
حقول الصبا ومرائم الطفولة ، ومسارح الشباب . الى أن وقف به امام
مناهل العلم ، ومنابع المعرفة التي ارتشفها من تلك الكنيسة العظيمة بفضل
الاساتذة العالمين امثال « ثاورود » .

ثم بدأ يستعرض صور اصحابه واصدقائه ، فتوقف الشريط فجأة ،
فرأى صورة شاب وديع حسن القوام ، نظيف الملابس والبشرة ، ابيض
الوجه جهوري الصوت .

فهت نفسه الى تلك الصورة ، وتاقت روحه لها لأنها صورة «ماروثا»
فترك الرسالة وعكف على الكتب يقرأها ، ولمس مما قرأه افسكاراً وآراء ،
تلتئم وافكاره وتمتزج وأهداف الدين الحقيقية .

وفي اثناء ذلك سمع قرع الباب الخارجى بعنف وشدة ، وبعد فترة
قصيرة دخل عليه أحد خدام الدير ، فأخبره بأن رئيس النساطرة ورجال
ديره ، يطلبون مقابلتك بصورة خاصة ، لتسمح لهم بمقابلة الضيفين
لهذا كره في بعض الامور ، والاستفسار عن بعض الغوامض والخفيات
بالاسئلة والمذاكرة .

فقال الاب « تاريس » :-

خبر جميع من في الدير بأن يحضروا الى القاعة بلباس الرهبنة مخفين

اسلمتهم تحتها ، ثم يأخذوا عدتهم ويتأهبوا للخطر ، واوصهم بان يكونوا حذرين ، فيندسوا بين القوم ليكونوا على استعداد لحق طفل الشر الذي تتمخض عنه افكار القوم ونياتهم ، واذا اكملت ذلك فاذهب الى الباب وافتحه لهم .

وبعد ان نفذ الخادم ما أمره به تاريس ، فتح الباب وتلقاهم بالترحيب ، ثم اعتذر لهم ببعض الاسباب التي دعت الى تعطيل فتح الباب ، دخلوا دون تعليق فوجدوا الشيخ « تاريس » بانتظارهم ، فاستقبلهم وتلقاهم بالبشاشة ، والاستقبال والترحيب .

وقبل ان يجلسوا دخل جماعة تاريس بلباس الورع والتقوى التي تحفي تحنها سيوفاً مرهفة أعدت لتلافي الشر والحيلولة دون وقوعه إذا ما سولت للنساطرة نفوسهم به ، وعند ما لاحظ تاريس تغافل أصحابه بين النساطرة وجلسهم حسب وصيته ارتاح واطمان .

وقد مل ميلوس من فترة السكوت وضجر ، ولذلك قال موجهاً كلامه الى تاريس :-

قد تجد الغرابة ويأخذك العجب من زيارتنا المفاجئة رغم البرودة والاختلاف بيننا . فظهر تاريس عدم الاهتمام والمبالاة وقال :-

لا غرابة ولا عجب من هذه الزيارة التي كنت اترقبها قبل موعدها ، لا لتكن الزيارة الاولى والاخيرة ، بل الفاتحة للتفاهم ، ليشد بعضنا ازر بعض في مكافحة الشرك ومحاربة الباطل عند توحيد الصفوف ولم الشمل وجمع الشمل ، لأننا مهما اختلفنا في العمل ، أو تفرقنا في السبل ، نهدف الى غاية واحدة لنحقق أمنية واحدة هي اعلاء كلمة الله ، وبث مبدأ العدالة والمساواة بين هؤلاء القوم الذين اكتشفهم الجهل فانهمكم الظلم .

فقاطمه ميلوس وقال :-

إن الامر كما تقول وتعني ، ولـكننا قد اسأنا التصرف باتباع تعاليم
فطاحل العلماء والمرشدين أمثال (نسطوريوس) ، (اوطيخي) ، (يعقوب
البرادعي) ، لأننا عند نهجنا هذه الطريقة قد اختلفنا عن بعضنا وافقسمنا
على انفسنا حتى عسر علينا التفاهم فالاتفاق والتعاون ، قال الامر الى ما
هو عليه الآن . واني متأ كد تمام التأ كيد اننا مهما اختلفنا في العقيدة
والمذهب نهدف الى غاية واحدة وهي مناصرة الدين وذلك بتعميمه على
البشرية لتـكون المودة ويحصل الاخاء الذي بواسطته صلاح البشرية
وتطهيرها من الادران والاشواب . ورغبة في تحقيق الفكرة وتوحيد
المسلك أتيناك ايها الأخ نستأذنك في مقابلة ضيفيك الذين قدما من بلاد
الغرب قصد التبشير في اليمعقوبية .

- انك تعلم ما لا اعلم أنا وتدرك أموراً لا تزال مكنونة ومكتومة
ان كان لها نصيب من الصحة .

- اني واثق بصحتها ومتأ كد منها ، فقد استقيت هذه المعلومات من
حضر مجلس القوم في (الكنيسة الخضره) بتكريرت حينما قرروا ايفاد
الرجل وصاحبه الى ديارنا مبشرين بالمذهب المذكور وقد اخبرني اليوم
بمجيئها فزادني يقيناً ، لذلك أتيتك أنفس منك الاذن في النقاش معها
لأطلع على اهدافها ومراميها .

- وما يهمك من اهدافها ومراميها ؟ هب ان ما عندها من الافكار
والتعاليم تخالف ما عندك فما هو مقدورك عليها وما في حمايتي وتحت
رعايتي .

غفوا ايها الاخ لم اقصد اهاقتهما أو التعرض لهما بسوء بل أريد فهم

ساميتها وغايتها ، لأني أوجس خيفة من أن يدسها تعاليم اديان وثنية باسم المسيحية وبحجة مناصرة المذهب اليهقوبي المغلوب على أمره في هذه الديار ، وأنا في زمن كثرت فيه الدعايات الفارغة الجوفاء التي جاءت نتيجة للكبت الذي أصاب القوم من جراء انتشار الدين المسيحي بين طبقة الاشراف والنبلاء والملوك ، وقد لا تحمد عواقب الكبت لأنها تزيد في قوة عاطفة التمرد وتساعد على تنافر الرعية بعضهم من بعض فيزداد العداء بين الرعية وحاكميها من ملوك ونبلاء وقادة . فقاطعه تاريس بعد أن سئم من كلامه وضجر ، وقال :-

أراك تنقض أقوالك بأقوالك وتكذب نفسك بنفسك وتغالطها .
فإن كنت تتعمد اهانتنا دون أن تلتفت الى حرمة المحل وقديسيتة او تراعي شعورنا ، لا شك أنك قادم الى توسيع شقة الخلاف بيننا وسوف لا تقف مكتوفي الايدي تجاه من يتحدانا ويتحدى عقيدتنا ومذهبنا دون أن يعيرنا اي اهتمام ، تقول أنك متأكد من صحة خبر حجيئتها لغاية التبشير ، ثم تقول (اني أوجس خيفة منها من أن يدسها تعاليم اديان وثنية) ، فما هذا التبلبل في الرأي وما هذا الخلط والخطب ، ولستك قد تعمدت ذلك لظنك بأن كل المذاهب المسيحية تسمم الافكار ببعض التعاليم من الاديان الوثنية كما هو واضح عندكم انتم النساطرة ، عند ما نشرتم عقيدتكم بين الملوك والنبلاء من الفرس ، فانقادتم اليهم في بعض ما طبعت عليه نفوسهم من تعاليم المجوسية والزرادشتية مقابل ترويج مذهبكم بينهم ، وجعلتم بقايا تعاليم دينك الدين من صلب مذهبكم ، ارضاء لهم ، فسمعتهم الدين وطعمتم المذهب بما هو باطل مخالف ، لانكم لم تعتقوا الدين بعد الدراسة الحقة والتفكير الصحيح . ولم تقدموا عليه بدافع الرغبة المجردة من

الاغراض الدنيئة والـ كنـكم أردنوه مطية توصلكم الى جلب ود الطبقة الحاكمة من الملوك والقادة لنزهوا على غيركم وتفقروا كما هو شأنكم الآن .

فعجب « ميلوس » من هذا الكلام ، وتلك الحدة ، وذلك التطاول ، فهبت في نفسه ثورة الغضب ، كأنها الاعصار المفاجيء ، والتفت الى جماعته ، فازداد غضبه ، وتضاعفت حدته ، حينما رأى مبعثرين بين رجال اليعاقبة ، وايقن انه مغلوب على امره رغم احكام الخطة التي كان يهدف من ورائها ، أخذ الضيفين وما عندهما من الكتب بالقوة والقسر ، اذا ما عجزوا من دحض حجتهما ، وتسخيف قولها ورأيها .

فكنتم شعوره ، وكظم غيظه . حينما احس بتحيز اليعاقبة لمجابهة الشرور والاعتداء ، ثم اظهر البشر وانثنى على الاب « تاريس » يرت على كتفيه ، ليخفف عنه حدة غضبه بابتساماته الصفراء ، وضحكاته المصطنعة ، وقال :-

لم أقصد بقولي اهانتمكم او ازعاجكم ، او اهدف الى اي شيء آخر ، لاني لم اكن من المتبجحين بالنفوذ ، المتمشدين بالقول فانعرض لكم واحط من كرامتكم وقدركم . والـ كنـي ابتغي مواجهة الضيفين فقط ، فان كان طلبي يزججك او يضايقك ، فلا حاجة لنا بذلك ، ففايتي القصوى هي التقاوم التام ، ليمتسنى لنا الاتفاق فالتعاون .

فلم ير الاب تاريس بدأ من السكوت والهدوء ثم الركون الى ما يوعزه العقل وعمله عليه التفكير الصحيح ، وبعد ان نبذ اذليل العاطفة المضلة هدأ بعد حدة وسكن بعد غضب ، ورضخ اثر نقور ، وقال لخادمه :-

أذهب الى الضيفين واستدعهما للحضور ، اذا كانا يقظين ، أو اتركهما
في نومهما اذا لم يكونا كذلك .

ولما اقترب الخادم من الغرفة ، سار على اطراف اصابعه ، وفتح الباب
بهدهوء وبطء وحذر ، ولما دخل وجدهما يقظين يتذاكران ويتناقشان
الرأي بشأن الخروج وحينما أدى لهما التحية ، اخبرهما بقول الاب
« تاريس » .

وبعد فترة قصيرة ارتدى خلالها كل من عامر وجريز ملابسهما .
سارا خلف الخادم فادخلهما القاعة ، وعند ذلك وقف اليعاقبة اجلالاً لهما
فتمهم جماعة النساطرة بذلك ، فجلس عامر على كرسي معد له قرب الاب
« تاريس » وجلس جريز على كرسي آخر خلفه ، ثم التفت تاريس اليهما
وقال :-

لقد اذعبناكما وتناولنا عليكما ، دون ان نراعي حق الضيف أو نلتفت
الى حرمة ، واسكن الضرورة ألجأتنا ، وذلك ان اخواننا النساطرة ، قد
شرفونا بزيارتهم للمرة الاولى برئاسة الاب « ميلوس » للاتصال بك
بصورة خاصة ، قال ذلك والتفت الى عامر ثم اشار اليه بيده ، ثم استأنف
حديثه وقال :- ليدخلوا معك في مناقشة ومناظرة واستفسار واسئلة ،
قد تؤدي الى غلبة أحد الطرفين فيملي الغالب شروطه ومطالبه على
المغلوب ، حسبما ترتأيه نفسه ويقبله وجدانه أو يقر به ضميره .

فاول الشروط وآخرها فيما اذا غلبت على امرك واثبت عجزك لضعف
حجتك أو قلة درايتك ووهن عقيدتك مع سخافة مذهبك ، هو ان
نمنع من التبشير في المذهب اليعقوبي هنا وترجع على الفور من حيث اتيت .
أما إذا اظهر القوم عجزهم أمام حججك الدامغة ، وأقوالك المعقولة ،

وآرائك السديدة ، فلك الحق بالتبشير في سائر الاقاليم دون ان يتعرض لك انسان ، وللاقوم حريتهم في تصديقك او تكذيبك .

فانبرى الاب ميلوس وقال :-

بلغني انك يا ولدي قادم الينا في مهمة التبشير بالمذهب اليعقوبي الذي قد يتعارض مع بعض تعاليم النسطورية ، لذلك خفيت اليك لانا فاشك رأيك قبل البدء في مهمتك على الشروط التي قالها الاب « تاريس » .
فهل لديك استعداد لذلك ؟

- ان معنى التبشير هو تحبيب الفكرة المجهولة الى من جهلها ، ولم يطعم عليها من قبل ، ولا يشترط في هذه الفكرة ان تكون حسنة مقبولة أو قبيحة معجوجة منبوذة ، لان قبولها ونسبها يتوقفان على الذوق ، ومدى التفكير فيها ، وقد تكون الفكرة المجهولة غير صالحة ولا ملائمة لاحد غير المبشرين بها ومناصريه ، عند ذلك يعتمد الى اخفاء تلك الحقائق تحت الزخرفة والبهرجة الناتجة عن ألوان منطقة ، وعدوبة لفظه وقوة حجته ليقدمها بالصورة التي يستسيغها الذوق ويقبلها العقل . وفي هذه الحالة تكون العقابة وخيمة على المضلل الذي بدل الحقائق ، فالزركشة والبهرجة تزول من فوق ذلك الجسم المطلي اذا ما تعرض الى ضوه الحقيقة والواقع .

ولذلك فاني لا أحبذ التبشير الذي يكون من هذا القبيل ، فهنتي ايها الاب تحتلف عما تظن ، لاني لم اقصد دياركم الا لانيرها بنفس المشعل الذي افار لنا السبل فهدانا الى خيرها واكثرها راحة وطمانينة واماناً ، تلك الطرق هي التي تصل بسالكها الى حقول السعادة ومراتع الحياة الهنيئة والعيش الرغيد .

فصلاً عما هو الباعث الاساسي الى اصلاح غيرنا ، رغم ما فلاقينه من المخاطر ونصافه من المهالك . . .

فقاطعه الاب « ميلوس » وقال :-

تدعي انك جئت الينا بمشعل الهداية لتهدي السادرين في ظلمات الجهل والضلال ، الى سبيل المعرفة والحق ، تلك السبيل المؤدية الى السعادة الدائمة والحياة الرغيدة ، التي يكتنفها البشر ويكللها الوهم ، لأنك تجهل ان ديارنا قد نورها مشعل الهداية قبل قدومك الينا .

- لم أحجل ذلك وانا على علم من أمركم ، ولكن المشاعل تختلف في نورها وتباين في ضوئها وقوته وامتداده ومصدره ، فمن المشاعل ما يستمد نوره من زيت صاف نقي ، لا تنبعث منه الا الرائحة الطيبة عند الاشتعال والوقود وبشع نوره الى مسافات شاسعة ، ومنها ما يستمد نوره من زيت خبيث فيملأ الجو بالروائح الكريهة فيكون مدى نوره محدوداً ، ودرجة ضوئه ضعيفة فلا يفي بالغرض ، بل يبطل الفكر كما يشوه النظر ليعرقل السير على حامله والذين خلقه فيزداد اصطدامهم بالصخور وترديهم في المهوي والخفر .

فمشعل الهداية الذي بيدي لا يختلف عن مشعلكم بالزيت ، وانما في الضوء وقوته وانتشاره في الاجواء ، وتغلغله الى الزوايا وامتداده الى المسافات البعيدة وتداخله بمختلف الطبقات ومتنوع الاصناف ان كان هنالك طبقات واصناف .

فقاطعه « ميلوس » ايضاً وقال :-

لما كانت مشاعلنا لا تختلف عن بعضها في المادة المولدة للنور ، أي لا تختلف في الزيت ولا في الآنية الحاوية له ، فما سبب قوة ضوء مشعلكم

وضآلة ضوء مشعلنا ، وعدم مقدرة مادته الضوئية من التغلغل في الفضاء
أو شق حجب الظلام للوصول الى المسافات البعيدة ، ليهتدي اكبر عدد
ممكن من الناس الى طرق الصلاح المؤدية الى السعادة .

- لاننا قبسنا نور مشعلنا من نور الهداية الحقيقي ومصباحه الحق
أما انتم فلم يكن نوركم الا من مصابيح مشابهة للنور الحقيقي الذي من
شأنه ان يهدي الناس الى طرق الصلاح والفضيلة ، بعد ان ينقذهم من
العمى في الجهالات والضلالات .

- وما دليلك على قولك هذا ؟ وكيف عرفت باننا لم نأخذ نور الهداية
من النور الحقيقي الذي شع في ارض فلسطين ؟ وكيف تبرهن على انكم
اخذتموه من المصباح الرئيسي ؟

- ان من الامور المعترف بصحتها ، والمسلم بها ، هي ان الدين
المسيحي قد قام في فلسطين ثم انتشر الى الاقطار المجاورة ، ولا سيما
الاقطار الشرقية . فكانت مدينة « الرها » أول مدينة رحبت به ،
وضمته ضمة المشتاق وهو في عهد طفولته ويفوعه ، فربته ورجته ، الى
ان صار عفريناً عتيقاً كما نلاحظه الآن .

- اذا سلمنا بقولك الذي لا نعترف بصحته ، أو نقر به ، لما لدينا من
البراهين الكافية على اثباته خالياً من الصحة ، مجرداً عن الحقيقة . أقول
اذا سلمنا حسب قولك بأنه أول ما انتشر في مدينة الرها . فاهي العلاقة
بينك وبين الرها ؟ وكيف يتسنى لك أن تدعي بأنك قد اخذت الدين من
منبعه الحقيقي ، رغم كونك من مدينة نائية بعيدة عن تلك المدينة التي
لا تتصل مكم بأية صلة أو رابطة من الروابط المقربة ، واذا كانت الحقيقة

كما تذكر وتدعي ، فانا بالمهداية أحق . لاني من اقليم حذيب المجاور لاقليم الرها .

- اما العلاقة بيني وبين تلك المدينة التي تحسبها نائية عنا ، بعيدة منا ، فهي قوية متينة وذلك لأن رئيس كنيسةنا المدعو « ماروئا » قد أخذ علمه من كنيسة الرها والرقه حينما قضى ردها من الزمن هناك ، وعاد اليها بتعاليم الدين الحقيقي التي اقتبسها من خيرة المعلمين المتبحرين ، اما أنا فاني من تلامذة كنيسة الرها ، كذلك ان مدينة الرها هي أول مدينة شرقية احتضنت الدين فنشأته . فلدي من البراهين الكافية لاقناعك واثبات هذه الحقيقة .

فرد عليه الاب « ميلوس » وقال : - لا داعي لذلك . فانا لا اعترف بغير الاقليم الذي تبنى المسيحية ، فرباها ورعاها وعمل على تغلغلها بين طبقات المجتمع الشرقي ، كما رباني أنا الآخر لاني من مدينة « اربل » عاصمة اقليم « حذيب » المشهورة بصلاته الودية المتينة بفلسطين ينبوع الديانات السماوية منذ القدم .

فابتسم عامر ابتسامة السخر والاستهزاء والتهمك ، وقاطع ميلوس قائلاً : ان ما قدمته من المعلومات وما ادليت به من الادلة والبراهين غير كاف بأن تفخر علينا فتسخرقوا لنا ، وتغصط حقوقنا ، رغم صغر القطرة التي استقيمتها من منبع الدين . فقد عجزت من ان تسند قولك الى سجلات الحقائق التي تبرزها عند الطلب . او ترشد الشاك بواسطتها فيزال شكك وتذهب زيبه . كما بينت لك ايها الأب الوقور . ولكن لكثرة الروايات المشكوك في صحتها ، انحرفت عقيدتكم وزاغت افكاركم عن طريق الحق الذي عبده المسيح ، وما الذنب أو الجناية ذنبك أو جنايتك . وانما هي

جناية السلف الذي بدّل وحوّر وساير وتساهل وما ذلك التبديل والتحوير
والمسايرة إلا من عدم فهم جوهر الدين ومعرفة ماهيته ، او من عدم
تفلقه في القلوب . وبعبارة اقصر من عدم الايمان الحقيقي .

وقد ظهرت على (ميلوس) علائم الغضب والانزعاج . فبدأ يتحرك
في مجلسه بدون ارادته وهب كأنه الأعصار وبدأ يتكلم بصوت مرتجف
مرتفع مشبع بالخشونة خال من اللطف واللين وقال : -

أرانا لا نتعرض إلا الى الايام السالفة والسنين الماضية التي لا توافق
الرجل المجد حين يكرس حياته للعمل فيعمود نفعه على الانسانية بما هو
حسن صالح . فذكرنا الاجداد وتمشدقنا باقوالهم واسهابنا بذكر اعمالهم
في كل وقت وحين ، لا كبر دليل على الاعتراف بمعجزنا وضمفنا وعدم
مقدرتنا من مجابهة الحقائق وجهاً لوجه . لانتا اذا جابها الحقيقة السافرة
سرعان ما نرتد ونحجم املأ في الراحة فيكتنفنا القشل الدريع فلنترك
الماضي مسطراً في سجلات التواريخ ونفتح صفحة جديدة نسجل فيها
مناقشاتنا ومناضلاتنا فنضيفها الى تلك السجلات كي نعرف أي المذهبين
أحق وأينا اقدر على اثبات حقائق مذهبه تلك الحقائق التي اخذت من
(يسوع) دون تحريف أو تبديل .

فقاطعه عامر بهدوء رغم تحمس اليعاقبة وغضب النساطرة من تلك
المشادة العنيفة والمناقشة الحادة . ثم قال : -

ارجو ان يفتح لنا الاب الوقور الباب الذي يرغب ولوجه الى ساحة
المنازرة الحقّة والمجدال الصحيح .

فتملأ ميلوس ورقص ذقنه بعد ان جال يبصره في سقف القاعة كمن
يبحث عن شيء ثم التفت الى عامر . بعد ان اهتدى الى السؤال التالي : -

ماذا تقولون في السيد المسيح ؟ وما رأيكم في ذاته ؟
 وقبل ان يجيب عامر على هذا السؤال خف الخدم الى الباب الخارجي
 على أثر القرع الشديد ولما رجع أحدهم قال : -
 رسول حاكم المدينة في الباب
 فقاطعه تاريس قائلاً : -

وماذا يريد ؟

- أرسله سيده في استدعاء جميع من في الدير من اليعاقبة والنساطرة
 والضيغين دون ان يتخلف أحد عن ذلك . ثم اتجه تاريس الى ميلوس
 وعامر والتمس منهما الرأي فأشارا عليه بتمثيل الامر وقاما على الفور .

- ١٦ -

وحينما رأى عامر علائم الفزع والخوف بادية على وجه الاب تاريس
 وامارات القلق والاضطراب ظاهرة في حركاته ومشيته عندما كانوا
 يقصدون قصر حاكم سجستان . سار بجانبه فسأله عما يخالجه من الوسوس
 والافكار وما هي دواعي قلقه واضطرابه . أجابه الأب تاريس وقال : -
 اننا متجهون الى رجل مسيحي الدين نستوري المذهب ، قلق
 الافكار ، متبلبل العقيدة والايمان ، لانه لا يزال في الدور الميثافيزيقي
 من المعلومات ، أي دور الشك الذي يتعرض له كل انسان ، فينجو منه
 من تقدم بالسن والثقافة ، فيهدأ ويستقر ، بعد أن يؤمن بما اوحاه له العقل
 الناضج أثر التفكير الصحيح . ولذلك فاني اوجس منه خيفة لا على نفسي
 فقط وانما على الدين من الضياع ، وعليك من التكنيل ، لانه شخص
 عاطفي شاذ .

فأدام الأمر كذلك فاني سأحمد الى اخراج بذور الشك من قلبه
لادخل الايمان الثابت اليه . فشكه هذا ناتج من عدم اقتناعه بتماليم
مذهبه . فهو كالغريق في لجج الاضاليل يتشبث بكل غثاء تمر به ليجد
لنفسه عوناً ومنقذاً ينتشله من غرقه . واكبر دليل على ذلك هو هذا
الاستدعاء .

فالتفت تاريس الى عامر وقال :

قد وصلنا قصر الحاكم فبهى نفسك يا عامر .

ولما ولجوا القصر من الباب الخارجى ، قادم الحرس الى قاعة كبرى
ملوذة بالمقاعد الوثيرة ، أمامها دكة من خشب الابنوس ترتفع بمقدار
ذراع عن الارض . فوقها كرامى مرصوفة حول كرسي عال وثير مرصع
بالاحجار الكريمة ، يستقر على اربعة اسود من الذهب حجم القائمة
الواحدة بحجم القط المتوسط .

ولما جلسوا خرج اليهم من الباب السرى رجل قصير القامة مفقود
السواعد متوسط العمر عليه طيلسان احمر تلمع تحته اللآلىء والدراري ،
وعلى رأسه قلنسوة طويلة تتدلى منها اربعة سلاسل من الذهب ، وخلفه
حاشيته . فنهض رجال الدين احتفاءً به ولما أشار اليهم بالجلوس جلسوا
وهم ينظرون اليه منتظرين كلامه . فلم يطل الحاكم انتظارهم فقال :

نقل الي ان بعض رجال كنيسة المشرق بتكرت قدم الينا للتبشير .
وقد حل ضيفاً عند الاب تاريس ، نحف اليه ميلوس ورجاله لناظرته
ومناقشته ، لمعرفة وجهة نظره والاطلاع على آماله (او طمخيه) مؤسس
المذهب اليعقوبى . ولما كان الامر يهمني بصورة خاصة رغم ما تتوق نفسي
الى الاستماع لحواركم بهذا الشأن ، فقد أحببت مشاركتكم للاطلاع والفهم

ولمعرفة أي المذهبين أقرب الى الحقيقة والواقع ، فارجو الاسترصار -
 بالنقاش أو استئنافه ان كنتم قد تناقشتم من قبل .
 فقال الأب ميلوس : -

تناقشنا بشئ بسيط بعيد عن غايتنا . فقال هو وقلت أنا ولم نتفق
 على ما قال أو قلت . لأن البحث كان يدور حول قضايا تاريخية ، موضوعها
 أينما أخذ الدين من منبعه الحقيقي ؟ فكل منا قدم براهينه على انه وجماعته
 قد أخذوا تعاليمهم من أقرب الناس الى السيد المسيح دون ان يطرأ
 عليها أي تبديل أو تحوير من جراء النقل والاخذ . فقاطعه الحاكم وقال
 لتاريس : -

أي الحجتين كانتا أقوى ؟ وأي الدليلين أقرب الى الصحة والصواب ؟
 ارجو الاجابة ايها الأب دون تحيز او انحراف بتيار العاطفة .
 فرد الأب تاريس بهدوء ورزاة وقال : -

سمعت القولين من الشخصين كما سمع بقية زملاء والاخوان ، بالرغم
 من اطلاعي على الامر ، ومعرفتي بالبحث قبل ذلك . وقد سمعت كما سمع
 غيري ، من عامر البراهين الناصعة والحجج الدامغة على صحة أقواله .
 بالوقت الذي لم نسمع من ميلوس أي برهان أو دليل على صحة ما يقول
 ويدعي .

فالتفت الحاكم اليهم بعد ان اقتنع بسخف قول الاب « ميلوس » حين
 شرحوا له النقاش الذي دار بينهما ، وقال : -
 ارجو أن تستأنفوا نقاشكم الآن : -

فقال (ميلوس) وهو يحرق الارم من الغيظ الذي دأبه من جراء
 حكم الحاكم لعامر . والحكم على أقوال الضيف المبشر بالصحة والسداد : -

اني قد سألت عامراً ان يوضح لي رأيه ورأي جماعته اليعاقبة في السيد « المسيح » وذاته .

فرد عليه الحاكم وقال :-

عامر يسمع قولك ، فان كان عنده جواب ، فليقدمه . ولا تحسباني وحاشيتي إلا من المستمعين المحايدين الذين يتلفهون الى الحقائق .

وقد تفاهل عامر من هذه الجلسة ولاسيا حينما سمع أقوال الحاكم التي استشف منها ميوله ومقدار علمه ودرجة ذوقه وحسه . فانجبه بكلامه صوب ميلوس وقال :-

إني إذ أجيبك على سؤالك هذا ، لا أجيبك بما ترتأيه نفسي ويوحيه إليّ عقلي فقط وإنما هي تعاليم « اوطيغني » آمنت بها وصدقته أنا وغيري ممن سمع بها واطلع عليها فأقول :-

ان السيد المسيح هو ثمرة اتحاد الله بالإنسان .

فقال ميلوس :-

وكيف تم هذا الاتحاد مع اختلاف الطبيعتين وتباين النوعين ؟

- وكيف اختلفت الطبيعتين ، وتباين النوعين ايها الاب ؟ أليس

الخلق من صنع الله وخلقته ؟

- أجل

- فإذا كان الامر كذلك ، فلا بد انه حوى بعض الجهود التي بذلها

الله في سبيل إيجاده « المسيح » .

- لا . ان الله لم يصرف أي جهد في خلق كائناته ، أو إيجاد مخلوقاته

ولكنه يوجد لها بمجرد ان يقول للشيء المديم الحياة وللشيء كونا .

فيوجد الحياة بهذا ويمنح الوجودية للشيء .

- حسناً تقول ، فالإنسان وجميع الكائنات ، ما هي إلا وليدة فكرة عرضت لله والفكرة نتيجة التفكير ، والتفكير يستغرق وقتاً ، ويستغرق جهداً . ولم تعرض الفكرة إلا بعد الحاجة . وما حاجة الله الى مخلوقاته إلا ليظهر جلائل اعماله عند من يُقدّر عظمتها من خلقه فلا غرابة إذن من اتحاد الله بالإنسان الذي هو بعضه ، لايجاد المسيح نفسه ، كي يقول كلمة الله لخلقه ، فيكون خير برهان على معجزة الامتزاج والاختلاط . فقاطعه ميلوس وقال :-

اني لا أرى رأيك ، ولا اقر به ، لان للسيد المسيح طبيعتين متميزتين هما :- الطبيعة اللاهوتية والطبيعة الناسوتية^(١) . فاللاهوتية هي التي تتمثل بالمسيح عند تلقي الاوامر الربانية ، واستقبال الوحي ، أو عند اظهار المعجزات وعمل الخوارق التي اختص بها فينزهته عن غيره . والطبيعة الناسوتية هي التي يتمثل بها وهو بين قومه واصحابه . ولن يتسنى لهاتين الطبيعتين الانسجام ، لتتافرها من بعضهما . فرد عليه عامر وقال :

اذا كان الامر كذلك فما ينبغي للسيد المسيح أن يبلغ الناس بدعوته . إذ ليس باستطاعته ان يؤدي رسالته كاملة ، ويقوم بخوارقه ومعجزاته . لأنه اذا قام بتلك الخوارق والمعجزات يحتاج الى الطبيعة اللاهوتية التي لا تتكيف بالنسبة ومفاهيم الناس ولغاتهم وعقولهم . وكيف تتكيف وهي طبيعة لاهوتية منزهة عما عند البشر من الطبائع الناسوتية . فانك قد برهنت على صحة قولِي بنفسك . على ان اتحاد الطبيعتين

(١) الناسوتية : الطبيعة الانسانية ، بمعنى الناس مضاف اليها وعات مثل ملاكوت : فجر الاسلام ، الأدب العربي

وامتزاجهما عند السيد المسيح هو الباعث على إيجاد هذه الشريعة التي جاء بها والطريق الذي سلكه ، بعد ان طلب من حداة فأفلة الحياة السير ومقتضياته . فيصلوا الى الصلاح والسعادة . فرد عليه ميلوس وقال : -

أنا لا انكر امتزاج الطبيعتين . ولكن امتزاج الزيت بالماء . فكل من الزيت والماء يعضهما انا . واحد يحفظهما بصورة منفصلة غير متفاعلة بعضها ببعض لتكوين مادة جديدة .

- لا أيها الاب الجليل . ان الطبيعتين عزجتين مع بعضهما متداخلتين ، لتكون طبيعة واحدة جديدة ، تحتوي على الطبيعتين . فامتزاجهما كامتزاج الماء بالخر . ولذلك كانت ذات المسيح ذاتاً ملهمة ملتأمة والصلحاء من الناس الذين يصرم الاصلاح ويفرحهم الخير .

فصاح الحاكم وهو في موضعه وقال : -

قول معقول ورأي سديد . اني موقن من صحة كلام عامر ، ومصديق به لأنه يتفق والحقيقة ويلتأم والواقع .

فاربذ وجه ميلوس وتغيرت ملامحه ، بعد ان انقلبت انفعالا شديداً من جراء تصريح الحاكم . فالتفت عامر الى اخوانه اليعاقبة ووجدتهم في فرح تلوح علائم البشر على وجوههم الضاحكة المستبشرة ، وفرح هو الآخر . وقد زاده هذا التصريح عزيمته ومعنوية للمضاء والاقدام على تحقيق غايته ونوال امنيته المنشودة فتفاءل بالنجاح التام . وقبل ان يصحو ميلوس من عظم الصدمة التي تلقاها من الحاكم . سأله عامر وقال : هل يسمح لي الاب ميلوس فأسأله .

فرفع الاب رأسه ببطء والتفت الى عامر عندما زوى عينه اليسرى واحكم طبق شفتيه . فكدت كلمة « سل » تستعصي عليه أو تحبس في فيه

لولا النّام المجلس وحذره من ان ينهم بالعجز والوهن أو ينمت بالجهل .
فقال عامر :-

ما قولك في الحشر ؟

- الحشر حقيقة منتظرة نص عليها الدين وذكرها يسوع .
- وهل يكون الحشر للابدان فقط أم للارواح أو للابدان والارواح
معاً ؟

- الحشر للارواح فقط ، لأن الروح شي . قدسي معنوي ، لا يرى
ولا يحدد ، أو يدرك بالحواس ، لانه من الله ، وحينما خلق الله الاجسام ،
ادخل بعض مادته لتبث الحياة في ذلك الجسم ، ودلائل الحياة فيها :
الحس والشعور والنمو ، أما إذا بلى الجسد اي ضعفت الروابط بين ذراته
وجزيئاته ، فان الروح يلحق بيارثه أو اصله ، ليتلقى عقابه ، فيما اذا
ترك الجسم الذي كان فيه ، بعمه في طغيانه ويسدر في جهالاته وغوايته
فعمله يكون حسبما تعلمه عليه العاطفة ، لان الروح نهي واجبه فوهن
وضعف أمام طفل العاطفة الذي نمته المادة حتى صار شـاباً قوياً يعجز
الروح عن صده أو رده ، والروح الذي وقف موقف الرادع الحكيم
يصرف الجسم كيفما شاء وانى اراد ، فيوجهه الانجاه المناسب ومقتضيات
الحياة الصالحة ، فانه سيمحظى بالنعيم الدائم والجنة التي يخلد فيها .
فرد عليه عامر وقال :-

إذا كان الأمر كذلك والحشر لا يكون إلا للارواح ، فاهو مصير
الاجسام ؟

- مصيرها الفناء ، والتخلص من الهيكل الذي كانت عليه .

- وإذا انحلت مادة الاجسام وتبدلت هيكلها ، فما هي نقيضتها

ومصيرها ؟

- الزوال التام والالعدام الحقيقي .

ولم يكذب يقف ميلوس عند ذلك حتى ضرب الحاكم المنصدة التي امامه ضربات متقطعة استرعت التفات القوم فأصغاهم ثم اعقبها قائلاً :-

اني غير موقف ولا معترف بكلام الاب « ميلوس » رغم احترامي لشخصه وافكاره وآرائه . والآن وقد تاهت عنا الحقيقة ونحن في حزون الشك فأرجو من عامر ان لا يدعنا كذلك ، بل ينورنا بآرائه ، علنا نجد فيها ما يهدي الى سواء السبيل فينقذنا من حزون شكننا وقفاره .

- لك السمع والطاعة ، لم نطلب إلا ما هو بسيط ميسور ، وهاك رأيي :-

الحشر يا مولاي للجسم والروح ، لأنها بمنزجين تمام الامتزاج ومناسكين مع بعضهما فمأسكاً حقيقياً لا أثر لأحدهما بدون الآخر ولا وجود .

فالروح جوهر الجسم وماهيته ، فاذا جردنا الجسم من الجوهر والماهية فانتا لا نحظى بأحدهما في الحالة التي نبتغيها ونريدها ، فعنصر وجودهما كما هو الآن وعند حشرهما بعد فقد بعض ظواهرهما اثناء الموت هو « الحركة الذسدية » التي بواسطتها يتم التقارب وينسجم المتنافران ، فيتحد المختلفان بصورة مألوفة مناسبة ومقتضيات الطبيعة التي نعيش فيها أو البيئة التي نحل عندها .

فالروح هو أس الجسم ، والجسم هو مجموع الأسس ، فان هددت حركة الجسم أو ضعفت فسببت لمادته الانحلال والتبدل ، فذلك الا

لأجل ان تشكيف في وضعية جديدة أخرى تستعيد بواسطتها حركتها ،
عند ما تجدد نشاطها كما هو الحال اثناء النوم .

فالمهوك القوى من جراء أنماجه يشعر بضعف وخور . وبالأحرى
الاحلال وعدم تماسك في جزئيات جسمه ، فيعجز عن الاثبات بيمض
الحركات ولا يقدر ، لانه يشعر بحاجة ملحة الى استعادة ما فقدته من
الجهد بعد الاجهاد في حركة اجزائه فيستسلم لسلطان السكرى وينام ،
ثم يصحو وهو في قوة جديدة ، ونشاط متقد بعد ان نقض عن كاهله
غبار التعب والفضى ، فتتضاعف حركة جزئيات جسمه لتضاعف الجهود ،
وتزيد التماسك بين الجزئيات وهذا التماسك يدرأ عنها مختلف الاخطار
والاضرار ، لأنها متحدة متعاونة متماسكة ، لا متنافرة متناثرة مجزأة .

فان كانت رقدة الاجسام لاستعادة حركاتها ونشاطها ثانية في محل
مريح بعيد عن احداث الطبيعة وتقلبات الجو ، استيقظ بكامل القوى
المطلوبة لمكافحة الاحداث ، فتغمره السعادة والغبطة ، عندما تسكتنفه
الطمانينة ويحفظه السلام من جراء ما يحس به من النشاط والقدرة على
الحركة اثر التماسك التام .

أما اذا نهأت للجسم الراقد من جراء الانحلال ، الاحداث الطبيعية
التي لا تساعد على تجديد النشاط ومضاعفة القوى ، فإنه يستيقظ وظل
النوم والنماس الذي يمثل له خيال الماضي لما يبارحه بعد ، لانه يحس في
جزئياته الخمول من جراء التباعد وعدم الانسجام ، لضعف الجاذبية
للترايط ، فيظل غير مستقر أو مرتاح ، رغم تبدله وتحوله من حالته
القديمة الى حالته الجديدة ، ولذلك فالشفاء يلزمه ويؤاخيهِ .

فقاطعه الحاكم وقال :-

اني لأستشف من وراء قولك هذا ينبوعاً من الحكمة غزيراً ومنهلاً
من العلم لا ينضب ، فثلك من يوفد لهذه المهام الجسيمة ، فبوركت
وبورك مسلك . ثم التفت الى الاب « ميلوس » فرآه يحرق الارم من
الغيظ وقال له :-

ما رأيك يا أبانا في قول عامر ؟

فرفع الاب رأسه بحنق وقال بانزعاج :-

ليس لدي رأي .

- وهل لديك اعتراض أو رد على قول عامر لتكذيب زعمه ودحض
ادعائه واعتقاده .

- لم أملك الكلام المعسول أو القول الساحر ، لا تغلب على المشاعر ،
وأسيطر على الاحاسيس كما أثر هو ، فاستمال الناس اليه ، بعد ان جذبوا
رأيه وصدقوا قوله ، واظفني عاجز عن اقناعكم بان المبشر المذكور ما هو
الا سفسطائي مهرج مزج الفلسفة اليونانية بالدين المسيحي ، فشوه
الحقيقتين فأفقداهما طابعهما الخاص بكل واحد منهما ، لكنه قوال محترف
وخطيب مصقع ، قادر على تمويه الحقائق ، وطلبي المشوهات بدهان
خلاب جذاب ، مناسب للأمزجة والاذواق الفجة .

فرد الحاكم عند ما كظم غيظه واخفى غضبه وقال :-

وهل لديك من البراهين الواضحة الكافية للتدليل على صحة ما تدعي

وتقول ؟

- اكتفي بما قلت ولا حاجة للبراهين والادلة .

- ومن امتنع عن اثبات المشكوك في صحته فقد اثبت عجزه . واذ

ثبت عجزك الآن فقد آن وقت انسحابك من المعركة ، مغلوباً مدحوراً .
 - نعم أي قد غلبت على امري في مجتمعم هذا فقط .
 - واظنني سوف لا أكون مغالياً اذا قلت لك : وفي كل المجتمعات
 والاندية عند المناقشة والمناظرة .

- قد غالت وبالف ، لاني لم أفشل في اي مجتمع يقدر الحكمة ،
 ويعترف بالمعلم ويأتمر بأوامر الله ويرتدع بروادعه ، اما في مثل مجتمعم فلا
 غرابة من ان افشل واخرج من المعركة أخرج ذبول الخيبة والفشل .
 - لم تكن الجناية جنائقتنا في فشلك ايها الاب الجليل ، ولكنها
 جنائتك انتم اهل الدين ، فأنتم الذين زجيتم بنفوسكم في هذا المسلك
 الشريف المبارك بعد ان لاحقتم السلطة وطاردتم التحكم في كل مكان
 فلم تكثروا منها الا بعداً ونأياً وقد حصلتم على غايتكم ووجدتم ضالتكم
 عندما اردتيم اردية الورع والتقوى ، ونجايتم بجلاليب القدس والنسك
 غيا بكم الناس وخافوكم ثم عظموكم وبجلوكم ، لانكم تسلحتم بأسلحة امضى
 وأرهم من الرمح والسيف ، تسلحتم ضد الناس بكلمات الكفر والاحاد
 ثم التحريم ، فتلصقونها بمن عاديتموه بمن يتحداكم او يتناول على مناقشتكم
 او استمر على شكه وعدم اطمئنانه من جراء عجزكم عن ايصاله الى الحقائق
 الحققة التي يلتبسها الناس عندهم .

وهكذا اعتصمتم بأبراجكم البلورية التي لا تشف الا عن اجسامكم
 المزودة بلباس الورع والتقوى ، فخذعتم الناس بسموكم المصطنع واعتكافكم
 ورهبنتكم وسكوتكم ، فانقادوا اليكم ، وخضعوا لكم ، بعد ان ساندتمكم
 السلطات ، وأزرتكم الهيئات الحاكمة عند ما غررتهم بها فخذعتم رؤساءها
 وزعماءها الذين لم يسبروا غوركم أو يعرفوا ماهيتكم وجوهركم .

وما كاد الاب «ميلوس» يسمع ذلك الكلام من الحاكم حتى استوى واقفاً وخرج من القاعة ، كأنه السهم دون استئذان ، وتبعه بعض زملائه وتابعيه ، وبقي البعض منهم ، اما لحوفهم من الامير وجبنهم أو مخالفة رئيسهم المقصود برأيه وعقيدته .

وما كاد الاب يتوارى عن الانظار ، حتى التفت عامر الى الحاكم وقال :-

لم أقصد دياركم لأفرق بينكم ، أو أوقع العداوة والبغضاء ، ولكني بحكم الدين ورسوخ احكامه في قلبي ومشاعري ، لم أقصد كما هو شأن كل انسان مواطن الا الى زيادة الروابط ، وتقوية عرى المودة والاخاء بين بعضنا البعض ، لنزداد الانسانية تماسكاً وتعاوناً وتآزراً ، لكي تقدر على دره جميع الاخطار التي تهددنا .

فرد عليه الحاكم وقال :-

لا تظن انك سبب الخلاف الذي حصل ، وانما السبب الاول والاخير هو جهل الاب المذكور بامور الدين وتعاليم المذهب الذي يهدف اليه ، وعدم قدرته على الاقتناع والهداية .

- عهدي بالامراء والملوك ينقادون الى العلماء والاحبار والفلاسفة ، ليكسبوا ثقتهم وينالوا رضاهم ، ويتزودوا باحكامهم فيهدتوا بآرائهم .

- ذلك ما تقول . فالملوك والامراء ينقادون للعلماء الذين يعرفون

مكائهم ومنزلتهم ، لانهم رجال الله بفضل علمهم ومعرفتهم ودرايتهم ، فيضطر المرء مما علت منزلته في المجتمع ، الى ان ينقاد اليهم ليهتدي بهديهم .

أما من تشبهوا بالعلماء فآخفوا جهلهم تحت اردبتهم القصفافضة ولاذوا

بالاعتكاف والاعتزال . بعد ان حرموا النقاش والمناظرة في حضرته ،
وتحاشوا الاسئلة فمروها . فانهم هم الذين ينقادون الى من هم اقل منزلة
من الملوك والامراء ، ليدجلوا ويراءوا ، أو يتملقوا ويسداهنوا كي
يحظوا بالرضا وينالوا المساندة ، فيتمتعوا بالحياة المناسبة لأهوائهم النفسية
الجماعية ، تلك الاهواء التي لا يقر لها قرار الا برضا الحكام والامراء
بشئ الطرق ، ومختلف الاساليب ، فلو كنت اظن بالاب « ميلوس »
العلم الكافي الذي يستحق عليه التقدير والتعظيم ، لانقاديت اليه طلباً
للاستشارة والتماساً للرأي السديد في الحل والترحال ، ولكني خيرته
وعرفته فهان في نظري وضأل لأنه مضلل دجال تزيا بزي غيره . وسلك
غير مسلكه وقد كشفت الايام عن ذلك .

أما الاب تاريس رئيس الطائفة اليعقوبية ، فاني كنت عنه بمعزل ،
لاختلاف العقيدة وتباين المذهب واني لا اعرف عنه شيئاً فارجو منه ان
يعذرني عما بدر مني لاني لم اقصده في كلاي هذا .

فتململ الاب تاريس في محله وقاطع الحاكم وقال :-

وبالرغم من ذلك فان شرر الاهانة قد اصابني كذلك وذلك لاني
امثلت امرك فحضرت ومن معي الى مجلسك في قصرك ، ولم امثل امرك
خوفاً منك أو تحاشياً من بطشك وتككيلك ، وانما خوفي على عامر
وصديقه من ان ينالا منك مكروهاً ، بعد ان يوغر قلبك وتستفز عواطف
الفتك عندك ، فاكون قد طوحت بعنادي بحياة الضيفين ، وحلت بينهما
وبين هدايتك . فالحمد لله الذي هدانا جميعاً الى ما فيه خيرنا وصلاحنا بعد
تفاهنا وتعارفنا .

فالتفت الحاكم الى جماعة الاب « ميلوس » وقال لهم :-

اظنكم يبقائكم قد شاركتونا رأينا ، واتفقتم وایانا على تفضيل آراء عامر فترجيحها . فصاح الكل بصوت واحد :-
ولأجل هذا تخلفنا عن صاحبنا .
ثم استأذن الـاب تاريس من الحاكم بالانصراف مع جماعته ، فاذن لهم بعد ان طلب منهم مشاركتة في الغذاء في اليوم القادم .

— ١٧ —

انصرف الیماقبة الی دیرم وهم یحفون بتاريس وعامر وجريـر والفرح علأ صدورهم ویبهج نفوسهم من جراء ما احرزوه من نصر محسوس .
وتحیر النساطرة بعد خروجهم ، إذ لم یعرفوا الوجهة الـتی یسجونها ، وبعد برهة وجيزة توجهوا الی دیرم عندما اتخذوا للامر حیطته ، لانهم كانوا ی توقعون حدوث أمور لا یحمد عقبایها بسبب تخلفهم عن رئیسهم وشقیهم عصا الطاعة علیه ، وخذلهم له فی وقت الحاجة الیهم ، والی مساندتهم ومؤازرتهم والافتقار الی تضامنهم واتحادهم معه بالرغم من ذلك كله ، فانهم توجهوا الی الدير غیر عابئين بما حدث ولا خائفين مما سیحدث ویجری ، لأنهم مضطرين من عدم وجود مأوی لهم غیره ، ولما دخلوا الدير سمعوا لفظاً کثیراً فی القاعة الکبری ، فایقنوا ان الـاب « میلوس » وجماعته هناك ، وحينما دخلوا القاعة وجدوا القسس والرهبان فی اضطراب وفلق عظیمین ، ونقاش ولائمة متصلین ، ولما تفرسوا فی الجالسین لم یجدوا الـاب « میلوس » بین الجالسین فتحداهم احد الجالسین بضدة وخشونة ، وسألهم عن سبب التحدیق فی الوجوه بهذه الصورة فرد علیه وقال :-

لأننا أفقدنا الأب « ميلوس » من المجلس فرد عليه وقال : -

تريدون بقاء الأب الى الآن . وقد تعرض لآلئس الالهات من قبل الحاكم ونال اكبر قسط من الخذلان والانشقاق من قبلكم ، ثم يمل نفسه ؟ أبالصحب الذين خانوه وتبرأوا منه ؟ أم بالحاكم الذي أهانه وحط من قدره رغم مدة صحبته معه ؟ لقد ترك الدير ، وهجر البلاد ، وقصد الدائن ليأجأ الى كسرى فيشرح له حاله مع حاكم اقليم « سيجستان » القيم في مدينة « ازرنج » وكيف خذله وإهانه رغم ما يتمتع به من قداسة روحية توجب الاحترام والتعظيم . ويوضح له ما لاقاه منه على أثر نقاشه مع المبشر اليعقوبي الذي غزاهم في ديارهم فلقى اقبالا حسنا ومساندة حقة عندما ترك مذهبه ونبذ عقيدته .

فرد عليه أحد الاساقفة المتعربين على الأب « ميلوس » وقال : -
وانتم ؟

- لنا مالكم وعلينا ما عليكم .

- وما رأيكم بعاصر ومذهبه وعقيدته .

- انه يستحق المهمة الموكلة به - لأنه عالم نحرير عنده مهارة فائقة في الكلام والمنطق واطلاع كبير بمختلف العلوم . بالاضافة الى تضلعه بالفلسفة وتبحره في الدين . وقد آمنا بقوله واعتقدنا بصحة مذهبه وعقيدته .

فصاح آخر من آخر القاعة وقال : -

ارجو أن تطورا صفحة الماضي ، وتفتحوا صفحة جديدة ، تمكنكم من أن تسطروا جلائل اعمالكم ، وجهودكم عليها ، عندما تقدمون

التضحيات اللازمة والقرايين المطلوبة للسيد المسيح : بدافع الرغبة في الدين لا الرهبة من الغير أو منه . تغير الاعمال ما كان نتيجة رغبة ملحة ، تدفع صاحبها للتضحيات المشهورة . وخير لنا ان نمزج ونزامل مع اخواننا اليمانية على اهداء السادرين في حزن الشك والجهل والضلال ، الى معالم الحقيقة وربوع المعرفة . ليسيروا في قافلة الحياة الى الاهداف السامية والغايات الحسنة التي تعود عليهم بالخير واليمن والسعادة .

وقبل ان يفرق النوم بينهم ، تناولوا ما تيسر لهم من الطعام الحسن الذي اعتادوا عليه . وفي اليوم التالي استأنفوا مشاورتهم ومذاكرتهم فيما بينهم بعدما ادوا ما عليهم من واجبات دينية .

ولم يلبثوا الا قليلاً حتى قدم عليهم رسول الحاكم يستدعيهم الى القصر لتناول طعام الغداء على شرف ضيفي مدينة ارنج « عامر وجرير » فلبوا الدعوة ، وساروا الى قصر الحاكم فاحتفي بهم اليمانية الذين سبقوهم في الحضور . ولما جلسوا سأل عامر عن ميلوس فاخبره بعضهم انه ذهب الى مدينة « اربل » محل ولادته وموطن أهله وعشيرته .

ولما تكامل المجلس . قدم عامر جميع الكتب والرسائل التي زوده بها « ماروثا » الى الأب « تاريس » وقال موجهاً خطابه للحاضرين :-

هذه هي الهدايا النفيسة التي كلفني بها مفران كرسي المشرق بتكرير لا يصالحها اليكم كي تكون المرجع الوحيد لمن أراد فهم تعاليم الدين فهماً جيداً . فسكت ثم استأنف كلامه وقال موجهاً كلامه الى الحاكم : - من الامور التي ادخلت المرور الى قلبي والابتهاج لنفسي هو موقفي هذا بين يديك في الوقت الذي لم اكن اتوقمه أو يخطر ببالي . وذلك من جراء تباين العقائد واختلاف المذهب ، رغم اتحادنا في الغاية ، واتفاقنا في

الهدف . ولكن العاقل الحكيم هو الرجل الذي ينظر الى الامور بمنظار الحقيقة والواقع ، بعد التدبر والتحجيس والتريث . ليحظى بالحقيقة السافرة التي لا تحجبها الستور المزخرفة أو تحتويها الثياب الملونة الخلابه . وعند ذلك يركن ذلك المرء الى الطمأنينة والراحة بعد تعب البحث والنقيب . فيجيب عليه والحالة هذه ان لا يطيل من فترة استراحته أو يستمر على كسله وتقاعسه عن القيام بالواجب المحتوم ، ولا يقف امام الحقيقة التي اكتشفها بعد أن أراح الستور والحجب عنها ، وقفة الوثنى أمام وثنه الذي يقدمه ويعبده . بل يجب ان تعقب تلك الراحة موجة عظمى من الجهود الجبارة التي تبذل في سبيل انقاذ الضالين في مفاوز الشك والضلال ، والتائهين في صحارى الجهل والزيغ . فيهديهم الى ما اهتدى اليه بمساعدة مشعل الهداية الذي بحمله .

وأملى بك ان تكون كذلك لأنك من ذوي العقول الناضجة والمواهب السامية والافكار المنزنة . وأملى بك وبقية الاخوان الجالسين بأن يساهموا بأكبر قسط من الجهود التي تبذل في سبيل تعزيز اركان الدين ، وتدعيم كيانه بالعمل على نشره وترويجه في هذه الديار والديار المجاورة لها ، بالاكثر من بناء الاديرة والكنائس في مختلف الاماكن والمحلات لجعلها مدارس مجانية لمن يقصدها من الراغبين في الدين وبقية العلوم الاخرى . عندما تهيموا الاكفاء من القسس والاساقفة فقاطعه الحاكم وقال : -

هذا هو رأيي يا عامر . وتلك كانت خطتي . سوف ترى ما سأقوم به من الاعمال التي تعجبك وترضيك .
ثم استوى الأب تاريس واقفاً وقال : -

والآن يجب عليّ أن أقدم كل منكم إلى الآخر . فرد عليه عامر وقال :
قد عرفّ الإيمان بعضنا ببعض حينما جمع كلمتنا ووجد هدفنا .

فرد عليه تاريس وقال : -

ولكن الحاكم لا يزال يحجل منزلتك الاجتماعية في مجتمعك ويظن أنك
من اتباع الكنيسة البسطاء . وقبل أن يسمح لعامر بالكلام التفت إلى
الحاكم وقال : -

عامر أحد امراء مدينة تكريت ورئيس من رؤسائها البارزين ، تدبّر
له تغلب وهي عشيرته بالامر والطاعة . ولكن حلاوة الإيمان كانت الدافع
الرئيسي بأن يطوح بنفسه ويقحمها المهالك ، ويربها الأهوال ويعرضها
على الاخطار وهو يستحق الشكر والاعجاب والتقدير على هذه الجهود
الجبارة والاعمال الجليلة التي سجلتها له الانسانية في سجل الخلود . ونقشتها
على صخرة الحياة الدائمة .

فصانح كل منهما الآخر فأكرم الحاكم وقادة عامر واستبقاه في ضيافته
حينما هفت اليه جوارحه ووقع من قلبه الموقع الممتاز .

ولم تمض على اقامة عامر وجريير في سجستان مدة ستة شهور حتى كانت

الاديرة والكنائس مشادة في كل مكان تملأ الأجواء برنين نواقيسها .

ويرشد اساتذتها وربانيها الناس إلى ما فيه صلاحهم وخيرهم بمد فهم الدين

لذلك فرح عامر واستبشر عندما رأى ثمرة جهوده واعماله قد برزت

لوجود بذلك الرواء والجمال . فاقن أن مهمته قد انتهت . وأن له الرجوع

وقد اخبر « تاريس والحاكم » بذلك ففر عليهما فراقه وبمده . لكنهما

سما بالواقع ورضخا للحقيقة . وهكذا أصبح الصباح التالي موعد سفر

عامر وجريير .

سار عامر بصحبة جرير عندما ودعا القوم فرداً فرداً ، ثم خلفا في قلب كل فرد من أهل « أزرنج » حسرة وفي كل عين دموع حائرة تائهة بين الجفنين لم تلبث تلك الدموع ان انحدرت على الحدود حينما توارى عامر وجرير عن العيون الدامعة .

وشاء القدر بل شامت حسن الصدف بان يصلا تكرت بعد أن سارا عدة أيام دون أن يتعرضا الى أي خطر من الاخطار التي كانا يتوقمانها في رحلتها فقد غفل عنها القدر ونام الى حين وصولهما . خف المفريان وجميع من في المدينة من وجهاء واعيان وعامة لاستقبالهما . لأن خبر رجوعهما سبقهما . فسارا في وسط ذلك الموكب المهيّب حتى وصلا الى القصر . لأن عامر أبى ان يتوجه الى أي محل كان مالم يأخذ لنفسه بعض الراحة التي هو بأمرس الحاجة اليها . ولذلك انصرف الناس وانقضوا من حولهما عندما دخلا القصر .

وبعد أن أشار الى جرير بالانصراف والراحة . دخل باحتفال مهيب من قبل من فيه لا يقل روعة وجلالاً عن ذلك الاحتفال . لأن « سلمى » كانت قد نظمت المحتفلين في القصر . ولما شق طريقه بينهم بعد ان صاحهم سار متجهاً الى الغرفة التي اعتاد الجلوس فيها ، ولم يكد يستقر في جلسته حتى دخلت « سلمى » وهي لا تملك زمام نفسها من جراء فرحها وابتهاجها برجوع حبيب الروح وشريك العقل بل وحبيب القلب وما أن وصلت اليه حتى ألقت بنفسها عليه فاحتواها بين ذراعيه وضمها الى صدره بتلفظ واشتياق عظيمين . فاستسلم كل منهما لحبيبه ورضى بأن

يختطف من أقر حبيبه قبلات سريعة رنانة بنهم شديد ثم التصقت الشفاه بالشفاه ، واستسلمات لفشوة قبلة حارة طويلة ضمناها جبهتها وشوقها . ثم أجفل كل منهما من حرارة شفوي الآخر الملتهبة بحرارة الشوق والهيام ، فجلسا متقابلين يجددان التحيات والسلام على استحياء وخجل رغم سخوفا المشق ووقدة الغرام . ثم تمكنت سلمى من استرجاع بعض شجاعتها فسالته عن حاله وسفرته . فشرح لها كل ماصدفه باقتضاب وإيجاز وهي مصغية اليه بكل حواسها ومشاعرها حتى كأنها تريد ان تلتهم كلامه التهاماً لا تستمع اليه استماعاً . وهل يكفي الحبيب الاستماع الى حديث حبيبه بحاسة واحدة فقط ؟

وبعد أن اجاب على اسئلتها سكنت قليلاً لأن الوقت المناسب قد حان لتناجي قلبي العاشقين . ثم رفع رأسه الى « سلمى » فوجدتها مطرقة مفكرة . فراد أن ينقذها من همومها ويخلصها من هواجسها . فقال لها :- وكيف كنت في غيابي .. ؟

بتعاسة وشقاء . قالت ذلك بحسرة والم . فاجفل عامر بعدها لأن رعدة الغضب والانزعاج قد سرت في جسمه فهزت كيانه فاضطر الى ان يقول :-

ولم ذلك الشقاء وتلك التعاسة يا سلمى ؟

لما انتابنا من قلق واضطراب عليك حينما رميت نفسك في مهاوي البلاء والضر ، بالاضافة عما نالنا من دسائس سطيع ومكائده . فسكنت كأنها لا تريد تفصيل ما حدث لها رغم جسامه الحوادث .

فانتفض عامر انتفاضة الاسد الجريح الذي هب ليثاً لنفسه ولكرامته التي تطاول عليها من هو أقل منه شأنًا وبأساً . فقال :-

وماذا صنع ذلك اللئيم يا سلمى ؟

- بعد ان خبيت كل مساعيي وضيعت كل الجهود التي بذلها في سبيل ارضائي كي يتخذني زوجة له . حمد الى بث الدعايات ، وتروبيج الاشاعات ، بأبك قد أصبحت من الهالكين الذين لا حياة لهم بعد ، فافرى مرة احد ذوي النفسيات المنحطة بأن يقول متعمداً : - وجدت سيد من سادة -كم اسمه عامر حسبما ذكر وهو يلفظ انقاسه الاخيرة على أثر اصابته بعمدة طعنات في صدره . وقبل أن تقارقه الحياة ارضائي بأن أعرج الى هذه المدينة لا يصال الخبر . وقد توفي فواريته التراب أنا واصحابي .

واستدعيت القائل . ولما سألته عن أوصاف عامر المزعوم ذكر لي اوصافاً مغايرة ومخالفة للواقع . وبذلك تغفل بصيص الامل الى قلبي المظلم . فانار بعض جنباته وأزال بعض الشك منه وبقي البعض .

وليت سطيحاً وقف عند هذا الحد واكتفى بما جره علي من الوسوس والهواجس بعد الشك والريب التي اضممتني واسهرتني ، حتى حولتني الى غيبش بشري .

فهب عامر كأنه اعصار قوي وقال : -

وهل عمل اكثر من هذا يا سلمى ؟

- أجل يا عامر . فقد سولت له نفسه الخبيثة ، وقاده شيطان عاطفته الا هو ج الى ان يكلف بعض رجاله باقتحام دارنا ليلاً ، لاختطافي وتسليمي اليه ، رضيت أم لم أرض . إذ لا بد وان أخضع لامره رغم انفي . ولا كنتي ولحسن الحظ ، لم أكن في الدار تلك الليلة السوداء . فقد كنت ووالدي تقضي ما تبقى من الليل بالنوم عند أحد أقاربنا ، بعد ان قضينا أوله وقليلاً من نصفه الآخر في السمر والحديث . فأبوا علينا إلا ان

تقضي بقية الليل عندهم وذلك عندما هممنا بالخروج . وعندما وصلت الدار بصحبة والدي وقت شروق الشمس دخلته ، فوجدت كل شيء غير طبيعي ، فداخلني الشك واعتورتني الريبة من جراء عدم وقوف الخادم المسؤول على الباب بالرغم من فتحه . ولما اسرعت في السير شك والدي في أمري ، لاني كنت امسك بساعده لأقوده خوفاً من أن يصطدم بشيء أو يتعثر أو ينحرف عن الطريق شأنه بذلك شأن كل من فقد البصر وترك عنده يتولى قياد نفسه فسألني وقال :-

مالك يا سامي تسرعين في السير فتسكعيني ما لا طاقة لي به ؟
فرددت عليه وقلت :- لاني استشف من وضع الدار الحالي ونخلف البواب عن الوقوف بالباب . كما هي العادة . وكثرة العيدان والاغصان المبعثرة والمكسرة ، وقوع حدث جسيم وطاريء خبيث ألم بالدار الليلة . قلت ذلك . فأوقفني والدي الى هذا الحد وقال :-

اسمعي يا سامي . ولما ارهفت حواسي . لم اسمع شيئاً .

فقلت له :-

ماذا ؟ ماذا أسمع ؟

- انين خافت ضعيف طرق سمعي عندما كنت تتمككين يا سامي .
ولما استأنقنا السير ووصلنا الى غرفتي الخاصة ، رأيتها مفتوحة على مصراعها . الامر الذي جدد وصاوسي وخاوفي . ولما دخلت الغرفة توقفت ان اصطدم بمفاجأة مريئة ، أو انعرض لحدث جلل . ولم يكن شعوري اكثر من شعور والدي الذي اعترته هزة عنيفة ، وانتفاضة قوية من جراء ما كان يساوره من القلق والاضطراب حينما شعر بحيرتي وتخوفي واضطرابي . ولم تخط إلا خطوات حتى رأيت البواب يسبح ببركة صغيرة

من الدم ، وهو فاقد الوعي والادراك لم يسيطر على شيء الا على أنفة
ضعيفة وطويلة ، يخرجها من حنجرتها في فترات متقطعة ، ولهول الموقف
وخطورته وجسمامة الحادث وفداحته انبثت مني صرخة عصبية لم
استطع كبثها أو حبسها ، فكان صداها هزة قوية ورعشة حادة سرتا في
جسم أبي المستفز فيه كل ما في الرجولة من قوة وبأس وقد كان ذلك
عندما وقف كأنه في عنفوان شبابه ، يتووب لتحطيم من أراد الفتك به
ثم قال :-

ماذا حدث ؟ ماذا جرى يا سلمى ؟ أرشدني ببصرك ، ووجهيني الى
جهة من راعك وأفزعك ، قوديني ان من اقتحم دارنا دون أن يعبأ بنا
أو يراعي حرمتنا لأدق عظمه بلحمه ، وأذيقه طعم دنائته ونذالته ،
فتما لك أعصابي ، واسترجمت بعض ما فقدته من القدرة على الكلام
وأجبت به بتاجاج وتعثر :-

بوابنا مضر ج بدماثه يلفظ انفاسه الاخيرة ، وهو عند قدسيته
يسبح في بركة من الدم ، ولا امر أو وجود للجاني الذي قادته نفسه
الخبثية الى اقتحام الدار وانتهاك حرمة وقديسيتها ، فاعتدى على بوابنا
المسكين ، فجثمت والدي أمام جسم البواب ، وبدأت أحركه وأناذيه فلم
يلتفت المسكين الا ان فتح عيناه وجل بهما في سقف الغرفة كأنه يبحث
عن شيء ، فمالج نفسه لانهوض فلم يقدر ، لذلك أرغى وأزبد وأرعد
وتقم بالفاظ غير مفهومة ولا معلومة ، ولما هدا سألته عن حاله ، فاجابني
بأنه لا بأس عليه ولا خوف ، وطلب مني الماء ، فخلبته وسقيته ، ولما بل
ظلم تحركت شفقتاه فقال :-

اقتحم على الدار اربعة من اللصوص بكامل أسلحتهم ، وهبنا حاولات

منعهم أو صدمهم ، ولما ضايقتهم قبضوا علي وكبلوني ووضعوا السمكات
 علي فمي خوفاً من ان اصيبح ، ونقلوني الى داخل الدار وقالوا لي :- دلنا
 علي سلمى وعند ما اخبرتهم بانك غير موجودة في الدار ، انهالوا علي
 بالطمع والضرب ولم يكتفوا بذلك بل فتشوا الدار بكاملها فلم يعثروا عليك
 ثم رجعوا الي يعيدون علي السؤال نفسه ، ويهددوني بالهلاك ان لم اخبرهم
 بموضعك لانك كنت فايتهم المطلوبة وامنيتهم المنشودة ، فالحفوا علي
 بالاستفسار فلم يحظوا مني بطائل ، لذلك انهالوا علي بالضرب دون شفقة
 أو رحمة ، وتركوني فاقد الوعي والادراك ، وانصرفوا دون ان يتعرضوا
 لادوات البيت وأثاثه بسوء ، بعد ان اعتقدوا اني قد فقدت الحياة
 نهائياً .

فسألته وقلت :- أولم تعرفهم ؟

فرد علي وقال :-

لم أعرفهم بالضبط باسمائهم واسكني عرفت انهم من قبيلة أياد ، ولم
 أشخص إلا خادم سطيج لانه كان اقربهم الي ، وذلك بحكم وظيفة التي
 اقتضت علي حراستي والمحافظة علي السمكات في في ، مع ملاحظة حبال
 وثاقي الضعيفة الواهنة . . .

فلم يكذبصل الي هذا الحد حتى جف لعابه ، فاستمصت السمكات في
 فمه حينما تهج صوته ، فاستسقاني الماء ، ولما غادرته لجاب الماء ، رجعت
 اليه فوجدته جثة هامدة لا حراك بها ولا حياة ، وكان مصابه أليم
 الواقع في قمعي ونفس والدي الذي فهم مصير المسكين ، وكلفت صريم
 باحضار جماعة من ثملب ، فلم تقب إلا قليلاً حتى حضرت ومعهما تسعة
 رجال ، وقد استشاطوا غضباً من هذا الاعتداء الاثيم ولا سيما حينما

اخبرتهم بالامر ، ثم كلمتهم بان يقوموا بدفن الجثة ، بعد اجراء المراسيم اللازمة والطقوس المناسبة ، فسكانوا مثال الطاعة والتضحية والتفاني ، ولما لم اخبرهم ممن جنى هذه الجناية اكتفوا بحراسة دارنا وقصرك في كل ليلة ، وقد كفونا شرهم وحالوا دونهم ودون تنفيذ اغراضهم وغاياتهم السافلة ...

فقاطعها حاصر وقد كبت طيب غضبه وقال :-

الايام يئني وبين سطيح ، الله يا سطيح الوغد الذي لم يكتف بتسديد سهام نذالته التي انبرت من قوس خسته الي وحدي ، بل تعدى الى أبعد من ذلك ، فتحذاني وتحدي عشيرتي ، واراد اختطافك يا سلمى ، مستغلاً فرصة غيابي وبمدي ، أرادك ان تكوني فريسة باردة بين يديه عند ما دبر مؤامراته الفاشلة لأجل قتلي وأنا في بلاد سجستان فلم يفلح ولم ينجح .

وقبل ان يتم كلامه دخل جرير فجأة يقود والد سلمى .

فتلقاه حاصر بالتحيات المطرة الحارة التي تتم عن الشوق العظيم ، والاحترام والتقدير .

وحينما جلس والد سلمى قرب حاصر بدأ يسأله عن حاله وصحته أثناء سفره وحاصر يوضح له كل شيء ، وقد حمد الله على سلامة حاصر من تلك المخاطر والاهوال وسكت ثم تسنى لحاصر ان يسأله ويقول :-

وكيف حال العم في غيابنا ؟

- بخير وعافية لولا الفراغ الذي احداثته عندنا بعد غيابك الامر الذي جعل اهل الشر والمقاصد والاغراض يطعمون فينا ، فيتمجاسرون علينا ، ويهاجمون دارنا لا يلمسرقوا ما فيها من الالاث والمتاع ، بل ليأخذوا او

يحتفظوا أعز ما احتفظ به في هذه الحياة ، وآخر ما بقي لي من الروابط
التي تربطني بهذا العالم الفاني ، فلولا سلامي لما أحببت الحياة ، لأنها يا عامر
وحيدتي بل أمنيتي وذخيري . فقاطعه عامر حينما رأى دموعه تتساقط
على وجنتيه وكلماته تستعصي عليه ، لينتقذه من موقفه فقال :-

علمت القصة يا عمه من « سلامي » إذ أخبرني بكل شيء وازاحت
النقاب عن المسكائد والحيل التي كنت في شك من صحتها ، وعلى ضوء هذه
الحادثة التي ألمت بكم اكتشفت مواضع الاشرار والانفخ المنصوبة لي
بسبب حبي لسلامي ، ذلك الحب الذي أصبح شوكة في عيني سطيج ،
وعقبة كاود في سبيله تمنعه من الوصول الى من تيمته بحبها واسقمته
بصدها واعراضها .

ولما هدا والد سلامي كفكف دموعه ورد على عامر وقال :-

عرفت علة التطاول ، وسبب نصب الاحاييل والاشراك التي قام بها
سطيج نجاها فقد أراد أن يفتقم لنفسه منا ، لأنني خفيت مساعيه ،
وقضيت على آماله وأحلامه حينما رفضت طلب وجهاء المدينة وثبلاؤها
الذين أوفدهم سطيج عدة مرات ليحملوني على الموافقة في تزويج سلامي منه
ولكنهم اضطروا الى الانسحاب النهائي وهم يجرون ذبول الخيبة والفشل
فقد أخبرتهم انها مخطوبة الى سيدها عامر ، ولا يمكن تزويجها من غيره.
مهما تغيرت الاحوال وتطورت الظروف .

- ولهذا اضطر الى محاولة اختطافها وأخذها عنوة رغم انها بعد ما
فشل في امر اغتيالي ، وهو غير عاين . لما تواتبه به الليالي من احداث
مستورة ومصائب مخفية عليه ، وكوارث ان هو اقدم على تنفيذ ما ازمع
القيام به فلي يوم اصفي فيه حسابي معه .

اما اقتراني بسلمى فسوف لا يتم ما لم أقض على كل من نازعني عليها
وزاحني بحبها ، بعد ان اقوم بجميع ما يتطلبه الدين مني من عمل وجهاد
ونضال في سبيل تثبيت أركانه وتدعيم بنيانه ، ونشر لوائه على من
حرموا الظل الظليل ، تحت دوحة الامان والطهانية .

فنهضت سلمى واستأذنت من عامر بالانصراف فاذهبا بذلك وخرجت
تقود والدها ، اما عامر فقد اضطجع على سريره وراح يغط في سبات
عميق لم يصح منه إلا بعد طلوع الشمس

فوجد جريرا واقفاً قرب سريره خياف تحية الصباح واخبره برسول
المقران اليه ، وانه يطلب حضوره في الكنيسة .

فقام عامر من لحظته وارتندى ملابسه بعد ان تناول كفايته من طعام
الطور فركب جواده وسار في موكب مهيب يضم جميع افراد قبيلته
وبعض المجاورين والمحبين ، وتوجه الى الكنيسة ، ولما وصلها استقبله
« ماروثا » ومن معه من القسس والرهبان ورؤساء القبائل وأمرأه الجنيد
الاستقبال الحار فرحبوا به بعد ان هنأوه بسلامته ، فجلس وجلس القوم
حوله وبجانب « ماروثا » الذي بدأ يسأله عن سفرته ومدى نجاحه في
مهمته ، فقص لهم قصة سفره مع جرير من أولها حتى اتى الى آخرها ثم
بشرهم بما احرزه من النجاح التام بعد المشاق الجسام التي تعرض لها
بطريق الصدفة ، ومن فعل الجاسوسية التي اوغرت قلوب اهالي
(مسجستان) على قتله بعد ان استفزت فيهم عاطفة المذهب والحرس عليه
حينما اخبرتهم تلك الجاسوسية بانى من مبشري المذهب اليعقوبي المضاد
لذهبيهم النسطوري .

وان مبعت هذه الجاسوسية عن حضر اجتماعنا في « الكنيسة

الخصراء » عند ما قررت ان افادي لانجاز هذه المهمة في تلك الربوع .

فقاطعه المريان وقال :-

انها خيانة عظمى وكفر فظيع بمن سولت له نفسه من اتباعنا باتباع شططها فاقتياده لسلطان عاطفته وهواه ، لانك لم تخرج من مدينتك هذه بدافع الاغراض الشخصية ، أو رغبة في الشهرة والجاه اللذين انت في غنى عنهما ، وانما خرجت مكافأ ومناضلاً في سبيل الدين ونشره وتعميمه على الصورة الحسنة والوجه الانم مهتدياً بتعاليم « اوطيخي » وبينما كان المريان مستمراً بالحديث اختلس عامر نظرة من سطيح ، فوجده يحاول بلع لعابه الذي جف في بلمومه فلم يقسن له ذلك إلا بصعوبة فحول نظره حينما رد على المريان وقال :-

اني لا اتوقع مثل هذه الاعمال من أي فرد من افراد المدينة ولذلك فاني لا اتهم احداً منهم إذ ليس من المستحيل ان يندس بيننا أو بالقرب منا في زي من الازياء أو في طريقة من الطرق من هو بعيد عنا في الدين والمذهب أو محل السكنى والوطن فانتهزها فرصة سانحة مناسبة لخلق القضية في مهدها أو قبل ان يستفحل أمرها فعمل ما عمل .

فقال سطيح :-

الحمد لله على سلامتك يا اخي واني لأهنتك بما احرزته من النجاح الذي اكسبك ارضاء الله والكنيسة فسجلته في سجل الاعمال الجليلة المقرونة باسمك ليخذلك التاريخ وتذكرك الفضيلة ، وتفخر بك الشجاعة وتمتز باقدامك العقيدة ، لانك استحققت اعجاب الناس وتقديرهم بفضل ما اقدمت عليه من الاعمال التي تعود فائدتها على البشرية جمعاء عندما ضحييت براحتك وسعادتك وقدمت نفسك لتكون كبش الفداء للدين .

واني اذ اعرب عن شكري وامتناني لك وامحياي بك ، فقد اهديتك اعز خادمة عندي لنقوم بخدمتك ونحرص على سعادتك وراحتك كما هو شأنها الآن عندي . قال ذلك وسكت فقام المفريان وقال :-

لقد استحققت لقب « فارس الكنيسة وحاميها » مع هديتها ، ثم تقدم اليه ووضع في عنقه صليبا ذهبيا كبيرا مرصعا بالاحجار الكريمة مربوطا بسلسلة ذهبية بشكل قلادة وبعد ان بارك له فيها تنحى عنه وجلس ، ثم تكلم رئيس التمر وقال :-

أرجو ان تقبل مني جوادي الخاص هدية متواضعة لا جزاء لأعمالك التي لا تناسبها هديتي البسيطة وانما تعبيراً لشعوري باستحسان عملك ، فخصاني منتهى ما تصل اليه يدي من حطام الدنيا ، فحذا جميع من حضر المجلس من روم وعرب حذوهم وقدموا هداياهم المتباينة والمتنوعة لعامر يعبرون فيها عن شعورهم واحساسهم بفضائل اعماله .

— ١٩ —

انقض المجلس بعد ان شكر المجتمعون عامراً على همته القعساء وتضحيته الفذة التي انتجت هذا العمل المثمر، الذي افتخرت به كنيسة المشرق بتكريت ، كما اعتر به « مفريان كنيسة الخضراء » وشكروا عامر على ما قدموه من هدايا، وما عرضوا امامه من شعور فياض بروح الاخاء ، منعمين باريح المودة والاخلاص .

وتسنى لبعض رجال اغلب من جمع بهض الهدايا التي قدمت لعامر اثناء وجوده في الكنيسة ، وسار البقية في ركاب موكب عامر وأحاطوه

احاطة الهالة بالقمر ان ان وصل الى قصره ففترقوا عنه .

أما سطيح فقد تنفس الصعداء عند ما غادر الاجتماع الكنيسة ، لانه
ايقن ان الحيلة التي اظلمت على عامر ، وهي اهداءه جاريته التي ستمهد له
طريق الحب الشائك الوعر ان قلب سلمى المقلد دونه ، لذلك حث جواده
على السير ليصل قصره بسرعة كأنه كان خائفاً من تقلبات الزمان ،
متوقفاً منه الحيانة والغدر ، فسبقه قبل ان يسبته بالطعنات ، ويبادره
بالنسكبات .

وما ان وصل قصره حتى استدعى « زوبعة » ، فلما حضرت بين
يديه بقامتها المتوسطة ورشاقتها الحبيبة ، وتناسق اعضائها مع حسن
انسجامها الذي لا يتفق وسواد وجهها البني الذي ورتنه عن أمها .

التفت اليها وقال :-

يا زوبعة ، انك تملين حدي عليك ، ومراعاتي لراحتك ، وحرصي
على صحتك بناء على ما كنت تبدينه تجاهي من حب واخلاص وتقان ،
أجل لمست كل هذا منك فقابلتك بالعناية والتفضيل على غبرك ،
واختصيتك بأسراري وظواهري ، فاطلعتك على جي لسلي التعليلية
وعرفت اثره في قلبي ومداه .

وقد تبلور هذا الحب يا زوبعة حتى ملك علي احساسي ومشاعري ،
فاضطرت الى سلك مختلف الطرق والمسالك للوصول الى غايتي وامنيتي
« سلمى » فلم استطع ولم اقدر ، اذ ذهبت جميع محاولاتي ادراج الرياح .
فاصابها الاضمحلال والفناء وكلما اهتمت الى طريقة ، او عثرت على
فكرة اتوصل بها الى التغافل في قلبها لم البث ان اصطدم بقساوة ذلك
القلب . وكل ليلة ابيت فكرة أتعال بنجاحها وانكسرها بتبديد وتزول

عندما تشرق عليها شمس الصباح التالي عندما تصل الى مسامع سلمى بعض مطالبى . وقد اهدت اليوم الى فكرة اتوقع من تنفيذها الفجاء التام رغم ما فيها من التضحية . ولا يتحقق نجاحي الا بواسطتك يا (زوبعة) .
 فارجو ان تشدي ازري ، وتساعدني بحق الترية والاخلاص . وبحق المقدسات يا زوبعة

- مستجدي اطوع اليك من بنائك يا سيدي ولو طوحت بحياتي في مهاوي الدمار .

- ابي طوحت فيك يا زوبعة . ولكن تطويحي بك لم يكن في مهاوي الهلاك بل اهديتك الى « عامر » مكافأة على حسن صنيعه في بلاد « سيجستان » . هذا ما نظارت به أمام الناس ، أما غايي الاساسية ، فهي أن تلعب دورك في قصر عامر ، وتبني لي الظروف المناسبة لايقاع العداوة والبغضاء بين عامر وسلمى أو نعمدي الى اختلاق بعض الاكاذيب عن لسان أحدهما وإيصالها الى مسامع الآخر . أو غير ذلك من المكائد والحيل التي تضمنين لي بواسطتها حب سلمى . ولو اقتضى الأمر على التآمر على قتل عامر أو اختطاف سلمى .

- والله ليمز على فراق قصرك والخروج من تحت ظلك ورعايتك . ولكن سأمرن نفسي على الصبر ، والله بالعمل المتواصل لأقدم لك امنيتك هدية لك جزاء لحديثك علي وتلطفتك بي ، واعترافاً بجميلك .

- اشكر يا زوبعة . ارجو ان لا تتجاهلي أمري ولا نفسي وصيتي . وبعد أن طبع على يد سطيح قبة ضمنتها عدة معانٍ . غادرت القصر بصحبة أحد رجاله متجهة الى قصر عامر . فأدخلها الرجل على عامر وعال :-

هذه هدية سطيح اليك يا سيدي ، قال ذلك وانصرف وترك زوبعة
بين يدي عامر يسألها ويقول : -

ما اسمك ابتها الفتاة ؟

- زوبعة يا سيدي .

وبينما عامر يتأهب الى أن يوجه سؤالاً آخر الى زوبعة لداعبتها
وازالة شعور الحجل والاستحياء عنها . دخلت سلمى قصد الاستفسار
عن الاسباب التي دعت المغيران يرسل في طلبه . فقال لها : -

ليظلم على مدى نجاحي في مهوتي . ثم التفت الى الجارية وقالت : -
وما هذه الجارية ؟

- انها هدية سطيح . وهذه هدية المغيران بعد أن انعم عليّ بلقب
« فارس الكنيسة وحاميها » . قال ذلك ونزع السلسلة من عنقه وقدمها
الى سلمى ثم قال وستصلي الهدايا الاخرى من الامراء والقادة . أما الشعب
الذي لا يملك من حطام الدنيا غير ما يكتنه من الحب والاعجاب والتقدير ،
فقد أظهر شعوره وقدمه هدية لي ، حينما اعرب عن اخلاصه في ذلك
المهرجان المهيّب . فردت عليه سلمى وقالت :

أما انا فامنتك بكل ما نلت من الهدايا والاعجاب والتقدير والنجاح
والفوز كما اهني نفسي بسلامتك وتوفيقك مع تلاً لنجمك وسطوع
نوره في سماء البطولة والشجاعة . وفي اتق الاخلاص والضحية لأعلاء
كلمة الله ، وتوسيم رقعة دينه فسكتت والتفت الى الجارية وتفرست فيها
فكانت :-

حقاً انها جارية خفيفة الروح والظل . لكنها هدية سطيح ولتلك

فاني لا اركن اليها ولا ارتاح منها . فنظرت زوبعة الى سلمي نظرة عتاب وغنج ودلال وقالت :-

وما ذنبي انا يا سيدي حتى لا تتراحى بوجودي ؟ وما قيمتي حتى اعكر عليك صفوك ؟ ما انا إلا دمية متقلبة ناطقة ، لا تقدر على تسيير نفسها بنفسها ، ولا تملك من الرأي شيئاً . فانا كالتقدي تقاذفني الايدي لقضاء حوائج الناس واغراضهم دون أن أقدر على قضاء حاجتي . لاني أسير في الحياة وليس لي هدف أو شأن فيها غير عد الايام لأتوصل الى يوم خلاصي من هذه الحياة يوم تقوم قيامتي . فرد عليها عامر وقال :- لا تيأسي أو تحزني وتقنطي . فلست الخادمة الوحيدة ، فكما خدم معها ارتقينا في سلم المجتمع ، وتربنا على الدرجة العليا منه . إذ لا يصلح بناء المجتمع الكامل ما لم يشعر افراده بأنهم خدم لغيرهم ويخدمهم الغير . - أنا لا أشك فيما تقول يا سيدي . كما اني اعترف بأن أساس بناء المجتمع الكامل ان تكون الخدمة متبادلة بين أفراده . ولكن خدمتي تختلف عن خدمة بقية الناس لأنني أبيع واشترى واهدي كافي من المتاع أو البضاعة لأن المجتمع يبذني عن واحته عندما سلبني حريتي ، فقاذني كالتقياد السائمة التي رصخت للذل والاهانة ، فقيدني وسخرني لقضاء حوائجه ، وانجاز اعماله التي يأنف افراده عملها أو يعجزون عن تأديتها . أما لحسرتها وتقاهتها أو لصعوبتها وافراد المجتمع لا يعبأون بما اتسمي من المشاق والاعتاب . بالاضافة الى ما اكبدته ومثيلاتي من آلام القرع وقساوة القذع .

فالتفت عامر الى سلمي فوجدها مصفية الى زوبعة بكل حواسها . ورأى علائم الاهتمام بها والتأثر من كلامها بادية على وجهها وملاعها .

فاستغل هذا الاهتمام وذلك التأثير في سلمى وقال : -

والله انها خادمة مثقفة وعلى جانب عظيم من الفهم والمعرفة .

فردت عليه سلمى وقالت : -

ولهذا فأنا التمسك باسم الحب المقدس الذي يربط قلوبنا ان نحمل مهمتها

مقتصرة على المراسلة بيني وبينك ولا ترهقها بالاشغال الكثيرة الصعبة .

- سيكون الامر حسب رغبتك يا حبيبتى . فلو لا عتب سطوح

لاعتقتها وتركتها حرة . لها الخيار في البقاء أو الرحيل . ولكنني لا أرى

ذلك من اللياقة والادب . رغم اراحة الوجدان ، وارضاء الضمير ، وتطهير

الانسانية من اعمال الجباورة العتاة الذين يطربون لاستعباد الضعفاء

واسترقاق الفقراء .

فاجابتهما زويدة قائلة : -

تالله اني لأفضل المعبودية والاسترقاق عندكما على الحرية والاستقلال

وانا بعيدة عنكما . لأنني لمست العطف والحذب بعد الرحمة والشفقة التي

غللتني وغمرتني بموجة من الانشراح فأحيت بقلبي ميت الآمال عندما

حببت الي الحياة التي كرهتها واجتويتها قبل ان تظأ رجلاي عتبة قصركما ،

فاستظل بظل الحرية والعناية عندكما .

حقاً ان زويدة كانت تشعر بأن الحياة قد ابتسمت لها . لذلك اقترت نفسها

عن ابتسامه وادعة مشرقة دائمة لم تفارق حياها مدى أيام اقامتها

وبخدمتها في قصر عامر . ولم تكن تلك الابتسامه إلا علامة من علامات

الرضا ، وطاباً من طوابع الحياة السعيدة ، وشعاعاً من أشعة الاحساس

بالفوز تسلل من قلبها بعد ان وجد طريقه الي حياها وملاعها الخارجية .

وذلك بعد ان أحست بثقة عامر وسلمى بها . فركنا إليها واطمأننا لها في كل حركة أو عمل حتى سمياها به « رسول الحب وبريد القلوب » .

وقد كانت تلك الثقة هي الباعث الحقيقي لنشاطها في العمل الذي جاءت من اجله والذي امرها سطيح بانجازه ، دون خوف أو وجل ، أو تحفظ وتردد . وقد ارشكت أن تنجي غمرة عملها بايقاع المداوة والبغضاء بين الحبيبين . فتفرق بينهما لولا قوة الروابط ، ومتانة العرى التي ربطت القلبين بروابط الحب المقدس . ولولا بعض الموانع والعوارض التي حالت دون ذلك بعد شل حركتها وتعطيل عملها ، وشجبه الى حين ، ومن ابرز تلك العوامل هو شعورها بالجل لمن ارادت أن توقع فيها ، ذلك الشعور الذي عمل على اضماف هذه المحاولات بل وايقافها لولا الحاح سطيح عليها بين آونة وأخرى .

— ٢٠ —

وبعد فترة الاستراحة والاستجمام القصيرة التي تمتع بها عامر أثر رجوعه من بلاد سجستان . بدأ يراقب اعمال الكنيسة ونصرات سطيح عن كثب لأنه كان يأمل من الكنيسة وعلى رأسها المفران ماروثا ، ان ترسل المبشرين الاكفاء الى « اذربيجان » أو « هرات » لتوسيع رقعة الدين ، ونشر لوائه على من كان يشكو حرارة قيظ الظلم ، وجذب الجبل ومحولة الحياة المفيدة . كما عمل هو حينما تكبد من الاضرار وواجه من المخاطر ما لا طاقة له بها اثناء تأدية مهمته في « سجستان » . بالاضافة عما بيته له سطيح من المكائد ونصبه من الاشرار للايقاع به ، ثم التخاذل

منه ، فلم يبدأ من اخبار المفريان ماروثا بما فكر به عندما صبر قائلاً
الصبر واضجره .

اما المفريان فقد رد عليه . بأنه لم يفعل ولم ينس واسكنه في دور البحث
عن الرجل الكفو لهذا العمل المهم . فتيقظت روح الانتقام في قلب عامر
وضرب عصفورين في حجر حين قال : -

كلنا يعلم كفاءة سطيج زعيم أياد ومقدرته وسلطته رغم قوّة وشوّة ،
الى ان يسجل اسمه في سجل البطولة والشرف . فهو من الشباب الطموحين
الذين يتوثّبون الى العمل ، لينالوا بواسطته الشهرة الواسعة والتفوق
المحسوس وهو يعد عدم اختياره لايفاده من قبل الكنيسة في مصلحة
الدين اهانة واذلالاً بعد غمط حقوقه واجحاف مقدرته التي تؤهله بأن
ينال شرف انعام الكنيسة ، فيصيح « فارس الكنيسة وحاميها » وقد
انكش واستاء من جراه منحك اللقب الآنف الذكر لي وتفضلك به عليّ ،
وعده تحدياً لشخصيته التي هي اجدر من غيرها . وهو يتحفز الى العمل
ويتوثّب اليه لينال شرف اللقب وقداسة الانعام ، وبعد سطوع نجمة في
افق الشهرة والنبوغ . فرد عليه المفريان وقال : -

ان كان الامر كذلك فسنقرر ايفاده في الاجتماع الذي سنعقده غداً
في الكنيسة . ثم افترقا على هذا الرأي الذي سيقرره المفريان في الصباح
التالي .

وعند الصباح كانت رسل المفريان تطرق أبواب قصور رؤساء القبائل
العربية والبارزين في الحامية الرومانية ، كما تطرق أبواب الاديرة الاخرى ،
ليبلغهم نوق المفريان الى الاجتماع بهم لا مر طاري مهم ، يستلزم
اجتماعهم بالمرعة .

وما هي إلا ساعة حتى اجتمع جميع من طلب المفريان حضورهم في كنيسة دون أن يعرف أحد سبب هذا الاجتماع المفاجيء إلا عامر والمفريان . فقلتمفوا الى معرفة الغاية منه . ولكن المفريان ماروثا قد أمرع في كشف النقاب عن الحقيقة حينما شعر بقلوبهم الى معرفة داعي الاجتماع الذي اقلقهم وزاد في اضطرابهم . وقال : -

ايها الاخوان : ان الايمان بالمبدأ والعقيدة اذا رسخ في قلب المرء ساقه الى العمل المتواصل الذي لا هوادة فيه ولا اناة ، ليتمكن أن يعبد لذلك الايمان طريقاً الى قلوب الناس فيوطنه فيها لأنه مخلوق وديمر محب مقبول . فيخلق بذلك انصاراً ومؤازرين ، يعمل واياهم في تعميمه على البقية الباقية من الناس . ليتمتعوا بمنظره ويتذوقوا بحلاوة ثمره وانتاجه ليزدادوا تماسكاً مع بعضهم وتأزرأ فيما بينهم . للحيلة دون وصول حليف الشقاء الثقيل من الاستغلال بظل سعادتهم ، فينقص عيشهم عندما يضم بيوضه التي لا تقس إلا عن افراخ التماسه والشقاء . بعد أن تعمل على تعرية شجرة السعادة من اوراقها التي كانت السبب في اجتماع القوم بذلك الظل الظليل . فيذهب الظل بذهاب الاوراق ، ويتغير القوم الذين يعجزون عن مواجهة احداث الطبيعة . وهناك يستسلمون لسلطان الشقاء مرغمين . بعد أن أذلتهم التفرقة وحطمتهم الانانية .

ولأجل هذا كله بل ولأجل المحافظة على السعادة التي واثافها الايمان بديننا وعقيدتنا اضطررت الى جمعكم للتشاور في امره والعمل على نشره وتعميمه كما هو شأننا قبل ذلك . وقد ذكرت لكم اننا من معروف تعميم الدين في بلاد « سيجستان وهرات واذريجان » . اما سيجستان فقد نورها عامر بفيض حكيمته ، ونور معرفته . وبمشم الايمان الذي رسخ في

قلبه ، ولذلك سجلنا اسمه في سجل التضحية والخلود بعد أن منحناه
 اللقب الذي أخذه عن جدارة ومقدرة ولا يقتصر هذا اللقب على واحد
 دون آخر ، أو يفرد به شخص دون بقية الناس . بل يناله كل من يقدم
 للدين تضحيات وللكنيسة ايا-ي بيضاء واعمالاً مثمرة فمن يجب أن يكون
 من حماة الكنيسة وفرسانها بمن رسخ الايمان في قلبه ، وفورت العقيدة
 عقله وذهنه فليتقدم اليها . واني اذ أقول ذلك اوجه كلامي اليكم جميعاً ايها
 الاخوان عدا عامر الذي أدى من الاعمال ما اوجبت شكرنا وتقديرنا له
 كما نال اعجاب الناس وتبجيلهم . فقاطعه عامر وقال : -

وانا على تمام الاستعداد للقيام بالاعمال التي تسعد الناس وتقوي
 مركز الكنيسة او تكسب الدين شهرة وائساعاً وسلطاناً في كل مكان
 وزمان .

- انك قد أدت عملك ، وقت بواجبك . لكننا قد نكون مضطربين
 اليك اذا لم نجد غبرك بمن يقدم على ما نريده من الاعمال . واطننا في غي
 عنك الآن لكثرة الاكفاء الذين لا يبخلون بجهدهم على الدين .

فايقن سطيج بأن عامر قد جرح كرامته ، ونال من نفسه ما نال .
 فقد تحداه كما تحدى غيره من المجتمعين عندما غرق في خمر النصر وانتشى
 من سكرة الاعتداد بالنفس ، فبلغ الحماس منه أعلى ذروته وقال :-

لاياد اليد الطولى في نشر الدين بهذه المحلات كما لها المجد الاثيـل
 والاسبقية في سكنى المدينة . ولذلك فاني بحكم هذه المؤهلات ، بالاضافة
 عما عندي من استعداد ومقدرة سأكون المقدم على جميع من يريد ان
 يرفع عماد الدين ويقويه ، كما يزيد في اتساع ضله وبسط نفوذه وسلطانه

وذلك بصفتي زعيم اياد ، اخذت الزعامة بالوراثة المتعاقبة مع الجدارة التي لمسها الناس عندي .

فارتاح عامر من كلام سطيج وطرب من نغمته لانه قد توصل الى ما كان يهدف اليه ويتوق له ، باز يقوم سطيج بتأدية رسالة الدين كاملة في « اذرييجان » ، ولا يماذه واقصائه كي تتفانفه الاقدار ، وتلمب به المصادقات والمعاجات ، ليخلص من مناوئه في الحب ، ومزاجه في الغرام . لكنه قال بعد ان اظهر من الدهاء والمكر ما لا يقدر عليه غيره في تلك اللحظة :-

لاياد القدح المعلى والمكانة السامية المرموقة في المجتمع ، والكفاح ، والشرف ، فليس من الغريب أو العجيب على سطيج ان يكون من اجماع الكنيسة وفرسانها ، لانه لم يكن جباناً عاجزاً أو كسولاً متاهلاً متعاصماً عن تلبية نداء الكنيسة ودعوة النصرانية ، بل هو للامر من قبل ومن بعد ، لان له من قوة الشباب والعلم والاطلاع على الدين مع بعض الآراء الفلسفية ، وسداد الرأي ورجاحة العقل ما يؤهله للابقاد ، ليقوم بمهمة بث تعاليم اليعاقبة التي تدعم أركان الدين الذي سيدينني سطيج صراحة في تلك الربوع .

فصاح اكثر المجتمعين وقالوا :-

نحن نؤيد عامراً برأيه ونعترف بقول سطيج ، لأننا نرى الصلاح في ايفاده ، لنفاه لنا به وتوقعنا نجاحه في عمله .

وفي اثناء ذلك كان رئيس دير « مريحن » الراهب « مارين » يغمغم بكلمات ضاعت بين الاصوات العالية والضجيج المستمر ، فلم يلتفت اليه

أحد أو يفتبه إلا من عناها بقوله وهما عامر وسطيح ، لقربها اليه ولعدم
انشغالها بالتأييد والتجديد ، فسمعاه يقول :

لولا تنافسهما في حب تلك الفتاة التي خلبتها بحبهما الاخاذ ، لما تنافسا
في كسب الجاه وبسط النفوذ ، وابتماد الصيت بعد الاقدام على المهالك
والأهوال بحجة مناصرة الدين وتدعيمه ثم العمل على اكثار مناصريه
ومؤازريه .

واحسب عامراً سيوقع سطيح في المهالك التي سوف لا ينجو منها
جزاء لما اقترفت يدها وما صنع من قبل ، لأن عامر اليوم يثار لنفسه من
سطيح الذي أراد قتله في بلاد سجستان ، فلم ينجح أو يتوصل الى ما
هدف اليه .

فالدين لا يقبل التأمر ونصب الأشرار كما انه لا يريد العداوة والبغضاء
ان تتغلغل في قلوب الناس ، لأنه للاغواء والمودة والمساواة ، وبحكم مهنتي
ومنصبي يجب ان اعمل على انقاذ سطيح من ورطته وتحليصه من الموت
الذي بات في انتظاره .

ولما هدأ الضجيج وسكنت الضوضاء ، وانقطع الصوت اعترض
الراهب « مارين » على ماروثا وقال :-

أراك لا توفد الى المحلات التي أزمعت هداية أهلها بمشعل الدين
الصحيح الا رؤساء القبائل أو أسراء الحامية وقادتها ، ورجال الكنيسة
ورهبانها دين أن تلتفت الى اراد الشعب وتمرحم اهتمامك ، لعلك
تجد فيهم من هو كفؤ لما منك الي أزمعت القيام بها ، فيخف الى قلبية
فندائك ليخرج العكرة الى حيز الوجود والعمل ، فاعتمادك على هؤلاء
معناه اجحاف بحقوق الشعب وتطويع مؤهلاتهم واستعداداتهم ، وبالوقت

نفسه اقحام نفسه في المآزق المخرجة فيما اذا لقي أحد هؤلاء الامراء او القادة حنته بقدر محترم اثناء سفرته .
فرد عليه ماروناً وقال :-

ذلك راجع لي ، لوثوقي من عدم ايجاد الكفوف المهمة الجسيمة بين افراد الشعب ، لأنهم لم ينالوا اي قسط من التعليم في الاديرة والكنائس بناء على جهلهم وفقيرهم ، ولحيلولة المتنفذين دون تعلمهم وذلك لأمر ما ياتقصم .

- وكيف وثقت بعلم الامراء والقادة اذن ؟

- بعد دراسة طويلة لمجتمع تكريت تمكنت ان اعرف ان الدراسة والتعليم في الاديرة والكنائس واجبة مفروضة على أولاد المؤمنين المتنفذين ، ومقتصرة عليهم دون غيرهم ، عدى الفقراء الذين وهبوا نفوسهم للدين ، وكرسوا جهودهم وحياتهم لخدمة الاديرة والكنائس ، فقد أصبحوا رهباناً وشمامسة ، ولأجل هذا تمعدت عرض مشاكلي الديفية على هذه الطبقة التي سمح لانبائها مركزها الاجتماعي ، بان ينالوا قسطهم من التعليم دون سائر اقرانهم من ابناء الشعب الذين انصرفوا بكليتهم الى مؤازرة آباءهم ومعاونتهم في الاعمال التي من شأنها ان تهني أو تكثر لهم القوت والزرق الذي هم بأمس الحاجة اليه ، كي يدروا عنهم خطر المجاعة عندما كانت تتهددهم بين آونة وأخرى ، أما اخواننا فلا هم لهم في صغرهم الا الاعتكاف على الدروس والمطالعة كما هو شأن غيرهم من ابناء طبقتهم ، وهذا ما جعلني أعرض عليهم امري فاخصصهم بمهمتي دون غيرهم من بقية أفراد المجتمع الذين حرموا غمرة المعرفة ، ومنعوا من تذوق حلوة العلم ولذة الاطلاع .

فسكت الشيخ حينما اخذه المفران ماروثا ، واستمر يغمغم بكلماته التي لم يسمها الا الذين بقربه ويقول :-

مسكين سطيح ، حرم من الحب ويحرم من لذة الدنيا ، والله لئن كتبت له السلامة ورجع ظافراً منصوراً ، لأعلمن كل ما يوسمي عمله المناصرة ومؤازرته حتى في أخرج المواقف ، لأنني قد أحسنت بالمطف عليه .

ولما انتهت مهمة المجتمعين انفض المجلس ، فذهب كل الى حال سبيله . وقبل ان تشرق شمس اليوم التالي كان سطيح واثني من رجاله تنهب بهم جيادهم الطريق بعد ان عبروا دجلة متجهين الى الشمال الشرقي ، فوصلوا اذريجان بعد ان ساروا أياماً كثيرة ذاقوا خلالها من التعب والضنى والمرار ، وتعرضوا لمختلف الاخطار والاضرار .

وعند وصولهم تبأت لهم الظروف المناسبة لانجاح والفوز وذلك عند ما استحوذ « سطيح » على مشاعر القوم واحاسيسهم ، وخطبهم بشجاعته ومهارته فذللهم لمشيئته وقادهم باوامره ونواهييه ، إذ غمرهم بالمعرفة واغرقهم بالعلم ، فحب اليهم الايمان وقربه الى نفوسهم بكلامه المعسول واسلوبه الخلاب ، وما هو الا زمن قصير حتى أصبح أهالي اذريجان يدينون بالنصرانية ويتمسكون بتعاليم المذهب اليعقوبي ، فتسنى لسطيح ان يوجه همه الى اقليم « هرات » بعد ان بنى الاديرة والابرشيات والبيع في الاقليم الذي هو فيه ، فحلمها مدارس شعبية ، وبعث اثني من يعتمد عليهم برعاية العقل وسداد الرأي ، وعظم الحاجة ، وغزارة العلم ، وقد كتب لها النجاح التام كما كتب في اقليم « اذريجان » .

وقدر ابن يضم هذين الاقليمين الى تبعية الكنيسة الخضراء بمكريت ،
تحت رعاية الميراث ماروثا .

وبينما كان قلق الناس على سطيح يترابذ ويتضاعف من جراء غيابه
الذي استغرق اربعة شهور ، اذ به يصل على حين غرة ، دون ان يعلم به
أحد غير صاحب الزورق الذي نقله من الضفة اليسرى الى اليمنى من نهر
دجلة ، والرجل الذي تولى الحصان لاجتياز النهر المذكور بالاسباحة ،
ولكن الخبر لم يبق مستتراً أو مكتوماً ، بل انتشر في المدينة وعلم به
القاضي والداني ، وخف الناس الى قصر سطيح يحجونه ، فطافوا بالقلمة (١)
للاستطلاع والتأكد من صحة الخبر برؤية سطيح ، لعدم اطمئنانهم
ووثوقهم من مدى صحة الخبر ، وكانت قبيلة أباد أسبق المجموع الى حج
قصره والطواف حوله ، أما زوبعة فقد كانت أول من تشرف بلقائه
عندما اعتذرت بالخروج من قصر عامر بعد قضاء بعض الحوائج وشراء
الوازم من السوق السكائن في الشمال الغربي من المدينة ، فمرت بلقائه كما

(١) تلك القلمة التي ظلت تقاوم الاعتداء مدة طويلة من الزمن ، فقد كانت
خير حصن وقد اشتهرت زمن « بهروز » وهو « ابو الحسن بهروز بن عبد
الله » خادم الساطان مسعود السلجوقي لانه كان يعتصم فيها عند الحاجة ، وقد وضع
عليها من قبله حينما كان يتولى شحنة كبة بغداد . شاذي جد صلاح الدين وأولاده
« اسد الدين شيركوه » ونجم الدين أيوب » وشاذي من بلدة دوين في اذربيجان من
أصل كردي تزوج من بكريت ممل أولاده حينما قتل ابنه احد ابناء النصاري
البارزين في المدينة ، وكانت القلمة محبساً لمن يستخط عليهم ، وقد سجن فيها العزيز
ثم قتل هناك . راجع :- (١) مختصر مرآة الزمان ص ٨٦ . (٢) وفيات ص ٨٥ : ١
(٣) السكامل ص ١١ ، ٢٢٥ ، ونواربغ آل سلجوقي ص ١٦٧ .

فرحت بسلامته ، وقد فرح هو الآخر بها لأنها وافته ببعض اخبار
« سلسي » وقد صدمته قبل ان تهم بالخروج بقولها :-

فشت جميع الاعمال التي عملتها ، وقد خابت كل التدابير لقوة رابطة
القلبين برابط الحب المقدس الذي لا تنفصم عراه ، رغم الاحداث الجسام
وتعاقب السنين ومرور الايام ، فالطرق السلمية التي سلكتها في تأديبة
مهمتي لم تجد نفعا ولم تثمر الثمر المطلوب ، لان الحب رائدها والاخلاص
ديدها والتضحية من ملازماتها ، ولو اتبعت الطرق الایجابية انا وغيري
لما استطعنا ان نفرق بينهما ، لأنها لا يفترقان ما داما على قيد الحياة .

قالت ذلك واستأذنت من سطيج بالانصراف خوفاً من ان يشقه في
أمرها من جراء تعطيلها وابطائها ، أو خوفاً من ان يعرف أحد أمرها

— ٢١ —

وفي الصباح كثر اللفظ في المدينة وعلا الصياح والضجيج فرددت
الحيطان والجبال أصداه الاهازيج الشعبية التي ملأت الاجواء ، فتطلع
الناس الى تلك الاصوات وتسمعوها ، فتناولت الاعناق من السطوح
والنوافذ الى الشوارع والازقة لاستجلاء الخبر ومعرفة الباعث لسكل ما
يسمعون ، فلم تطل مدة تلهف القوم الى معرفة الاسباب حتى رأوا
موكب سطيج يخترق الشارع الرئيسي في المدينة من اقصى الشمال الى
الجنوب متجهاً الى الكنييسة ، ورأوا أياك تحتفل بعجي . زعيمها سطيج
وتحتفي به وهو في طريقه الى « ماروئا » ليطلعه على النتيجة المسرة التي
ضائق ذرعاً بسجن الصدر الذي ضمها عدة شهور .

ولم يكذب بصل الكنييسة ويترجل حتى أوعز الى المحتفلين به ، بان

يخلدوا الى الهدوء والسكينة ، لانهم قرب الكنيسة التي تقمضي قدسيتها واحترامها الى الهدوء . ولما دخلها رأى عامراً وبقية وجهاء المدينة قد سبقوه ، لانهم اوجسوا خيفة على الكنيسة مما سمعوه ، ثم استقبلوه الاستقبال الحسن ، وهنأوه بسلامته وكمال صحته ، وما ان استقر بهم المقام حتى بدأوا يسألونه عن مدى نجاحه بمهمته ، وما جابه من المضاعب والاضطراب وهو يرد عليهم ويشرح لهم ، حتى سرد قضية سفره أثناء وجوده في تلك البلاد وما عمله من الاعمال التي اثمرت النجاح والتوفيق الذي يمشده كل مسيحي أو كل من يفرح بخير الانسانية واتخاذ البشرية من الجهل والظلم وايصالها الى مراتب السعادة ، وحقوق الرفاه ، لأنه قد عمم الدين على جميع اهالي اذربيجان ، فبذيت الاديرة والكنائس واتخذت مدارس لمن طلب المعرفة وتمشق الدين وأراد العلم ، وبالإضافة لما أبداه من الجهود التي تمخضت عن هذه النتائج المصرة ، فإنه قد ثبت ان كمال الدين وقوى دعائمه في بلاد « هرات » بمساعدة المبشرين الاكفاء الذين ارسلهم لتحقيق هذه الغاية ، وقد وصلت منهم الاخبار التي هي من الاهمية بمكان يستحق الاعجاب والتقدير ، وذلك انهم عملوا على تنوير أهل الاقليم بمصباح الدين فهدوهم الى السعادة والاطمئنان والسلام .

فلمت عينا المفران وبدت على وجهه علامات البشر والحبور فقال :-
الحمد لله على ترفيقه اياك ، وصيانتك لك مدة غيابك التي افلقنا مدتها الطويلة . فاجابه سطيح وقال :-

لم أصل مدة اقامتي هناك الا لاجل ان انشر لواء الدين فوق كل من استوطن تلك الاقاليم ، كي أرى حال القوم وهم يتفيمون بظله ، لأقارن

بين وضعهم القديم ووضعهم الجديد ، فاطلع على مقدار استفادة القوم من الدين في حياتهم الاجتماعية والروحية .

- وهل شاهدت تبديلاً محسوساً ملموساً عندهم ؟

- أجل يا سيدي المفريان ، رأيتهم قبل ان يعمر الايمان قلوبهم مشردين مشتتين ، تتقاذفهم الايدي المابثة التي لا يمنعها من انتهاك الحرمات ذمة ولا وجدان ، ولا يحاسبهم على ما يقتربون من آثام ويعملون من رذائل ضمير ولا شرف ، لانهم قساة عتاة ، لا ترق قلوبهم ولا تلين ، مهما عظم الخطب وتجمست الفادحة ، فضعيفهم مغلوب على امره ، تستبد به القوة ، وينفرد باستعباده واستخدامه الجيروت والظلم ، فالانانية وحب الذات قد طغتا على بصائرهم فاعمتها ، وحجبت عنها شمع الرحمة والشفقة ، فزاعوا عن جادة الحق ، وتاهوا في قمار الجهل حتى تفرقوا ، وتشتتوا بعد ان فقدوا روح التضحية وعاطفتي المودة والاخاء .

أما الآن فقد نزعوا ما في قلوبهم من غل وطمع وجشع ، ولم يبق للانانية عندهم الا ظلها الخفيف الذي على وشك التلاشي والزوال ، فتبدل شعورهم تجاه بعضهم وتجاه بقية الناس ، لان روح التعاون والتآزر قد ساقتهم الى الائتلاف والتآخي ، ليشدوا ازر بعضهم البعض لمقاومة تيارات الحياة الجارفة والقضاء على من يهددهم ويتربص بهم الدوائر ، وذلك عندما وردوا مناهل العلم فاستمذبوا حلاوة الايمان بقوة مذهبهم ودينهم فتعاوفا مع بعضهم دون ان ينظروا الى الفروق الاجتماعية التي خلقها الظلم واوجدها الاستبداد في صحارى الجهل والفقر .

فانبسطت أسارير المجتمعين ، وفرحوا بما اخبرهم به « سطيح » ، فاراد

« المفريان ماروثا » ان يعبر عن بعض شعوره وقال :-

بارك الله فيك واكثر من امثالك يا سطيح ، فانك وعامر قد نلتما باستحقاق وشرف لقب « فارسي الكنيسة وحاميها » وان هديتي هذه لضئيلة تجاه غزارة عملك . قال ذلك وقدم له صولجاناً من خشب الازنوس مطعماً بالذهب والفضة ، ينتهي من الاعلى بقبضة كبيرة من الذهب بشكل صليب مطعم بالصدف البراق والمرجان الاحمر والماج النقي .

فتناول سطيح وقد طبع على يد المفريان قبلة الشكر والتبرك . ثم توالى عليه الهدايا من كل من ضمهم مجلس الكنيسة أما هدية عامر اليه فكانت سيفاً يمايك بقبضته الذهبية ، وجواداً ادهماً من خيرة جباد تغلب ، وجلباباً حريرياً .

وقبل ان تنتهي الجلسة ويتفرق القوم تقدم الراهب « مارين » صاحب دير « صربخنا » من سطيح وطبع قبلته على جبينه وقال : -

هذه هدية من لا يملك من حطام الدنيا ، ما يستوجب الاهداء . لئلا تبقيني هذه ستكون عربون الود والاخلاص لك يا بني

فتناول سطيح يد مارين وطبع عليها قبلة الاجلال والاحترام ، فضمنها الاعتراف بالجميل والشعور بالود الابوي وقال :

اشكر لك تعطفك علي وتنازلك من برج قداسك الى ثراي . قال ذلك وقد شمت بسمة الأمل على فمه . وتعامل من حسن المصادفة التي جمعت بالراهب مارين بالامس واليوم .

وما أن خرج المجتمعون من الكنيسة واطلوا على الساحة القريبة حتى رأوها غاصة بالجموع المتجمهرة زاخرة بهم . وقد ارتدوا خير ما ادخروه من الثياب التي تختلف وتتباين حسب اختلاف طبقات المجتمع من الوجهة

الاقتصادية أو حسب اختلاف أذواق الاشخاص أو حسب اختلاف مادة صنع الملابس واللون والزخرف .

فلم يكذب ينزل المجتمعون مدرجات الكنيسة الى ساحة الاجتماع ويعتلون صهوات جيادهم حتى قفز المجتمعون المتجهرون الى ظهور خيولهم فامتطوها وسارت كل قبيلة في ركاب اميرها ، تفخر على القبيلة الاخرى بصورة المداعبة والرح بسيدتها بواسطة تلك الهازيج التي يغنونها . ولكنهم رغم اختلافهم بالزي والملابس وتباينهم في الانساب والافناء فقد اتفقوا بالمقيدة والمبدأ والشعور والاحساس .

ولم تمض إلا سويعات حتى هدا القوم ، فانقطع اللغو والضجيج ، وخيمت على المدينة سحابة الهدوء التام والسكينة الشاملة . لأن حرارة الطقس حجرتهم في بيوتهم ، ومنعهم من الاسترسال في سرورهم وفرحهم . فانقطعت حركة المرور في شوارع تكريت وازقتها ، لشدة الوهج والحر . وقد استغل فرصة انقطاع الناس عن السير ذلك الشيخ الذي التف بأرديته السوداء ، وتبرقع بجلبابه ليمع عنه حرارة الشمس المحرقة وسار بمفرده في بطنه وتؤدة ، لان مرور الاحقاب الكثيرة من السنين قد أفاخت كل كلكه وقصرت خطواته ، حتى وصل قصر سطيج بعد أن قضى في طريقه ثلاثة ارباع الساعة . فدخل دون استئذان أو ترث ، لكونه من الرهبان الذين يمتعون بالقداسة المبجلة ، وكيف يمنع من الدخول وهو الأب « مارين » صاحب دير « مريخنا » ؟

ولما دخل على سطيج رحب به وأجلسه على مقعد وثير الفراش . لكن مارين كره اطالة جلوسه بين اعيان البلد وقواد الزوم . لأن وقته لا يسمح له بذلك . كما ان مهمته لا تدعه يصرح بمره أمام الجالسين .

لذلك انقرد بسطيمح وأمر له ببيضم كلات ، رد عليه سطيمح مصرحاً
وقال : -

اشكرك ايها الأب الجليل على تطفك واهتمامك بي . ارجو أن
تتصرف كيفما شئت فلك الخيار بالامر لأنك صاحبه .

نفادرة « مارين » وهو يردد هذه العبارات : -

« حرم من الحب فيجب أن لا يحرم من الجاه والسلطة والمنزلة
الرفيعة » . وبدلاً من أن يتجه الى دير « مريخنا » فقد اتجه الى كنيسة
الخضراء ، ولما وصلها ودخلها وجد المقران ماروثا جالساً في الفرة المطلة
على دجلة . وهو شارد الذهن زائف البصر يسرح في اللانهاية . وقد
استوى واقفاً حينما شعر بمقدم مارين ورحب به واجلسه بجانبه . فتبادلا
الكلمات وتذاكرا في الجهود التي قدمها كل من عامر وسطيمح في سبيل
نصرة الدين وتمزيقه . وقد رأى مارين الفرصة تناسبه لنقض ما أثقله من
الافكار والخطط التي رسمها في مخيلته . فقال : - رجعت اليك دون
أن اعبأ بالطريق او اهتم بحجارة الطقس ، لأبارك لك في احرازك على غمرة
جهودك الناضجة الطرية ، التي نالت الاعجاب واستحققت التقدير ، لأنك
قد فورت القاصي والداني بهذا الدين وهديتهم الى مافيه صالحهم بمعد
اصلاحهم .

فإذا نذكر من فضائلك وجهودك وغمرات انعامك التي كثرت . انذكر
ترتيبك ابرشيات : - « عاقول » الكوفة « للعرب ، وسنجار ، ومعلشاي ،
وازن ، وحومل ، وبارامان أو بوازيق ، وخرما ، وبافردي أو جزيرة
ابن عمر ، وبافوهدرا ، وفيروز شابور ، وشهرزور ، وابراشية العرب

ثم ابرشيات اذربيجان وسجستان وهرات وافغانستان وخراسان ؟ ^(١)
 أم نذكر كتابك الذي سجلت فيه تفسير الانجيل ^(٢) فقدمته خير هدية
 للعالم المسيحي ؟ أم نذكر الاربعة والعشرين قانوناً ؟ أم كتاب الجدل ^(٣)
 الذي تناولت فيه النساطرة والتخففات ^(٤) « الابتهالات » التي اعدت
 بواسطتها روعة كنيسة المشرق . أما بناؤك للكنيسة الخضره ، فذلك
 خير خدمة أدتها لأهل تكريت الذين افتخروا بك وبها على غيرهم .
 لكونهم اصحاب كرسي المشرق على تلك الابرشيات وتمتعهم بتلك السلطة
 الروحية العظيمة الشاملة .

وبالرغم من هذه الاعمال الجليلة التي انجرت الخير والصلاح للذان هم
 تقعها على جميع الاصقاع التي امتد اليها سلطانك . فانك ذلك المادى .
 الساكن . فرد عليه المريان وقال : -

وماذا تريد أن أفعل يا أخي ؟ هل اطلب وازم وأملأ الدنيا صراخاً
 وزججراً ؟ اني لا اريد أن يقال عني عمل كذا وكذا .

- ولكن على الاقل نخبر رؤساء كنائس اليعاقبة ولاسيما رئيسي
 كنيسة « الرقة وانطاكيا » لقسر استاذك الربان « فاودور » وغبطة
 البطريك « يوحنا الثالث » ليمنحاك وأهل المدينة شرف الالمام . وليذكر
 مطرير وعامر وعملها عندها ليستحسنوا عملها كي يتسابق الغير نحو الفضيلة
 والعمل الصالح .

- لا خير في عمل يتوخى المرء من ورائه شكراً أو اكراماً .

(١) ذخيرة الازهان ص ٣٢٤

(٢) راجع كتاب اللاؤلؤ المنشور ص ٢٨٠

(٣) راجع كتاب اللاؤلؤ المنشور ص ٤٨٠

(٤) راجع كتاب اللاؤلؤ المنشور ص ٢٨٠

- لم اقصدك بالذات بل لمن ناضلوا وكافخوا من أبناء البلد لينالوا شرف
الامتيان على غيرهم عندما يلبسون شرف الانعام .

- أظن الاخبار قد سبقتنا اليهم ، لذلك فاني لا أرى حاجة في الكتابة .

- أنا واثق من ذلك ولكن غايي تأكيد الاشاعات برسالة منك .

- نحن ننتظر استفساراتهم ان كانوا في شك عما طرق اسماعهم من

صدى اعمالنا . أو تشكراتهم التي نحن في غنى عنها ان كانوا متأكدين
واثقين بما سمعوه .

- انه رأي مصيب ايها المفريان .

وبعد أن تصافحا . خرج مارين وقد دفعته آماله التي تراءت له الى
السير الحديث بخلاف عادته بالرغم من عجزه . ولما وصل الدير انقرد في
غرفته بعد أن احضر بعض اختتام الاساقفة والرهبان الذين تولوا رئاسة
الدير أو حلوا به .

ولم تكد شمس ذلك اليوم تختفي وراء ذلك السور المتعالي حتى خرج
من دير « صربجنا » فارس متلثم يتستر بجنح الظلام الذي اوشك ان يغطي
مدينة « تكريت » وحث مطيه الى الاسراع بعد ما ودعه وأوصاه
« مارين » وقال :-

احترس من أن يراك أحد من الناس ، ولا تذكر ما اوصيتك به لأحد .
وقد شاهدت « سلمى » ذلك وسمعت ما دار بينهما حينما كانت تودع
الشمس المحتضرة وهي على سطح دارها المجاورة للدير المذكور .

صرت هذه الحادثة أمامها ، وكأنها كبقية صور الحياة المتحركة أمام
الاحياء لا تستحق التفاناً أو اهتماماً . ولم تدر انها ستغير بعض الميول

والاوضاع التي تخصها وتتماق بحياتها ونزعتها ، وقد طواها الامل في صدرها والمسيان في ذاكرتها .

— ٢٢ —

وفي أحد الايام التي كان الربيع يتأهب فيها الى الرحيل . خف أهل تكريت نحو الكنيسة مهرواين يقسمون عن سبب قرع النواويس في هذا الوقت الذي لم يعتادوا فيه سماعها لا برنينها المعتاد ولا بذلك الرنين المبهج بعد تلك الدقات السريعة التي ان دلت على شيء فانها لا تدل إلا على فرح وابتهاج مفاجي . حدث في الكنيسة .

ولم يمض طويل وقت حتى اجتمع الناس في الساحة الغربية من الكنيسة يتطلعون الى الاخبار ، ويستفسرون عن الدواعي والاسباب ، بتلف واستيق ، عندما نفذ صبرهم وتبلبلت خواطرم وافكارهم ، وما هي إلا فترة قصيرة قضاها المجتمعون بالانتظار في تلك الساحة ، وقد حسبوها دهرأ طويلاً ، حتى برز لهم « المفريان ماروثا » بطوله الفارع وجسمه الممتلئ بالصحة والنشاط ، ووجهه المنبجج الذي يشع بالبشر والوقار ، وجبهته العريضة التي تسطع بالجلال والمهابة ، ولحيته البيضاء المسترسلة على صدره . برز امامهم وهو يسير ببطء وتؤدة ووقار يتبعه رجال الكنيسة الذين يختلفون في القرب والبعد عنه حسب اختلافهم في مصرا كرم ومنازلهم الكنسية . وحينما جلس على انخم المقاعد التي كانت معدة لهم من قبل ، خيمت على المجتمعين سحابة الهدوء والسكينة ، هيئة من جلال الموقف وزوعته ومنزلة « المفريان » في نفوسهم ، وانتظاراً لسماع الخبر المهم الذي أقلقهم فاجتمعوا من اجله ، يصدر من فم المفريان .

لكن سحابة الصمت قد مزقتها صيحة عالية من الورا. على أثر صوت سنابك الخيل : - « وسعوا الطريق للامير » . فالتفت الناس صوب الصوت فرأوا كوكبة من الخيالة يتقدمهم شاب ابيض اللون طويل الشاربين ، خفيف اللحية ، أسيل الخدين ، حاد النظرات ، يمتلي صهوة حصان ادم يتوثب من تحته ، عليه شقوف حريرية حمراء مطرزة بخيوط ذهبية براقه ، فوقها صرّج روماني مزركش ومرصع بالاحجار الكريمة والذهب .

فوضع القوم طريقه ، وصار في وسطهم يرد نحياتهم بكبرياء وتكاف . ولم يلبث أن ترجل وأصحابه وصعد مدرجات الكنيسة ، فادى التحية للجميع بعدما لم يد « المفريان ماروثا » ثم أخذ مكانه باقرب منسه ، وجلس بقية رجاله مع بقية رجال الكنيسة . وما هي إلا فترة قصيرة صرت على محبي ذلك الشاب حتى تكامل اجتماع بقية قادة الجيش ووجهاء المدينة عدا عامر الذي انتظره المفريان كثيراً ولما يئس من مجيئه نهض وقال : - ايها المجتمعون الكرام ، لا شك ان السبب في حضوركم هو قرع النواقيس في غير ماعهدتموه من الاوفات ، وبخلاف ما كنتم تسمعوه من الدقات .

فرد عليه الامير وقال :

لعم ايها الاب الكريم ، فقد دهشت وخفت على الكنيسة من ان يلزمها مكروه لا سامح الله بذلك . فمضى ان يكون الباعث خيراً .
- فيه الخير والصالح يا مسليح .

قال ذلك بعد أن قهّل وجهه بشراً وانبسطت أساريره فرحاً ، واقترب

تفره عن ابتسامة تلاشت بين ملامح الوقار والهيبة . ثم استأنف حديثه وقال :-

كلكم يعلم بالثقة العالية التي منحتها غبطة بطريرك انطاكيا « يوحنا » والربان « ناودور » وبن كنيسة « الرقة » حين جعلاني رئيساً لكنيستكم بناء على اقتراح الزملاء من اساقفة كنائس اليعاقبة . نخوات الاشراف على اقامة شاعر الدين في وادي الرافدين . وبغرس بذور العدالة والايمان والشفقة والرحمة في ربوع انحلتها الظلم واجدها الكفر ، وايدسها الجهل والفقر والطفان . ولم تقف هذه الثقة بي وبكم وبكنيستكم عند حدها ، بل تعدتها الى أبعد من هذا ، فبانا غبطته بالنزلة التي نحسد عليها ، فأجلسنا بالمكان المرموق ، اذ جعل هذه الكنيسة « الكنيسة الخضراء » مركزاً لكرسي المشرق وثاني كنائس اليعاقبة بعد انطاكيا من حيث الاهمية ، جزاء لما قدّمته للدين المسيحي من رواج ، وما أبدته من الحرص الشديد عليه . نتيجة جهودكم الجبارة التي اشاد بها غبطة بطريرك انطاكيا ، فمظم من شأنها . وقبل أن يختم رسالته فانه يوجه شكره الجزيل وتقديره العظيم « لفارس الكنيسة وحاميها » الامير « سطيح » بناء على ما ابداه من الاعمال الفذة التي عادت بخيراتها على الدين فوسعته ونشرته في تلك البلاد التي لم تنور بمشعله لولا جهود ذلك البطل .

ومع الاسف الشديد ان غبطته لم يتطرق الى ذكر اسم عامر مقروناً بالخدمات الجليلة التي ابداه ، والايايدي البيضاء التي اسداها الى الدين والكنيسة ، بعد ان طوح بحياته في تلك البلاد النائية فكان أول من شجع على بث الدين بين طبقات مجتمع الشرقيين . وهو إذ يختم رسالته فانه يختمها بالشكر والثناء لكم على ما ابديتموه .

من شعور وقدمتموه من خدمات لدين . . .

وهكذا تضال صوت المقران وقـ انعدمت آخر كلماته بين هتاف
الهاتفين وصيحات المنادين بحياة البطريك والمقران وسطيح ، ثم انبسطت
أسارير القوم وابتهجت نفوسهم كما انشروحت صدورهم ، فردت عليهم
نواقيس الكنيسة بالزنين المبهج ، وجاوبهم الاساقفة بالترتيل والهيمنة
بـ « التخشعات » التي ابتدعها المقران ماروثا مـ « تخشعات » رابولا ،
اعراباً عن فرحهم ، واطهاراً لسرورهم ، الذي ملك عليهم مشاعرهم
واحساساتهم .

فانصرف بعضهم والفرح يحدوهم والابتهاج يسوقهم ، ليلطفوا النبأ
لمن اقدمهم المرض كي يشاطروهم الافراح ويشاركوهم الغبطة والبهجة ،
فيزيلوا الشكوك والريب عن المتخلفين المقعدين الذين اقضت مضاجعهم
نواقيس الكنيسة التي قرعت في غير مأوفها من الاوقات والقرعات .

ولم يبق في الساحة إلا بعض الشبان الذين يفتنمون الفرص المناسبة
للتعبير عما تنطوي عليه نفوسهم المرحّة من صرح وغبطة ، فانظموا في
حلقات متمددة ، وراحوا يغنون ويرقصون .

وبمثل سريرات الرعدة في الجسم ، سرى النبأ في المدينة عندما رجع
الناس من الساحة والفرح يملأ صدورهم ، لذلك لم يبق أحد في المدينة
إلا وتسرب الفرح الى صدره والابتهاج لنفسه ، إلا تلك الفتاة التي
كانت واقفة خلف المحتشدين ، وقد سمعت المقران يخبر الناس بمضمون
رسالة « البطريك » ، وفيها انعامه عليه وعلى الكنيسة وسطيح الذي
منحه لقب « حامي الكنيسة وفارسها » بالاضافة عن منح المقران له
ذلك اللقب من قبل ، فما كانت من الفتاة المذكورة الا وصمقت بهذا

الانعام ولا سيما الاخير منه ، ولولا فرحها بالانعام الاول لما عندها من الحب الشديد للدين لأفقدتها الانعام الاخير زمام نفسها وقيادها ، لان عاطفة الحقد والسكرامية لذلك الامير الذي فال شرف انعام الكنيسة قد تيقظت عندها ونشطت ، وقد ساءها ما سمعته وخصوصاً حينما علت منزلته وعظمت سطوته وازداد نفوذه ، فكان الباعث على عظم اضطرابها وازدياد قلقها ، وازدهام الافكار والاخلية في رأسها ، وتراءت لها الاشباح الخيفة والمفرعة ، وقد ايقنت بأنه سيستعمل سلطته الروحية بعد ان فشل باستخدام سطوته وسلطته الاجتماعية في ارغامها على الزواج منه ، فاضطربت هذه الافكار في رأسها ، وتضاربت تلك الوسوس في قلبها ، وازدهت الاخلية البغيضة في مخيلتها . لكن حب عاصم انقذها من الموقف ، فقادها الى كنيسة الحب في قصره ، وسارت مطأطأة الرأس ، ثقيلة الاقدام ، قصيرة الخطى كأنها كانت ترزح تحت حمل ثقيل ، انقل كاهلها فمطل مشيتها ، ولم تلبث في سيرها الا قليلاً حتى دخلت قصرأ عالي البنيان كثير الشرفات متين الجدران ، قد افرغ فيه ما في الطراز الروماني من روعة وجلال وجمال وزخرفة ، يانة بأثمارها ، معطرة مزدانة بورودها وازهارها ، فتقدمت من الخادم عند ما استقبلتها بالتحية والاحلال ، فسألتها وقالت :-

اين سيدك يا « زوبعة » ؟

- بانتظارك يا سيدتي ، في الغرفة المعدة لاستقبالك .

- هو هناك بكامل صحته وسلامة حواسه ؟

- أجل يا سيدتي والحمد لله .

ولما سمعت « سامي » كلامها اعترتها نوبة عصبية حادة من الغضب

هذه كلمات وهي لا تقدر ان تمسك زمام اسانها بعد ان فقدت السيطرة على عقلمها وقالت :-

النواقيس تقرر ، وقد خف الناس الى الكنيسة من كل حدب وصوب ، وعاصم في غرفته ساكن هادي ؟ كان أملي به ان يكون أول الملبين لنداء الكنيسة ، والناصرين لها لانه « فارس الكنيسة وحاميها » أبلغ به السكسل الى هذا الحد واستسلم الى الراحة والهدوء ، ثم ترك « سطيح » الايادي يحظى بشرف انعام الكنيسة و ..

فقاطعتها زوبعة وقالت :-

مهلاً سيدتي مهلاً ، فلا تظني بسيدي هذه الظنون ولا تهنيه بالسكسل والحوول فسيدي الذي اضجره انتظارك قد استسلم لسلطان النوم الذي منعه سماع النواقيس وقد سأل عنك بعد استيقاظه ، فأخبرته بذهابك الى الكنيسة مع من ذهب ، فأبدى استغرابه ، وظهر دهشته وعجبه وقال :-

ومن اعلمك بذلك ؟ فقلت له :-

لم يبق في المدينة فرد سمع قرع النواقيس في تلك الحالة وذلك الوقت الا وخف مهرولاً الى الكنيسة ، يستجلي الخبر ويستطلع الامر ، ولم يتخلف الا من كان نائماً أو مريضاً أو مقعداً ، أو مقيداً بقيود العبودية مثلي .

فأكتفى بارسالي لاستقبالك كي تسمعي الخبر ، وتعلميه حقيقة الامر لان غضبه عليك من جراء تخلفك قد ازداد وتضاعف ، وقد ابى ان يذهب الى الكنيسة .

- والآن يا زوبعة ؟

- هو بانتظارك يا سيدتي ؟

- ٢٣ -

صعدت « سامي » السلم متوترة الاعصاب نائمة العواطف ، شاردة
اللب ، منهوكة القوى ، مبهورة الانفاس ، ولم تسكد تصل الغرفة حتى
دخلتها دون استئذان عندما وجدت بابها مفتوحاً .

فما كادت تاج فيها وتقع عيناهما على حبيبها « عامر » وهو على تلك
الحالة التي وصفتها زوبعة من الاضطراب والقلق ، ولما رآته كذلك غلبت
على امرها حينما اجتاحت موجة حبها العارم جميع عواطفها ، فافترقت
ثورتها النفسية ، وطمرت جميع معالم حدثها وغضبها ، لكن هذه الموجة
المجتاحة عجزت عن اخراج النار التي اتخذت قلبها موقداً وحناياها وقوداً ،
فالقت بنفسها بين احضان عامر وراحت ترشفت من ثغره رحيقاً ،
لتتطفيء به وقدة الحب الذي صعد لهيبه على ثغرها فاهب شفتيها .

ولما رأى عامر نفسه وبين احضانه معبودة قلبه ، ومتميمته ، بقوامها
الخيراني ، ومطوقاً بذراعيها الغضين البضين ، وممانقاً ثغراً شفاهه
جلنارية وأسنانة لؤلؤية ، ومحمدقاً بمينين غزاليين ، انحل ما كان متوتراً
من اعصابه ، وسكن ما كان نائراً من عواطفه ، ونسي ما كان يخامر
من الافكار والهواجس فتمل من اريج ورد الخدين العطر ، وخمرة الثغر
العذبة الصافية ، فهم بان يقطف من الصدر رماناً ناضجاً طرياً ، لكن
« سامي » انتفضت بين احضانه انتفاضة اللبوة ، ونفرت منه نفور

الظبي ، ووقفت أمامه وقفة الهزبر ، لان همومها وآلامها قد ايقظتها من غفوة الحب فخرمتها نشوة اللقاء ، وعادت اليها كبرياؤها ورجع لها غضبها .

أما عامر الذي رأى ما لم يكن يتوقعه ، فقد ذهل من ذلك وعجب .
فأصبح في حيرة من أمره ، وبقى في محله ساكناً واجماً لا يدري ماذا يقول ، ويعمل على الرغم من اعتقاده بنفسه انه لم تصدر منه بادرة سيئة تجاهها أو ما يسمي الادب والتصرف .

وقد لاحظت « سامى » اضطراب عامر وتبدل سحنة وجهه وتلونها بعدة ألوان بين حين وآخر ، فمز عليها ان ترى حبيبها بذلك القلق والاضطراب فرقت عاطفتها بعد ما نبذت افكارها واخيلتها فعمدت وارتمت بين احضانه ثائية وقد تسلمت بسلاح « حواء » اذكاه لنار الشوق التي تخاف فتورها في قلب حبيبها عامر ، فأخفت رأسها في صدره لتخفي دموعها ، وتسكبت بكاءها الذي تسلمت به ، وعبثاً حاولت ذلك ، فصرعان ما عرف عامر امرها ، وقد تحقق ذلك بعد أن رفع رأسها ، ونظر الى دموعها ، فحن جنونه ، وطار صوابه وقال :-

« سامى » ، « سامى » ما بك ؟ من ابكاك ؟ من اسال دموعك ؟ بالله

عليك يا سامى خبريني عن سبب بكائك ؟

فردت عليه سامى وقالت بصوت متهدج متقطع .

لا ... ش ... يه ... لا ...

فتلهف عامر الى الخبر وقال :-

بالله قلولي ، ما الخبر ؟

اني ارى حالتك لا تبعث على الارتياح ، هل اصابك أحد باذى ؟ أم

سمعت خبراً مزججاً؟ أم قرع النواقيس في الكنيسة كان نتيجه الحسارة
الجلبي والغادحة العظمى؟

- لا شيء غيرك يا عامر ، فانت أس بلائي وسبب بكائي ، قالت ذلك
بعد ان تمكنت من كبس جراح هذه العاطفة المتأصلة فيها وبنات جلساء
ثم استرسلت في الحديث وقالت :-

أنت وحدك الذي خيبت آمالي ، وهيجت أوجاعي وآلامي ، أنت
الذي تحلم بالعليا ، وتريد المجد والسودد ، ولستك حينما تتاح لك
الفرصة ، تتركها وترضى بهدوءك وراحتك ، لأن السكسل والتقاعس قد
كبلاك وقيداك .

انك لا تحسن اغتنام الفرص التي تواتيك بها الايام ، كبراً منك
واعتماداً برأيك ، في هذا اليوم انقضت الغيوم الحاجبة لنجم عزك
وسعدك ، قتلاً وتأجيج ، ولستك اسدلت بينك وبينه حجاباً مميكاً
واستاراً كثيفاً ، كي لا يمنعك بصيصه من النوم ، ولا تحرمك حبال نوره
الواهنة من الاحلام الملهمة ، لذلك مات مجده ضحية نومك ، وخاب
أملك نتيجة كسلك ، وتحطمت أحلامي وأحلامك على صخرة منافسك
ومسابقك وسالب المجد منك ...

فقاطعها عامر وقال :-

مهلاً عزيزتي مهلاً ، أرجو أن نهدي من نورتك ، وتسكني حديثك
لتتدبري معنى كلماتك ، فاني لم أكن ممن يبني القصور في الهواء ، ولا
ممن يعتمدون في ادراك أمانهم ونوال غايتهم بـ « ليت وعسى » ، وانما
انا امرء أنت أعلم الناس به ، أسخو بدمي في تحقيق أحلامي ، وأضحي
بجواني في سبيل نصرة من طلب معونتي ومؤازرتي ، لأن غايي من الحياة

نصرة الضعفاء ومساعدتهم لاستبواب الامن ، ونشر لواء الطمانينة والسلام
فلا تسيء الظن بي من جراء عدم حضوري الى الكنيسة في هذه الساعة
أو في الاوقات التي قبلها .

فالمجد ياسلمى لا ينال بالملق والتبصيص والرياء بعد الذلة والمخاتلة ، وان
مجداً ينال بهذه الوسائط لا يدوم ولا يستمر بل سرعان ما تتطاوّل عليه
أيدي الدمار والعفاه ، لازالته ومحوه من عالم الوجود ، لانه لم يكن
نتيجة التضحيات الجسام بعد السعي المتواصل والاقدام المستمر .

وحوادث الدهر يا حبيبتى لا تستمر على حالة واحدة أو تبقى في شكل
ثابت لان الايام تبدلها وتغيرها ، فان عرفت الشهرة منا واعرضت عنا ويمت
وجهاها شطر غيرنا ، لتتحفه بما تلهف اليه في هذا اليوم ، فستقودها مرغمة
اليينا لا حباً فيها وتقرباً لها ، وانما حرصاً على ما نهذف اليه ونطلبه ، وهو
التسلح بالعزم الثابت للاقدام على المهالك والاختار فتذليل المصاعب
والاهوال بعد ازالة العراقيل والعقبات التي تقف في سبيل تقدمنا الى
اصلاح البشرية ، وتقوية روابط الاخاء والمودة بينهم ، ليرفلوا بالعيش
الرغيد في حقل السعادة وتحت سماء الحرية والاستقلال الاجماعي ...
فقاطمته سلمى وقالت :-

اعرف عنك كل شيء يا عامر كما اعلم مقدار شجاعتك وعظم همتك ،
ومدى اقدامك ، واسكن حبك المتأجيج في سويداء فؤادي ، وغيرتي
على المجد من ان يحظى به غيرك ممن ليس لهم مؤهلاتك و ...
وقبل ان تتم كلامها رد عليها عامر وقال :-

سلمى ، ان نار الحب التي تتأجج في سويداء قلبك لمي نفسها ، ان
لم اقل اشد حرارة منها تستقر بنفس المكان من فؤادي ، وقد دفعتني

هذه الجذوة من الحب الى الاقدام على المهالك والاهوال ، غير هياب ولا وجل بالاضافة عما اشعر به .

فتسرعت سامى وقد التهمت بنار الحب التي هيجهها وجود مشعلها أمامها فقاطعتها ، وقالت :-

الحياة يا عامر لا تحاولي الامعك ، وعيشي لا يطيب الا بقرئك وسعادتي لا تتم الا بين ذراعيك ، فغيا بك عني ، مجلبة للاحزان وفراقك مني ابعاد لسروري وراحتي ، فـ كن بي رحيماً .

- لقد قلت حقاً يا حبيبتي ، لأن لا يام الطفولة التي جمعتنا في ملعب واحد اكبر الاثر في احكام الروابط الروحية التي ربطت قلوبنا ببعضها ببعض وللسنين الطويلة التي قضيناها معاً ، اعظم المفعول في صهر روحينا وقلبيننا في بودقة الحب العذري الذي لا تشوبه شائبة الاغراض والمقاصد .

كننا يا منية النفس وأنت اعلم بما كننا لا يفرقنا عن بعضنا غير سلطان الكرى الذي يعمل هو الآخر على تقارب روحينا في عالم الرؤى والاحلام وذلك حينما كننا في عهد الطفولة النقي ، وبالرغم من حيلولة التقاليد التي وقفت دوننا فاننا لم نتفرق عن بعضنا .

وسنبقى يا « سامى » على ما الفناه من حياة اللقاء واجتماع الشمل ، وسنغذي طفل الحب الذي نشأ في قلوبنا بلبان الوثام والانسجام حتى يصبح جباراً عتياً يعمل على ربطنا برباط الحب المقدس الذي تكمله الملائكة ويباركه الحب .

وما كاد ينتهي الى هذا الحد حتى التفت الى « سامى » فوجدتها مرتبكة قد تضرجت وجنتهاها بحمرة الخجل والحياء ، لان حرارة الحب المتلتهبة التي كانت تنبعث مع كلمات عامر قد لفحتهما ، فسترت وجهها

بيديها تريد اخفاء خجلها واتقاء حرارة الكلمات التي لم تقدر على مقاومتها
ومجاهبتها ، رغم تسرب الدم في وجنتيها وتغلغلها في بشرة وجهها ، ولما
حول نظره عنها تشجعت وقالت :-

اني اشكر الايام التي جمعتنا رغم التباين والاختلاف في منازل الحياة
ورب المجتمع ، واشكر للحب الصادق الذي ألف بين روحينا وقلبينا رغم
علو مجدك وسمو منزلتك ، وكر شأنك ، حتى اصبحت لا أطيق فراقك
أو اقدر على بعدك ونأيك . وقد يهون الموت عليّ اذا حان وقت بعدك ،
وقربت ساعة فراقك في الموت يا عامر الراحة للجسم والرفقة للعقل ، واليهو
والمرح للروح من حقول اللانهاية . أما الفراق ففيه ضيق للجسم
واضطراب للعقل ، وعذاب للقلب وجس للروح .

- اراك يا سلمى ترددين كلمة الفراق كثيراً . تلك الكلمة التي سنمحيها
من سجل حياتنا ان كتبنا فيه . ثم نخافين من البعد عن بعضنا بالوقت
الذي لم يمتدح أحدنا في أي يوم من الايام . ولذلك أرى من الاصلاح ان
لا تشغلي نفسك في امور لم تكن في الحسبان ، ولم تذكر حتى في المنام
أو تراودنا في الرؤى والاحلام .

- اجل يا أميري أجل يا حبيبي . اردد ذلك والخوف مما يخفيه لنا
الدهر ويطويه القدر من الامور المفزعة والاحداث المروعة التي قد تكون
موجهة ضدنا ، لحل روابط حبنا وتخطيط عراه ، وبواعث خوفاً هي
ما سمعته من تهديد رسول سطيس لوالدي الشيخ . فيما اذا استمر على
منافعته من تزويجي بسطيس .

- نعم سمعت ولكنه يا سلمى لم يكن أول تهديد ، ولا أول عمل يقوم
به اذا ازمع تحقيقه أو اخراجه الى حيز العمل والتنفيذ . فقد سبقته اعمال

منزلة كثيرة قام بها سطيطح ضدنا . اظنك تذكرينها وتذكرين البواب .
وانا اذكر ما قاله « ميلوس » رئيس الساطرة في سجستان ، فهل قدر على
أن ينال منا شيئاً يضرنا ؟

اما اذا لجأ الى القوة والقصر واستخدم اتباعه ومريديه في ذلك فأننا
لا نقف مكتوفي الايدي تجاه اعتدائه ، فالشجاعة التي امتازت بها تغلب
لا كالشجاعة التي لا ياد . فان كان ولا بد فاعلينا الآن إلا أن نقابله بالمثل ان
سولت له نفسه أمراً عليك ان تسدي جميع منافذ الخوف والحدرياسلى
وتجمل نور الامن والطمأنينة ببدد ذلك السراب البلقم . ولئن هم بأي
اعتداء لأجعلن من المدينة التي سميت الى سعادتها ، مرجلاً يفور بالدماء
وأجعلن من لحمه ولحم عشيرته طعاماً لسباع الوحش وكواسر الطير .
ولما رأت سلمى ما أصاب عامر من غضب وتأثر ارادت ان تخفف من
حدة غيظه فقالت : -

ارجو أن لا تقسح المجال امام الغضب فيتسرب اليك وينال منك
ما قاله الآن . لاني لم اقصد ازعاجك واهانتك او تكبير صفوك بالاشادة
بفضائل سطيطح والتغني بأقواله واعماله . إذ لم يكن هو اشجع منك أو
اكثر حكمة ودراية واطلاعاً . ولاكني اردت تبيان حقيقة جهلها لأنك
في منزل عنها ومنأى منها .

فسطيطح الذي خاب بكل مساعيه ، وفشل بكل خططه التي سعى اليها
ورسحها كي يستحوذ علي وعلى قلبي فيعودني الى قصره مرغمة . قد عمد الى
طريقة اخرى ظمأ منه انها توصله الى نوال غايته . فأكثر التردد الى الكنيسة
وازداد ملته لمعرياتها وأساقفتها ، فخدعهم ثم استمالهم فاحبوه وقربوه
ومنعوهم الاوسمة . واغروا بطريقك انطاكية بالموافقة على افراده بلقب

« حامي الكنيسة وفارسها » ذلك اللقب الذي احرزته قبله بما قدمته من الجهود وما بذلته من الاعمال التي كانت خير خدمة الدين والمجتمع .
والآن وقد تم له ذلك فسيستعمل سلطته ومركزه في تسخير السلطة الروحية الى تحقيق رغائب نفسه واهواء عاطفته . فيظهر عجزنا أمام سلطة الكنيسة وسطوتها ونفوذها . لأننا اذا اعصينا أوامرها ولم نخضع لمشيئتها فإن العالم المسيحي سينبذنا ويماقبنا لان الكنيسة ستوجه اليها تهمة الكفر والاحاد ثم التمرد عليها .
فرد عليها عامر وقال : -

لاني قد تخلفت في الايام الاخيرة عن الكنيسة ولم أتردد اليها ، ولم يكن تخلفي عنها كرهاً لمفريائها الذي قال اعجابنا وتقديرنا ، ولا بالدين الذي اعتنقناه عن طيب خاطر بعد تدبر وامعان . ولم يكن ترددي ضجراً أو مثلاً من ممثلي العدالة على الارض بعد السيد المسيح . لا هذا يمنعني ولا ذلك يؤخرني ، ولكني قد رأيت من الامور والاضاع ما يريني ويتركني رهن الريب والشكوك . وخصوصاً في هذه الايام . لان رجال الحامية بدأوا ينظرون الينا بعين السخط والاشتمزاز فهم يشعرون تجاهنا بالحق والكراهية . رغم تدخلهم بالصغيرة والكبيرة في شؤون المدينة والكنيسة ، حتى أن المفريان نفسه بدأ يشعر بالضيق والضجر من جراء هذه الاوضاع المزرية ، وذلك التصرف المشين الذي لا يتفق وقداسة الكنيسة أو حرية سكان المدينة . فقد أحس المفريان بأن يداً أجنبية سرية تتلاعب بمقدراته ومقدرات الناس . واني أشك بصحة هذه الرسالة التي تسلمها المفريان اليوم وأراها ملفقة . لاني على يقين من ان المفريان لم يتوقعها

أوله بها علم ولم يبشر البطريرك برسالة سابقة أو يحذره بما فتح الله له في بلاد المشرق .

وقد احسست بتغير الحالة من أمد ، فراقبت التصرفات والاعمال عن كثب لذلك سحبت نفسي من مأزق حرج ببسالة ومهارة . فقد رأيت نفسي واقعاً في اشراك الذل والعبودية التي اختار الروم الكنيسة موضعاً لها ، فأبيت إلا الحرية والتخلص من قيود الروم .

ولم يكن هذا العمل إلا نتيجة لامر عظيم مخفي علينا الآن من شأنه أن يغير في الاوضاع الاجتماعية ، أو نظام الحكم .

فأجفلت سامي من كلام عامر . لأنه طعن الكنيسة وارتاب في أمرها ، وشك في تصرفها وخصوصاً في الايام الاخيرة . حينما اتخذها الروم ملعباً أو شركاً لاصطياد الحرية واقتناص العدل حسب ادعاء عامر وقوله . فردت عليه وقالت : -

الكنيسة يا عزيزي بريئة مما الصقته بها من التهم . وهي بعيدة عن أحابيل السياسة ، واشراك السياسيين . فهي في منزلة قدسية تمنع عنها كل ما يراد منها أو يراد بها .

ولكنك تطرقت الى امور تخالف الواقع ولا تتفق والحقيقة . لان سلطان الكرى قهر حواسك وخدر جسمك .

قالت ذلك وأردفت قولها بابتسامة كأنها اشراق الفجر أو بسمة الزهر وقد تلاشت من ثغرها حينما رد عليها عامر وقال : -

انت السبب في سباتي والباعث له ، فطول انتظاري لك جعلني استسلم لسلطان الكرى واغرق في لجج الاحلام الزاخرة بالحوادث الجسيمة التي

أبمدتي عن عالم الحقيقة والواقع ، وذلك حينما عرضت أمام بصري شريط الحياة المليئة بالصور التي أتوقع مشاهدتها في المستقبل .

— ٢٤ —

رأيت فيما يرى النائم ، كأن قتاما قد تصاعد في الجو من الناحية الجنوبية . فإذا به ينكشف عن فرسان يملأون الفضاء ضجيجا وصخباً . وقد علق بهذا كرتي من كلامهم الصوت الذي كان يدوي في الفضاء وهو « الله اكبر الله اكبر » فتردد الجبال والوديان صدها فيمتزج الصوتان فيكونان روعة وجلالاً .

وقد خرجنا للتصدي لهم ، وصدمهم عن مدينتنا ، حينما رأينا جهودهم مركزة في الدخول فيها بعد الاستيلاء على ما فيها من الجند بقتلهم أو تشييتهم اذا ما ناصبهم العدا .

وقد حاولنا المستحيل في صدمهم عن مدينتنا رغم كثرتنا وتفوقنا ، وقد وجدناهم أشدها شجماً ، يحاربون بلا خوف ولا وجل . فأرواحهم احقر من غثاء في نظرهم . لذلك ارضعوها وباعوها في سوح القتال بأبخس الأثمان وازهدها ، ويظهر انهم أهل عقيدة وإيمان ، لاستماتتهم في القتال والحرب .

وكنت وسطيح أحسن من قاتلهم وناضلهم ، بالرغم مما كان يساورني من القلق والخوف والاضطراب . حتى كنت سواعدي ، وخرقت قوتي ، وتزعزع إيماني بالنجاة ، وقويت عقيدتي بأنني سأكون في عداد المهالكين اذا استمررت في القتال . وقد اوشكت قوتي ان تنخور ، وعزيمتي أن تقبض وتزول .

وفي تلك اللحظة حمل عليّ مقدم القوم ، وزعيمهم حملة نكراه ، سد عليّ جميع مسالك النجاة وطرقها . فأيقنت الهلاك ، واستسلمت للمصير حينما حجزت عن صده أو إبعاده . ولما أصبحت فريسته ، رأي قد تغيرت وتبدلت فأوقف ساعده من أن يهوي بالسيف على هامتي . وسألني عن اسمي ، واسم القبيلة التي انتسب إليها . ولما أخبرته بحقيقة امرئ . أظهر دهشته وأبدى استغرابه وتعجبه ، وحدثني طويلاً مستفهماً بنظراته ، ومتعجباً ثم قال : -

عجيب امرئ ! أيها البطل العربي الخدوع بمظاهر علوج الروم . عربي تغلبي يحارب اخوانه في سبيل المحافظة على كابوس الذل والاستعباد ثم التفت اليّ كأنه يريد أن يلتممني بنظراته وقال : -

تحارب اخوانك الذين خفوا لأنقاذك من برائن الظلم والظفيان ، والجهل . اصح من سكرتك ، واستيقظ من نومك ، ثم ارجع عن غيبك . ولا تكن كالشمعة التي تحترق لتبثت النور الى من حولها . وبعد فترة سكوت قصيرة استأنف الكلام وقال : -

لم يكن عهدي بالعربي ان يمتشق حسامه ، فيحارب ضيوفه ليحملهم الى التحول عنه الى بيت آخر ، فكيف جردتم سيوفكم لمحاربتنا مع أننا لم نأتسك ضيوفاً جباعاً بل منقذين من الذل والاستعباد الذي رزحتم تحت عبئه مدة من الزمن وانتم لا تحسون أو تشعرون . لأن القوم الذين اذلوكم أهل علم ومعرفة ودراية عرفوا كيف يتحكمون بكم فسابروكم وجاملوكم . ودخلوا عليكم من باب الصداقة والاخوة وادعوا انهم حماة الدين ومناصريه .

فما هذه الحامية الرومانية ، وما سبب بقائها بين ظهرانيكم ووجودها
عندكم ألم تسكن حامية عليكم أنتم السجناء الذين سيجنتم في دياركم ومدنكم
غلا تخذعوا بأقوالهم وتصدقوا ادعاءهم أنهم من حماة الدين وناشريه
فالدین منهم براه .

اذهب راشداً مهدياً وأملني بك وطيداً بأن تنسحب وقومك من
المعركة ، وتفتح ابوابك لايواء ضيوفك .

فلوى عنان جواده ، وتركني في حالة مضطربة ، خوفاً من بأسه
وشجاعته المنقطعة النظير ، وخجلاً وحياء من كلامه ومروءته وعفوه .
ولم يكذب بتعمد عني قليلاً ، حتى تألكت نفسي ، فاسترجعت بعض
ما فقدته من رباطة الجأش وشدة البأس . عندما جرى في عروقي الدم الذي
أوشك على الجود ، حينما كان سيف البطل مصلباً فوق رأسي ، لينزل
قضاء الله عليّ بزوله . وقد تنفست الصعداء بعد أن نبذت مخاوتي ،
وبدأت أسمع صيحات المقاتلين وصرخاتهم ولكن صيحة « الله أكبر الله
أكبر » التي ارتجفت لها جميع أوصالي قد حركتني في سريري ، وايقظتني
من نومي . فاستيقظت من ذلك الحلم المزعج الذي تعدت به كثيراً . فإذا بي
أرى زويدة تقف امام سريري تحاول ايقاظي فلم تقدر .

وقبل ان اصحو من سكرتي أو أفيق من غفوتي ، سألتها عنك وعن
سبب تأخرك . ولما اخبرتني بخبرك وذهابك ، عاودتني اضطرابات
الاحلام وراودتني في البقطة ، امكن اعصابي لم تهدأ أو تستقر إلا بروثيتك
يا حبيبة الروح . اما وساموسي فهي لا تزال تسيطر عليّ . واني لأخشى
ان يكون سبب قرع النواقيس غير ما ذكره « المفريان ماروثا » .

فردت عليه سلمى وقالت :-

حقاً انها احلام مروعة . ولكنها احلام يا عامر ، لا يبني عليها شيئاً ولا تعلق على هامشها اهمية . فاهتمامك بالحروب وولعك بها هما الباعث والمسيب لهذا الحلم المزعج . لأن الحلم يا حبيبي هو : - تحقيق رغبة ما وغالباً ما تكون تلك الرغبة مكتوبة في اللاشعور ، والاسلوب الذي يتخذه اللاشعور ليس اسلوباً صريحاً بل اسلوباً تذكري ، مع أنه يخضع لقوانين معقدة متنوعة ، ويتكون المضمون الصريح للحلم من الذكريات القديمة للحالم ، لكنها مرتبة ترتيباً متفقاً لا كثر قوانين التداعي . فالرغبة هي الباعث على نشوء الحلم .

- اني اعاق اهمية كبرى على هذا الحلم المماجي ، واتوقع انه سيكون نقطة تحول في حياتي . فالاحلام هي التي تزيح الستار أمام المرأ لينظر الى المستقبل الذي تعجز القوى البشرية ، وافكار اليقظة عن ازاحته وتحريكه فالعقل عبارة عن مجموع القوى العقلية ، وابرز هذه القوى الاستدلال والتصور والتذكر ، وهذه هي التي انشأت الروح وكان الحلم مولدها .

فالاحلام ماهي إلا صور ما يرى وبسمم الشخص من صور واحاث وما كان يحول بخلفه من افكار يصورها ويعرضها العقل الباطن .

- وما هو العقل الباطن ؟ وهل المرء عقل باطن وعقل ظاهر ؟

- اجل يا سلمي ، فالعقل الظاهر هو الذي يحكم على ما تدركه الحواس فيستعرضه أو يصوره ، بصورته الحقيقية من حسن وجمال الى بشاعة وقبح في اليقظة أو في المنام .

والعقل الباطن هو الذي يدرك مالا تدركه الحواس ويعتمد في ذلك على الاتجاه الروحي والانفصال المادي ، فالاقتراب من روح القدس .

- وهذا لا يكون يا عامر إلا عند الانبياء والرسل .

- وهل هنالك مانع من ان تكون صور العقل الباطن واضحة جليلة عند بقية الناس الذين هم ليسوا بالأنبياء أو الرسل .

لا مانع من ذلك ، ولكني أرى أن رؤياك هذه ما هي إلا صورة من صور الماضي ، أو فكرة متبادرة عندك ، خلعت عليها الرؤى أردية مناسبة فطبعها بطابع خاص يلتئم وذوقك ویتق وعقلك .
فرد عليها عامر وقال :-

اظن ان المستقبل سيحقق احلامي ، ويرهن على مدى صحتها .
فهمت سامي بالكلام ، لكنها سكنت حينما سمعت الباب يقرع ، ثم دخلت زويزة بعد ان سمعت كلمة السماح لها بالدخول من عامر ، فوقفت بادب وخضوع ، فقال عامر :-
ما وراءك يا زويزة ؟

وقبل ان تجيب قالت سامي :- عاصفة هوجاء بعد الزويزة .
فضحكت ضحكة رنانة عذبة ، وضحك عامر وتمجب من سرعة بديهيتهما فقالت زويزة :-

رسول المفريان يطلب مواجعتك وبدعي انه اتى بمهمة خطيرة يريد ابلاغك بها .

فقال عامر :-

دعيه يدخل .

وبعد ان غادرتما زويزة تبادلا نظرات الاستفهام والاستغراب .

فدخل الرسول وحبي عامر وقال له عامر :-

ما وراءك ؟

- لدي رسالة شفوية اليك ، كلّفني بها المقرّيان .
- وما سبب عدم تسجيلها وتسجيلها ؟
- السرعة في التبليغ لتعجيل حضورك الى الكنيسة .
- هاتها واسرع .

وبعد ان سمح الرسول لاصابعه بان تتغلغل بين شعرات ذقنه قال :-
سيدي ؛ لم يمس على انصراف المحتشدين الذين اطربهم نبأ الانعام ،
غير فترة قصيرة ، حتى قدم علينا فارس من ناحية الجنوب . قد الهب
صدر جواده بالسياط يستحثه على الركض والجري السريع ، وذلك قبل
ان تترك مقاعدنا المطلة على الساحة الغربية ، فصعد الرجل السلام بعد ان
ربط حصانه باحدى اشجار التوت ، ولما وقف امام المقرّيان ادى التحية
بخشوع يمازجه اضطراب وقلق وتلجلج في الكلام لتعب قواه المشهوكه
فتكلم قبل ان تهدأ أعصابه النائرة وترتاح اعضاءه المتعبة ، وبمسح أو
يحفف عرقه ، أو ينفذ غبار ثيابه وقال بلفظه الرومية :-

اني ايها الأب الوقور أحد جنود الروم الذين تخلصوا من الهلاك
بالفرار ، وذلك حينما داهمتنا جيوش المسلمين ونحن في الشام ، آمين
مطمانين .

فقاطعه ماروثا متعجباً وقال :-

المسلمون في الشام ؟ ماذا تقول ؟ اجتاحوا اذن القدس وبيسان
واجنادين و . . . ؟

- نعم ؛ استولوا على اجنادين والقدس وبيسان ودمشق نفسها بعد ان
امعنوا السيوف في رقاب الصامدين المدافعين ، وقد شهدت كل هذه
المعارك ولكن الكارثة العظمى ، والنكبة الجلى التي لحقت بالروم من

قبل الجيوش الزاحفة كانت في معركة « اليرموك » وهذه المعركة هي التي
 حمت آثار الروم من أرض سوريا ، وقلعت ظلهم وقضت على آمالهم رغم
 تفوقنا عليهم بالعدة والعدد والقيادة والترتيب ، ولم ندر سر انتصارهم
 علينا ، فزهقت ارواح الالوف تحت شفرات سيوفهم وبين امواج نهر
 اليرموك ، فلولا ان من الله علي بهذا الحصان السباق السباح لما خلصت
 من سيوفهم أو نجوت من الفرق في اليرموك ، واسكنت في عداد
 المهلكين وزمرة المفقودين وقد همت على وجهي كما هام غيري من
 المارين على وجوههم في تلك الصحاري المقفرة والحزون المفزعة ، لا
 أعرف أي وجهة اتجهها ، وقد كان نصيب اكثر رفاقي الهلاك والموت ،
 لأن الموت الذي نجونا منه في الحرب والنهر ابى ان يفارقنا في الصحراء ،
 وهكذا مات رفاقي جوعاً وعطشاً أو بين مغالب الوحوش التي لا تنفك
 عن مهاجمتنا ليلاً ونهاراً ، أما انا فقد سلكت طريقاً مطروقة فأنقذتني
 عاقلة كانت راجعة الى تدمر من الظلم الذي اوشك ان يودي بحياتي الى
 الزوال ، وقد استوطنت تدمر مدة غير يسيرة الى ان لحق المدينة خطر
 الزاحفين . فغادرتها وعبرت الفرات ، وأنا لا أروي على شيء ، فيممت
 وجهي نحو الجنوب بمحاذاة النهر ، ولما وصلت الى احدى المدن الواقعة
 على هذا النهر ، رأيت أهلها باضطراب وقلق ، ولما استفسرت منهم عن
 دواعي قلقهم واسباب اضطرابهم ، قالوا : انهم يتأهبون الى لقاء جيوش
 المسلمين التي اجتاحت المدن الجنوبية من العراق ، واتجهت نحو الشرق ثم
 تزودت بالطعام والماء ، وبعد ان سرت الليل كله وشطراً من النهار لاح
 لي على البعد فارس قد اذهب صدر حصانه ضرباً بالسياط ، فلويت عنان
 حصاني ووجهته الى جهة الفارس ، ولما اقتربت منه ناديت مرة وأخرى

وثالثة فلم يلتفت الي ، إلا بعد الصبيحة الرابعة ، فأوقف حصانه وهو مرتاب فسأله بلغتي الرومانية عن الخبر عند ما عرفته من ملاحه وزيه انه جندي روماني كذلك .

أما هو فقد اطمأن بي وقال :-

أخاف من لحاق فرسان عمر بن الخطاب الذين اشتركنا وياهم في معركة أدت الى انتصارهم وتفوقهم علينا ودحر جيوشنا فاجتياز الحاجز^(١) الذي يفصلنا عن ممتلكات الفرس في العراق ، وأنا آخر الهاربين .

وما ان انتهى الى هذا الحد حتى ارخى عنان جواده وهمزه همزة فانطلق به يسابق الريح بعد ان قال لي :-
انج بنفسك .

وحينما سمعت خبر هؤلاء القوم الذين اضطروني الى تجشم كل هذه المصاعب واجتياز تلك المغاوز والحزون ، والتعرض الى المهالك والدمار ، فرأيت منهم وخوفاً من سطوتهم ، لان شبح معركة « اليرموك » لما يزل يترامى لي كلما اردت ان اخلد الى الراحة والسكينة ، أو التي بمصا الترحال ثم أرخيت العنان لخصائي انا الآخر والهيمته بالسياط ، ورحلت ميمماً وجهي شطر الشمال خوفاً من ان اكون فريسة لتلك الجيش الذي اوشك ان يدركني ، ولما كنت لا اريد ان اقدف بنفسي بهـذا الاتون الذي سيتخذ مدينتكم محلاً له لقرب الخطر فاني مغادركم الآن وقد اخبرتمكم لتتخذوا الحيلة والحذر كي لا يأخذكم القوم على حين غرة .

(١) ما يسمى بالحديد ، وهو بين سمرقند وبلد من الجهة الغربية من دجلة ،

يمتد من الغرب الى الشرق حتى يصل الفرات .

فضاق صدر المقرآن بهذا الخبر المفاجيء وتولاه الغضب وقال :-
أراك تحب في كلامك أيها الشارد خبط عشواء ، كأن خيلاً قد
اصابك عند انفرادك في الصحارى والمسالك ، كيف تزحف جيوش
المسلمين من أرض الحجاز إلينا وبيننا وبينهم الجيوش الفارسية التي عملاً ما
تملك من أرض السواد .
فرد عليه الرجل وقال :-

نعم أيها الاب الكريم ، اني كما ذكرت جندى شارد ، انكني لم اكن
شارد الب فاقد الصواب ، إذ لا زلت اقبض على زمام عقلي وأمسك بخطام
تفكيرى ، وامتتع بكامل قواي العقلية التي لم تدل منها الحوادث والطوارئ
والسكوارث شيئاً .

وقد اشعرتني أيها الاب مع عظم احترامي لمقامكم الرفيع اني بين قوم
خدرتهم سمادة الاحلام بعد ان اغلثتهم شجرة النوم ، ولم يناموا ان للنسيم
حدأ والراحة مدى وللاحلام نهاية وللنوم يقظة ، فيصطدموا بصخرة
الواقع ويجابهوا ضوء الحقيقة الساطع .

لا شك انكم ستعتبرون كلامى هذا قاسياً قارصاً ، لا يتفوه به الا من
فقد العقل ، واضاع التفكير ، فلا يضيرني من قواكم شيئاً لاني مفارقكم
ولكم بجيوش الفرس المشتتة ، وعرشهم المقوض وشوكتهم المسكورة
وسلطانهم الزائل ونجمهم الآفل ، خير مصداق على ما أقول ، ان كنتم
تعتبرون .

قال ذلك وانصرف بدون استئذان وركب حصانه عند نزوله من
المدرجات وراح ينهب الارض نهياً كأنه أراد ان يتخلص من العقاب
بالمثل على جريمة قتل ارتكبها .

ولم يصح المقريان من الصدمة الا بعد ان توارى الرجل عن العيان
عند ما سلك الشارع المؤدي الى الناحية الشمالية ، فكافت أول عبارة
تلفظ بها المقريان هي :-

« علي بامراء وقواد المدينة من عرب وروم » فكنت أول من هرول
اليك تنفيذاً لأوامر المقريان المحترم وحباً فيك لتكن أول من يحضر الى
الكنيسة .

فرفع عامر رأسه اليه وقال :-
شكراً لك ، انصرف فاني لاحق بك بعد برهة وجيزة ، أرتدي
خلالها ثيابي .

وما كاد الرسول ينصرف حتى التفت عامر الى سامي فوجدها متممة
اللون مسجلة الاهداب شاردة الاب تعبت اناملها في عقد كان يتحلى به
جيدها الاتلع ، أما هو فقد تهلل وجهه بشراً وفرحاً ، واشرقت من ثغره
ابتسامة الفوز ، فربت على كتف سامي وقال :-

حقاً ان العقل الباطن يا سليمي يدرك ما لا يدركه العقل الظاهر الذي
يعتمد في معظم مداركه على الحواس ، اما العقل الباطن فهو خير نذير
أو بشير لما يضره المستقبل للمرء من النكبات والمصبرات ، لانه يستمد
وحيه من روح القدس التي تسمع كل شيء . علماً بناء على صفاء النفس
وتقاوة السريرة .

فهذا تفسير رؤياي يا حبيبتي ، وهذا هو يوم الفصل قد اصبح غداً
قاب قوسين أو أدنى ، فأهلاً بالضيوف ومرحباً بالحرية .
فماتت كلماته من سامي ما نالته ، الامر الذي جعلها في جزع وقلق
وقالت :-

ما هذه الكلمات التي تنفوه بها يا عزيزي ، فالحقيقة والواقع يا عامر
 هما عكس الخيال والتصور ، وحوادث الاحلام وصورها لا تخرج من
 الدماغ ولا يجتاز عظام الجمجمة ولا تأتي بها إلا نومة قصيرة أو طويلة ،
 أما الحوادث الواقعية والصور الحقيقية ، فيدائها الأرض ومسرحها الحياة
 وضحيتهما الارواح والمواد .

فنحن اليوم أمام خطر أجنبي يهدد المدينة ، فارجو ان تزيل ما في
 قلبك من غل لتندمج مع اخوانك من ابناء البلد لنكونوا متكاتفين
 متآزرين على درء الخطر المحيى او تبديد طلائع الظلم ، ولا تذكر من
 ماضيك الا كل ما من شأنه ان يشرك بالمسؤولية ويدفعك الى التضامن
 والتزامل مع غيرك ، وكن ابن ساعتك ثم فلتش عن حسنات من نازعتك
 وخاصمتك ، وفضائل من عاداك واصفح عن ازمجتك وتحداك فالضعفان
 والاحقاد والعداوات الشخصية يجب ان ينعدم اثرها وتمحى معالمها اذا
 ما هددت المصاحبة العامة خطر اجنبي خارجي ، لذلك ارجو ان تكون عند
 حسن ظني بك فتصفح وتغفو فان ذلك خير لك وصلاح لغيرك .
 وقبل ان يرد على سلمى دخل جرير وقال :-

اكلنا اسراج الحصان فيها ، ثم ترك الغرفة وخرج ، فنهض عامر
 ونظر الى سلمى نظرة شعت بكل معاني الحب ، لذلك اكتوبر قلبها بحرارة
 فشعرت بقشعريرة في جسمها وبقوة خفية تنهضها وتدفعها اليه كما اندفع
 هو اليها بقوة تيار الحب العارم ، فالتصقا بيمضهما وتبادلا قبلة الوداع
 الحارة التي اودعاها عصارة قلوبيهما وخلاصة حبهما ، ثم تخلصت من بين
 ذراعيه ووقفت أمامه مبهورة الانفاس يترافق نهداها على صدرها الذي
 حركته هم القلب المتأجج بنار الحب والشوق .

ولما هم بالخروج قال لها :-

أرجو ان تكوني هنا ربما أعود ، فقد أخاف عليك مما يضمره لنا
القدر وتخفيه الايام .

- لا تخف علي من شيء ، فاني لا اتقاد الى قول الناس حيث يقولون
« كل مقدر كائن » انقياد الاعمى ، فانا حذرة متيقظة .

عادر عامو قصره بعد ان ركب حصانه وسار في مقدمة اخلاص اتباعه
ثم وصل الكنيسة ، فكان اول من حضرها من المبشرين بالحضور ،
فاستقبله المفيان وبقية رجال الكنيسة لاستقبال الحمن ، ولما جلس
بقربه أسر له المفيان بعض الكلمات وقال له :-

أرجو ان تجعلها في طي السكتان يا عامر ولا تخرجها الا بعد ان تحولها
الى عمل لا فكرة غير منسجمة أو متبلورة .

ثم تكامل اجتماع المدعوين ، فاخذ كل منهم مكانه ثم أطلقوا الافكارهم
وأبصارهم العنان بان تشرح في الانهاية وتمتد الى المسافات الشاسعة
الواسعة ، عندما خلبتهم محاسن الطبيعة التي تجلت بابهى مظاهرها وادوع
حلقها ، وهي مسجاة على الضفة اليسرى من دجلة في ذلك الاصيل .

وخوفاً من ان يسحروهم جمال الطبيعة الاخاذ فيسلمهم الى افكارهم
وهو اجسهم الى النعاس فالنوم ، تدارك المفيان الموقف وقال :-

عرفتم ايها الاخوان دواعي استدعائي لكم واطلعتم على الخبر الذي
واقانا به احد مشردي الحرب بعد انفضاض المجلس وتفرقكم واني إذ
أبعث اليكم لا لأحفزكم الى الحرب أو أعرفكم بالواجب وعظم المسؤولية
الملقاة على عواتقكم بل المشاورة في الامر ، فالاتفاق على رأي سديد
يضمن لنا النجاح التام والسلام الحقيقي لان الرأي السديد والعمل الناضج

والعاقبة الحسنة تكون، نتيجة محتملة لتبادل الآراء، ووليدة للاتفاق التام.
فأرجو ان تعدوا الامر عدته . لتتوصلوا الى الخطة التي تنبجكم
عما ينتظركم من الاخطار والكوارث ان صح قول الشريد . وارجو ان
لا تفسحوا المجال للفرقة والاختلاف، التي تؤدي بكم الى مهاوي الهلاك
والدمار .

وما ان انتهى المفريان من كلامه . حتى بدأ القوم بالذاكرة ، وابداء
الآراء . التي كانت تتعرض الى الانتقاد اللاذع والمناقشة الحادة التي كانت
تعمل على توتر الاعصاب لا يقاط براكين الاحقاد في القلوب فتترسل بهم
الكلام من اللسان . ولولا المفريان الذي تدارك الموقف ، فطمأن الخواطر
وهذا الاعصاب بمحكمته وقداصة منصبه لآل الامر الى عكس ما كان
يتوقمه القوم ويرنجونه من سوء العاقبة ورداءة المصير بعد تفرق الكلمة
وانشقاق القوم .

وأخيراً اتفقوا على رأي واحد وهو :- الخروج الى خارج المدينة
لملاطاة الجيوش الزاحفة في تلك الصحاري الجنوبية الغربية ، لكي يلبسنى
لهم دفع الخطر عن المدينة ، اما اذا شعروا بضعفهم مقابل تقوى اعدائهم
فالجبال واسع امامهم للانسحاب فالاعتصام بحصانة السور ، لاطالة مدة
الحصار التي تضطر الغزاة الى مغادرة المدينة بعد فك الحصار عنها دون
ان ينالوا منهم شيئاً .

اما القيادة فقد اتفقوا على ان تكون بيد عامر وسطيح لخبرتهما
ومهارتهما في الحروب ، ولما قدماء من اعمال . كل يتولى جناحاً من
اجنحة الجيش ، على ان تكون الخطط متفقة والجيش موحد الكتل مندمج
القوميات في كتلة واحدة تدود عن المدينة ، وتحافظ عليها .

وسرعان ما مرى الخبر بين الناس ، وتناقلته الالسن ولا كته الافواه
 بجذر وحيلة ، وما كاد يتغلغل في جميع الاوساط والمجتمعات حتى بدأ
 التعليق عليه لأنهم احسوا بالمسؤولية ، وشعروا بفداحة الخطب ، وجسامه
 المصاب ، لكنهم باتوا على أسوء حالة من القلق والاضطراب لأن الخبر قد
 اقض منها جميعهم ، وعكر عليهم صفوهم فباقوا كما بات السليم المسهد ، لكثرة
 ما انتابهم من المموم ، وساورهم من الاخيلة والهواجس لأن مصيرهم كان
 متوقفاً على ما يبيته لهم القدر ، عندما تتقدم الجيوش التي لم تقف في
 وجهها جيوش كسرى وقيصر ، ولم تحل دون تقدمها جميع الحواجز
 والموانع .

وقبل أن ينفذ أهل المدينة غبار النوم من عيونهم ، أو يطردوا
 خيالات الاحلام عن غيلااتهم ، طرق سمهم دق الطبول وتفتح الابواب
 تستدعيهم الى الاجتماع والسير الى الحرب والقتال دواعاً عن المدينة لدرء
 ما يتوقعونه من خطر الجيوش الزاحفة عليهم . وبعد ما تقلدوا اسلحتهم
 خفوا الى ساحة الاجتماع ملين داعي الحرب منتظمين مع بعضهم في كتل
 كبيرة تضم كل منها قبيلة او جماعة تجمعهم رابطة الدم والقراية والنسب ،
 وهم يعللون الفضاء بأهازيجهم الحماسية التي تعبر عن تلهفهم الى الحرب
 والنضال في سبيل حماية المدينة من الغزاة .

وبينما كان القوم في هرج ومرج ، ولفظ وضجيج إذ بجارس باب
 السور الجنوبي يشق طريقه بين المحتشدين لأربعة فرسان غرباء الى الكنيسة
 ولما صعد بهم المدرجات جردم ثلاثة من رجال الكنيسة من اسلحتهم ،

وفقا لما تقتضيه قداسة الكنيسة والآداب المتعارف والمتفق عليها .
فاستأذن لهم الحارس من المفران بالدخول عندما أخبره ان هؤلاء وفد
قائد الجيش الزاحف اليهم ، جاءوا بمهمة التفاهم والمفاوضة فاذن لهم المفران
بالدخول .

ولما دخلوا وسلموا على الجالسين وجلسوا على بعض المقاعد التي اعدت
لهم قال رئيس الوفد : -

أرجو ان تعرفوني بحاكم المدينة أو قائدها ، لأبلغه بمهمتنا ذات الشأن
والخطورة . فقال المفران : -

تسكلم مع الشابين ، وأشار بيده الى عامر وسطيح .

فرد عليه عامر وقال : -

المفوق أيها المفران . اننا لانملك الرأي أو السلطة او الرئاسة وقت
وجودك .

- اسكلم الحرية التامة في التفاهم والاتفاق أو عدمها لأنكازعنا المدينة
السياسيان والعسكريان ، اما أنا فلي المركز الروحي والاشراف الدين على
تطبيق الشعائر وانتشار الدين . فلا يجوز لي أن أتدخل بشيء من غير
اختصاصي . فقاطعه رئيس الوفد : -

ان كنت انت أيها الأب الوقور أو الشابين الذين غنيتهما ، فانتا
نبلغكم جميعا بما جئنا به من عند قائدها .

فنظر اليه سطيح نظرة احتقار واشتمزاز وقال : -

تسكلم واوجز . فرد عليه رئيس الوفد :

- نحن وفد عبد الله بن المعتم قائد جيش المسلمين المتجه اليكم ، ارسلنا
لتبلغكم هدفنا وغايتنا التي جئنا من أجلها . فقاطعه سطيح وقال : -

وهل لكم غير الحرب والكفاح والسلب والنهب من غاية ؟
 - لم تتخذ الحرب والكفاح إلا مع من أصر على عناده واستمر في
 مقاومته لنا . لأننا لم نفر الامم أو نحتاج البلاد إلا لانتقاذ الناس من
 الجهل والفقر والظلم . لأننا جئنا بنظام العدالة والانصاف كي نعلمه على من
 اذلم الظلم ، وشردهم الجهل ، ونحطفهم عفريت الفقر ، لنجمع شملهم ونبعد
 عنهم كايوس الظلم ، فننقذهم من مهاوي الدمار والهلاك ، بعد ان يكون
 منهم مجتمعاً صالحاً تسوده الطمأنينة ، ويفرغ الوثام ، وتكتنفه السعادة
 فقاطعه سطيج وقال :-

نعماً للبشرية التي تأتمر بأوامركم وترجو صلاحها منكم .
 فقاطعه عامر بعد ان كظم غيظه ، واخفى حقه وغضبه بابلسمامة
 صفراء وقال :- ارجوا ألا تحتقر القوم كما ارجو أن تفسح لهم المجال
 لتأدية مهمتهم كاملة . كما اوصاهم بها قائدهم ، لنفهم مقاصدهم ، ونعرف
 مطالبيهم ، وعند ذلك لنا الخيار في أمرنا القبول أو الرفض .
 فرد عليه سطيج وقال :-

وهل يجوز لنا أن نستكين لمطالبيهم ونرضخ لأوامرهم ؟ فرد عامر
 وقال :-

ولم لا نرضخ ان كان الصواب في قولهم وعملهم ؟ وما هو المانع ؟ فهل
 الرأي السديد ، والقول المعقول والخطة الحسنة مقتصرة على طبقة دون
 اخرى ، او على اناس دون آخرين ؟ اني احبذ الفكرة الحسنة واطبق
 القول المعقول ، وارضخ للامر الذي يلتزم والواقع ، ويتفق مع الحقيقة
 مهما كان مصدرها أو مبعثها ، فالتفت الى رئيس الوفد وقال :-
 ارجو ان نعرفنا باسمك لندعوك به .

- عمرو بن جنيده

- تكلم يا عمرو ثم بين لنا ما يرضيكم منا .

- نحن قوم قد وهبنا ارواحنا لله عز وجل ، لاعلاء كلمة الحق ونعيمها

ثم نشر لواء الطمأنينة والسلام على أبناء البشرية وذلك بطريقة الاقتناع
والمسالمة لا بالقصر والشدة ، وقد لا نلجأ الى الشدة والقسوة إلا إذا
وقف دوننا ودون غايتنا مناصروا الفخر والاحاد ، ومؤيدو الظلم والجور ،
ومسببو الجهل والفقر .

أما من قبلوا منا أحد شرطين فلا خوف عليهم ولا ضير وهي :
اتباع تعاليم محمد « صلى الله عليه وسلم » التي جاء بها من عند ربه ، بعد
تطبيقها على نفسه وعلى مجتمعه . وذلك عندما يقر برسالاته ونبوته ، ويوقن
بوحداية الله وانفراده وعربون ذلك هو هذا القول « اشهد ان لا إله
إلا الله واشهد ان محمداً رسول الله » أو يؤدي « الجزية » مقابل حمايته ،
والمحافظة على ماله وعقيدته وعرضه .

وهذا ما أردت أن ابلغكم به . فان رضيتم بأحدهما فليكم ما لنا ، وعليكم
ما علينا وان أبيتم فالسيف بيننا الى ان يظهر الله الحق ، ويزهق الباطل .
ان الباطل كان زهوقاً فقاطعه عامر :
والله انه لقول فصل و

وقبل ان يتم كلامه تكلم سطيح وقال : -

عهدي بك صلب العود ، قاصي القناة ، لا تخف التهديد ، ولا تهرب
من الوعيد . التضحية من ملازماتك ، والشجاعة من سجاياك وصفاتك . فما
بالك جببت نخمت القوم قبل ان تصطدم معهم في حرب أو تلتقي بهم في
ساحة القتال .

ثم تكلم المفريان ماروثا وقال :-
لا تنس يا سطيح اننا بحكم ديننا وعقيدتنا ، لا نتصدي للشر أو
نشخاص للقتال . فنحن قوم مسالمون .

فصاح كبار رجال الروم مع بقية اصراء العرب المجتمعين وقالوا :-
سنكفيك شرهم ايها المفريان المحترم ، ونصدهم عنا ونخيب مساعيهم
ونقضي على آمالهم . فنحول دون ادراكهم غايتهم منا ، ولا ندعهم يصيبون
مدينتنا بأذى مهما عظمت قوتهم واشتد بأسهم .

ثم استأنف سطيح كلامه وقال موجهاً كلامه الى عامر :-
كيف استصوبت رأيهم ، وأي الشرطين يتفق وميولنا الخاصة ، أو
مصلحتنا العامة ، حتى تتفق مع القوم ونصالحهم . أنستبدل بديننا الذي
هو احسن مانعاً به في هذا الوجود لأننا اعتنقناه عن طيب خاطر ، ديناً
آخر أو نقبل بتأدية الجزية التي هي أقوى قيد وامتن غل تقيد انفسنا به ؟
وكيف يرضى العربي بتأدية الاثاوة ؟ .

- لم اكن جباناً ولا جزوعاً ، لافزع من تهديد أو أخاف من وعيد .
وانما رأيت شماع الحق الذي في قول الرجل يستهدف كبد الحقيقة ويصيب
صميم الواقع .

فان اعزينا بديننا ولم نرض به بديلاً . فلا داعي لأن نغتر بيمض
دريهمات ندفعها لاخواننا العرب مقابل الاحتفاظ بسلامة مدينتنا واحترام
مقدساتنا وعقائدها . فيكون ديننا بعيداً عن متناول الايدي العابثة .
وبعد الاستشارة والتصويت مال اكثر القوم في جانب سطيح . لأن
الروم رجحوا بكثرتهم كفته . ثم اخبروا رئيس الوفد ، أنهم لا يرغبون
بشيء غير الحيلولة دون وصولهم للمدينة ، مع عدم الالتفات الى

الضحايا التي يقدمونها .

وقبل ان يودعهم عمرو بن جنيد ومن معه قال لهم : -
اذن فلكم بجيوش قيصر في بلاد الشام وكسرى في القادسية والمدائن
أحسن العرب ان كنتم تعتبرون .

فغادروا الكنيسة والمدينة بعد ان اخذوا اسلحتهم وركبوا جيادهم .
فوصلوا معسكرهم بعد ان ساروا ساعتين من الوقت ولما دخلوا على القائد
« عبد الله بن المعتم » وجدوا عنه كبار رجاله وهم : -

« ربعي بن الافكل العنزي » الذي كان يتولى مقدمة الجيش ،
و « الحارث بن حسان الذهلي » الذي كان يقود ميمنة الجيش ، و « فرات
بن حيان العجلي » قائد ميسرة الجيش ، و « هانيء بن قيس » الذي كان
يتولى ساقة ، و « عرقعة بن هرمة » الذي كان يتولى الخيل (١) .

فاخبره عمرو بن جنيد عن كل ماجرى من أمر القوم ، ثم ذكر له
انهم لا يريدون إلا الحرب والقتال .
فقال القائد : -

علينا إذا ان نأخذ الراحة في هذا اليوم . لان الجيش قد ناله من تعب
الايام الاربعة التي قضيناها في طريقنا من المدائن ما أنكه والتعبه .
وعداً سنزحف اليهم . فلا عذر لمن انذر .
فرد عليه عمرو وقال : -

واظنهم سيخرجون الينا لانهم على تمام الاستعداد للقائنا .
أما القرى فقد استوى واقفاً وتقدم الى آخر درجة من درجات
الكنيسة فخطب بالمتشددين ثم شكرهم على شعورهم الحسن وعلى ما ابذروه

من التضيحيات بالامس البعيد واليوم . ثم طلب منهم ان يحشدوا نهار
هذا اليوم وليتته على السور ، ليتولوا حراسته ويكونوا على تمام
استعدادهم ، فالفجر وقت خروجهم من الباب الغربي والباب الجنوبي
بكتلتين تحت قيادة عامر وسطيح ومساعدة بقية الامراء وقادة الروم .
ولم يكذب ينتهي المفريان من كلامه حتى علت الهتافات بحياته وحياة القادة
ورجال الدين . ثم تفرقوا لحراسة السور .

ولما خلت الساحة نسي للامراء والقادة من انتهاء اجتماعهم بمد أن
كلهم المفريان بمراقبة الجماهير المتكتلة على السور ثم التناوب فيما بينهم على
تفتيشهم .

ذهب سطيح الى قصره كأنه الاغصان الثائر أو البركان الذي على وشك
الثوران لما يضطرم في قلبه من الحقد والغيظ من جراه تلطف عامر مع
وفد المسلمين ومساندته لهم .

اما عامر فقد وصل قصره ولما دخل الغرفة على سلمى التي كانت بانتظاره
رآها رهن الوسوس والهواجس تسرح بصرها في اللانهاية ، لتبحث
عن شوارد افكارها التائهة ، وقد استرجعتها حينما أحست بدخول عامر
عليها لذلك نهضت واستوت على قدميها واستقبلته بتلك القبلة ذات الصدى
العالي . فما كان منه الا ان بادها قبلتها وضمها الى صدره ضمة الملائف
المشتاق ولما جلسا وتفحصت وجهه وملاحه رأته يصطنع الحزن ويتكلف
الهم بالرغم من ان قسما وجهه لا تنم إلا عن فرح مكبوت وابتهاج
يغمر النفس . ثم قالت : -

اظنكم قد تشاورتم وتناقشتم في الرأي . واتفقتم على الرأي الذي يكفل
لكم النصر ويدفع عنكم الخطر الذي اصبح عنكم قاب قوسين أو أدنى .

- وأي خطر يهددنا يا سليمى ؟

- الله ؛ كل هذا الخطر وتشكره ، جيوش فلت العروش وقوضت صروح المجد وفرقت الجوع ومنقها ثم أجنحت البلاد وأخذتها ، تلك هي جيوش الحجاز قذفنا بها خليفة « محمد » المدعو « عمر بن الخطاب » لتسلبنا عزنا ومجدنا ، وتأخذ منا خيراتنا وغلاتنا ، وتززع عنا ديننا وعقيدتنا ، لنكون لها كالسائمة في أيدي الجزارين لا نملك لأنفسنا رشداً ولا من هوتنا مخرجاً .

- لا يا عزيزي ؛ ليس كما تتصورين وتتخيلين ، فإن اتباع « محمد » الذين قذفنا بهم « عمر » ما هم الا أبناء صومتنا واخواننا لانهم عرب يشعرون بما يشعر به العربي من التضحية في سبيل نصرة أخيه ، وإغاثة الملهوفين والمظلومين ، غايتهم انقاذ الناس من مهاوي الجهل والفقر ومهمتهم فك أغلال الظلم التي كبلت الضعفاء فأذلهم واخضعهم لمشيئة الأقوياء الظالمين عند ما يستنير الناس بمشعل هدايتهم فيسيروا بالطريق الذي عبده وسلكوه الى حيث السعادة التامة والاخوة الحقة للانضمام تحت لواء المجتمع الكامل الذي توجده تعاليم محمد وقوانينه .

- وما حاجتنا اليهم ؟

- نحن أحوج الناس اليهم ؛ لأننا من أولئك الذين غلبوا على أمرهم بعد ان سلبتنا جيوش الروم حريتنا وجردتنا من استقلالنا فتنسئ لها ان تتحكم في رقابنا وتتصرف بمقدراتنا وخيراتنا ونحن لا نقدر على ردعهم أو اخراجهم .

- وكيف ذلك وهم حماة الدين ؟

- هذا ادعاء كاذب وقول لا أساس له من الصحة ولا أساس له بها ،

لأن الأيام التي واثقنا بالاحداث قد برهنت لنا على عكس ما يدعون ،
وأظنك لا تجهلين هذه الاحداث ، فالدين يأسى لا يحتاج الى حماية
المستعبدين الظالمين ، أو مؤازرة الجشعين المستغلين الذين تقمصوا لنا
بثياب الورع والتقوى ، بالرغم من ضراوتهم وشراستهم التي بدت في
تعمسهم واضطهادهم - كل من رضي بحكمهم واستكان لظلمهم ، فالدين
يا عزيزتي أخرى بحماية نفسه واجدر برعاية تعاليمه ، فهو لا يدخل القلوب
بالقصر والشدّة ، بل على طريق الرغبة والتوق الى الصلاح ، لانه دستور
الحياة السعيدة ، وقانون المجتمع الكامل .

فردت عليه سلمى وقالت :-

إذا لم يكونوا من حماة الدين فهم من معتمقيه ومحبذيه ، وبذلك
نكون وإياهم قد اشتركنا في رأي مقدس واحد كان الباعث على جمع
الكلمة وتميز الجهود فتركز القوى للدفاع عن عقيدتنا المشتركة وديننا
الموحد .

- وهل نعتقد ان المستعبد المسترق ديناً يقدسه ويفضله على مصلحته
الشخصية وغايته الأساسية ؟

- وما هي الغاية التي يفضلها المرء على الدين المقدس ، والعقيدة
المحترمة ؟

- بسط السلطان وتوسيع النفوذ لاستغلال الجهود وابتزاز المادة
من ابناء البلاد التي حكموها ، بعد ان ظللوا بها بحماية الجهل المظلمة فحجبت
عن أمثالنا نور الحقيقة لتحيز الصالح من الطالح .

- ولكننا الآن نتمتع بكامل حقوقنا ونعام حريتنا لا نخس بسطانهم

ولا نشعر بسيطرتهم ، أو نخضع لمشيئتهم أو نصطدم بقوتهم التي تحول
دوتنا ودون نيل العلم والمعرفة من منبها أو مجراها .

- لأنك الآن في قصر عامر أحد أمراء المدينة ورؤساء عشائرها الذين
نعموا بهذه الحرية كرشوة من الروم الذين اتخذونا مطايا توصلهم الى
اهدافهم فتيلهم غايتهم ، ليتحكموا في رقاب الضعفاء ويتصرفوا بمقدراتهم
ويذلّوهم لمشيئتهم وارادتهم بعد ابتزاز أموالهم وحجرهم في سجون
الجهل وحزون الفقر .

فنحن والروم طفيليون على آتاع أبناء المدينة ، نعم ونبدخ ونسرف
عن آتاعهم وكدم الذي اخذناه منهم بطرق الضريبة واجرة التأمين على
الحياة ، والحفاظة للمقيدة والدين والمال ، وحصة الرئاسة وغير ذلك من
أساليب النهب السلمي والسلب غير المباشر .
فقاطعتهم سلمى قائلة :-

إذن فانك تجبذ الاستسلام للغزاة المحتاجين ، وتفضله على الذود عن
المدينة والكفاح في سبيل دينها وأهلها ؟

- انهم لم يكونوا من الغزاة يا سلمى ، ولا من التواقين الى سفك
الدماء او المحبين الى المال والجاء والسلطان ، وانما هم أهل ورع وتقوى ،
وإيمان وعقيدة يستهدفون تعميم دينهم على البشرية لاصلاح المجتمع بعد
نزاع الضغائن والاحقاد من القلوب .
- ومن ادراك بذلك يا عامر ؟

- رئيس وفد المدعو « عمرو بن جنيد » الذي جاءنا اثناء اجتماعنا ،
فعرض علينا غايتهم وخبرنا في امرنا ، أما انت تؤمن بتعاليم « محمد »
وتطبقها بعد ان تشهد بنبوته ورسالته التي جاء بها من عند ربه الواحد

الاحد ، أو ان تؤدي لهم الجزية مقابل حمايتنا وحريتنا في اداء طقوسنا الدينية بكل صراحة ، ولما لم يقبل أهل المطامع الروم واذنابهم ومطاييم الشرطين ، غادرنا الوفد بعد ان قال لنا رئيسهم : لنترك الحكم للسيف فهو خير فيصل للحق .

— ولم لا نحسب قوله محض أدعاء لا أساس له من الصحة ؟

— لو كانوا يبتغون المال والسلطان لا كتبوا بما فتح الله عليهم من خزائن قيصر وكبرى وبلادها ، ولو لم يكن خروجهم من بلادهم على حق ، بسوقهم الايمان وتحدوهم الرغبة الروحية لما استطاعوا بقله عددهم وتقاهة عددهم السيطرة على تلك الاصقاع والبلدان ، بعد تشتيت الجيوش التي كانت تفوقهم بالعدة والعدد .

— سننتظر الايام تكشف لنا عن الخفايا والاسرار ، فتميز الخبيث من الطيب وأملئ بالله وطيد ان يخفف من غضبك فيزل من قلبك ما علق به من الضغائن والاحقاد لبعض ابناء مدينتك ورؤسائها .

— لا حقد ولا ضغينة يا سلمي ، وانما هو نور الحق تغفل في قلبي ، كما هو شأن من ينظر الى الأمور بمنظار العقل الصافي .

وبينا كانت سلمي تهتم بالرد على عاصر دخلت عليها زوبعة وقالت :-

المفريان يطلب مواجعتك يا سيدي الآن ، وهو عند الباب الجنوبي من السور بصحبة رجال الكنيسة ، وراهب دير « صباي » ^(١) واسقف دير « جلتاني » ^(٢) .

(١) دير صباي وهو في شرق دجلة وقيل انه هو دير « سماية » ويسمى

الآن به « الكنيسة » مقابل تكريت .

(٢) جلتاني : هو الدير الذي بناه « اهودي » بتكريت . ذخيرة الازهار

فالتفت عامر الى سلمى كأنه يستشيرها في الامر ، فعرفت مغزى نظراته ، فقالت اذهب راشداً مهدياً ، وانا لا اقدر على البقاء هنا اكثر من هذا الوقت ، فوالدي بانتظاري ، وأظنه قد قلق كثيراً من ابطائي .
فركب عامر حصانه بعد ان ودع سلمى ثم توجه الى الباب الجنوبي حيث المفريان بانتظاره هناك ، ولما وصل وترجل انفرد به المفريان فاسر له بعضهم كلمات قال بعدها :-

أرجو أن تقوم بمراقبة المرابطين على السور ، قال ذلك وغادره هو ورجال الدين الذين كانوا بمعيته عند ما مات الشمس الى المغيب .

— ٢٦ —

وما ان بدت طلأع الفجر التي افتتحت حصون الليل لتهدمها وتطمس معالمها، حتى كانت جموع المدينة التي كانت ترابط على أبواب السور ، تخرج من بابي السور الغربي والجنوبي وتتجمع على بعد يسير من المدينة ، لتسير في كتلة واحدة تخضع لقيادة مشتركة بين سطيج وعامر أمير يأياد وتغلب، يساعدهما قادة الروم وبقية وجهاء المدينة مثل : « عتبة بن الوعل » و« ابو وداعة بن ابي كرب » و« ابن الحجير الايادي » و« ذو القرط » و« ابن ذي السنينة » وغيرهم ، فلم يسروا مدة من الزمن حتى رأوا جيش المسلمين على تمام الالهة والاستعداد ، وما هي الا فترة من الزمن حتى كان القوم قد اصطدموا مع المسلمين في معركة حامية الوطيس ، استمرت حتى غروب الشمس ، فغال الظلام دون مواصلة الحرب ، والاستمرار في القتال ، لذلك تسنى للطرفين نقل القتلى ، فدفن أهل المدينة قتلاهم واغلبهم من

الروم على كتف الوادي الشمالي (١) ، كما دفن المسلمون قتلاهم على حافة الوادي الجنوبية .

وعند الفجر استيقظ عامر على اثر سماعه الصوت العذب الذي يمازج الاحساس ويلامس الشعور المرهف ، وهو يجالجل في الفضاء فيمزق حجب السكون كما تمزق طلائع النهار حجب الظلام ، فيزيد في قدسية الوقت ، ويضاعف من جلال الموقف ، فلما حل عامر عقدة النعاس التي كانت سبب انطباق اجفانه على بعضها ، تمكن من فهم مقاطع الصوت فاذا به « الله اكبر الله اكبر حي على الصلاة . . . »

وما كاد الرجل ينتهي ، حتى نهض المسلمون من مضاجعهم ، وكأنه كان يستنهمهم ، وما هي إلا فترة قصيرة انتشروا فيها وتفرقوا حتى انتظموا في صفوف مستقيمة متعددة خلف قائدهم ، متجهين الى الجهة الجنوبية الغربية ، وبدأوا يتحركون بحركات اجماعية منتظمة وموحدة ، لا يشغلهم عن تأديتها شاغل ، احتراماً لقدسية الموقف ، وقد وقف نصف الجيش يتولى حراستهم في تأدية حركاتهم القدسية ، وعندما انتهوا قامت الفئة الحارسة وانتظمت في صفوف كسابقتها بعد ان تجرد الجميع من السلاح وبعد ان تولت الفئة الثانية حراستها .

فراق هذا المنظر في عيني عامر ، وسحر بحال الموقف و قدسيته ونظامه وود لو ان القوم يطيلون وقوفهم بهذه الصورة وعلى تلك الحالة التي ان دلت على شيء فانها لا تدل الا على الطاعة التامة والنظام الحقيقي فالتكاتف والنازر والتساوي بين الجميع .

(١) وهو ما يدعى الآن بـ « وادي رومية » بالنسبة لقتلى الروم الذين دفنوا

هناك في تلك المعركة .

وقد انطبق الجيشان على بعضهما في قتال شديد دام حتى منتصف النهار دون ان ترجح كفة على اخرى ، لكن موقف جيش المدينة قد تزعزع ، عند ما ساورهم القلق رغم تكاتف كتله واتحادها وتآزرها ، وقد ازداد موقفهم حرجا حينما مال المسلمون على جناح جيش المدينة الاليسر الذي كان يتألف من الروم والعرب بقيادة مشتركة يترأسها « سطيج » ولما أراد عامر تعديل الجيش وموازنة السكتين تراجع جيش سطيج ثانية ، وهكذا تمكن المسلمون من دحر جيش المدينة وارغامه على التراجع والتقهقر الى مسافة قليلة ، فلم يفرق الليل بينهما ويسدل بستوره القاتمة السواد ، لكن نصيب جيش المدينة من المعركة الاندحار التام بعد الخسارة العظمى .

وهكذا استمرت حالتهم بين اخذ ورد ، وانهصار واندحار يصيب الطرفين في فترات متناوبة أو متقطعة ، لكن الانتصارات التي سجلها المسلمون كانت اكثر ، لأنهم تمكنوا من زعزعة جيش تكريت ، ومن احقتهم ثم الى تراجعهم حتى قاربوا سور المدينة وذلك في خلال تسعة أيام ، وفي اليوم العاشر قبل ان يلتحم الفريقان ببعضهما في القتال طاف على جيش تكريت « سطيج وعامر » يشجعان القوم على القتال ويحثانهم على الثبات فلاستماتة ، لقرب الخطر على المدينة التي خرجوا من اجل الدفاع عنها ، ومن اجل ذلك عنت لسطيج فكرة كانت ضائعة في زوايا عقله ، وباخراجها الى حيز التنفيذ والعمل يكون جيش المدينة قد ربح الوقت وابتعد الخطر وقلل الضحايا ، وهي فكرة المبارزة الفردية لا القتال الاجاعي .

وقبل ان ينزاحف الجيشان على بعضهما ، أرخى سطيج العنان لجواده

ودفعه حتى توسط الفريقين، وعند ذلك طلب مبارزة قائد المسلمين، وقبل
 ان يخف اليه عبدالله بن المصم، اندفع احد فرسانه، ولم يكن يصل ويجول
 جولتين حتى ارداه سطيمح قتيلاً فبرز له آخر فكان نصيبه نصيب
 صاحبه، وثالث زال ما ناله الاول والثاني، ورابع كان مصيره مصير
 جماعة، ولم تكد الشمس تتوسط كبد السماء حتى قضى سطيمح على ثمانية
 عشر رجلاً.

فضاق صدر عبدالله وتقطب جبينه وانتابته سورة من الغضب، فلم
 يمالك نفسه حتى صاح بجيشه ان يحملوا حملة واحدة، لأن الرجل شجاع
 يريد كسب الوقت وتقليل الضحايا من جيشه بواسطة شجاعته، وما هي
 الا لحظة حتى كان الغبار قد اكتنف الجيشين، فحجبهما عن ابصار
 المتفرجين من اهل المدينة، حينما كانوا يتطلعون الى حركات الحرب من
 فوق السطوح وعلى جدران السور، وكلهم من الشيوخ العاجزين
 والنساء والاطفال، وهم يتهلون الى الله بالدعاء بقلوب مرتجفة وأجسام
 مرتمشة وجلة، في تثبيت اقدام جيشهم ونصره.

لم يكن ضحايا الطرفين كانت بازدياد مستمر حتى أهمل القتلى في ساحة
 القتال تطأهم اقدام وتدوسهم سنايك الخيل، أثناء الطراد والصراع.
 فدام القتال حتى الى وقت متأخر من الليل. وفي الصباح الثاني اتفقوا على
 هدنة مؤقتة لنقل القتلى المشوهين من جراح وطئهم بحوافر الخيل، بصورة
 دائمة. فعرف كل فريق قتلاه لا من ملامح وجوههم ونقاطيمهم التي
 محيت وازيلت، بل من الملابس والاردية، فكانت خسارة جيش تكريت
 فادحة جداً لصدق جهادهم في تلك المعركة وتقانيهم لصد الخطر عن المدينة.

وخسارة المسلمين اربعين فارساً منهم (عمر بن جنيد) مكرى القوم ورئيس وفد عدا الذين قتلهم سطبح في بداية المعركة . فقاموا بدفن الاربعين رجلاً في حفر متقاربة متلاصقة^(١) فما زال المسلمون يزاحفونهم حتى اعتصم جيش تكريت بالسور المتين الجدران ليقوا هجمات المسلمين وكراتهم العنيفة . وقد كانت صفقتهم في هذه المرة رابحة وكسفتهم راجعة على جيش عبد الله بن المعتم . لانهم بدأوا يرشقونهم بالسهم من خلف السور . وبالرغم من حصانة السور ومتانة جدرانه فان القلق قد تصرب الى جميع من سكن المدينة واستوطنها لانهم أحسوا بالخطر ولمسوه وايقنوا انهم لا بد مستسلمون مهما طالت مدة الحصار ، أو تضاعفت ايام الاعتصام خلف السور الذي منع عنهم عادات الزمان ، لان الله قد رماهم بقوم أهل شجاعة واقدام وصبر ، لا يملون ولا يضجرون . لذلك ازداد اضطرابهم وكثرت هواجسهم ، ولا سيما حينما اوشكت المجاعة تتهددهم فتوردهم كؤوس الردى والهلاك . فأحس القرىان بما يخامر أهل المدينة من قلق واضطراب ، كما رأى له شبح المجاعة ، فهاله الموقف وافزع المصير . لذلك بات رهن افسكاره المتبللة المضطربة ، واخيلته المفزعة المروعة تنفذوه فكرتان متضادتان ، اما تسليم المدينة للمسلمين في سبيل انقاذ اهلها من كارثة الجوع ، أو الاستمرار والتمادي في الاعتصام خلف السور ليحمي الكنيسة ويحافظ على المسيحية من ان يتقلص ظلها أو يضمف سلطانها وتنحط منزلتها . لذلك استدعى عامر وبسط له ما يحسه ويشعر به وذلك

(١) هو الموقع الذي يعرف اليوم « بالاربعين » ويقع ظاهر تكريت وقد بنى فيه قبر كبير لا يزال يزار حتى الآن وكان يحيط بقبة الضريح مسجد واسم .

بعد أخذ آراء جميع الزعماء والقادة الذين أشاروا عليه بالبقاء على ما هم عليه الآن ، لكنه لم ير في آرائهم ما يريح ضميره ويرضي وجدانه لانه كان يفضل اسعاد الناس واراحتهم وجلب الطمأنينة الى نفوسهم ، على كل شيء آخر . لانه كان يفهم من الدين معناه الحقيقي ومسامه الذي يصيب صميم الواقع . وقد ختم كلامه مع عامر بهذا القول : -

والله اني ليعز علي أن اطوح بأرواح أهل المدينة الى مهاوى الهلاك والدمار ولذلك فقد خولتكم حرية التصرف بالامور التي تنقذ القوم من كل خطر يتهددهم أو قلق يساورهم بأية طريقة من الطرق .

ثم تركه ينصرف واعتكف في غرف الكنيسة ينتظر الفرج والخلص مما هم فيه من سوء الحالة . أما عامر فقد غرق في بحر من الافكار والهواجس تتقاذفه امواجها وتياراتها وهو مستسلم لذلك التيار الجارف ، فقد كانت تتضارب الآراء في رأسه أو تتفق . فنها ما يجذله الاستسلام والتطوع في صفوف المسلمين وذلك عندما استنار فكره بضياء الحق الساطع ، ويستعرض كلمات المفريان المتقوشة على آخر صفحة من صحائف ذاكرته . ومنها ما تردعه وتصدده عما صمم عليه عندما تتيقظ النصره الجاهلية في نفسه الحريصة على السكرامة والسمعة كي لا يقال خائن فذل أو جبان ذليل .

فرجع الى قصره وهو مثقل بهذه الافكار ولم يكده يستقر في غرفته ليستجم ويرتاح بعد ان نشر الليل اردبته على المدينة ، حتى دخل عليه جرير وقال : -

وجهاء تغلب وبعض وجهاء المدينة بانتظارك يا سيدي .

فنهض عامر من لحظته ونزل اليهم ثم حياهم ودعا بالبسط والطنافس
ففرشت في الحديقة ولما جلسوا قال عامر :-
لا بد لجيتكم بمثل هذا الوقت من حدث جلل أو سبب مهم .
فقال ابن الحجير الايادي :-

أجل ايها الامير فانتا قد قصدناك من دون سائر الامراء والقادة لأنك
من أهل العلم والمعرفة والدين ممن نالوا شرف الكنيسة وانعامها جزاء لما
قدمته من اعمال جليلة للدين وللمدينة . ولا تصافك بالخلق الحسن وتحليك
بالسجيا الممتازة ، وشعورك بحالة الفقراء والضعفاء ، ثم تفقدك المساكين
واليتمى والارامل ، وحدبك على أبناء البلد دون ان تميز بعضهم عن
بعض ، وتغفلك في صميم المجتمع تمكنت من ان تعرف أن أهل المدينة
قوم متوسطو الحال لا هم بالاثرياء ولا بالمعدمين . وقد دعاهم موقع المدينة
الى ان يحترف اكثرهم التجارة بطريق المقايضة .

أما الآن والمسلمون على ابواب السور فقد عزلونا عن العالم الخارجي
الذي نحن بأمس الحاجة الى ما فيه من الحاجيات الضرورية ولا سيما المواد
الغذائية واليوم وقد فقد ما في بيوت الناس من هذه المؤن والمواد او
أوشك على النفاد . فان استمر الحصار مضيق الخناق علينا فلا شك اننا
سنعرض الى الجوع الذي سيودي بحياتنا الى الموت قبل أن تتخطفنا
سيوف المسلمين . وقد أتيناك نلتمس منك الرأي السديد والخطة الحسنة
التي تنجينا من سوء العاقبة ورداءة المصير . فقاطعه عامر وقال موجها
كلامه الى المجتمع :-

الرأي يا قوم بدون طاعة كما تعملون تكلف صاحبها تمنا باهضا وضحايا
كثيرة فالرعية لا تنجو من المآزق والكوارث التي تحيط بها أو تحل بين

ظهرانيتها ما لم يكن لها زعيم حكيم مدبر خبير يقودها الى مسرج الأمن
والطمأنينة والسعادة وقد لا يتسنى للزعيم انقاذهم أو الاقدام على الاتقاذ
ما لم يبرهنوا له على الطاعة والتضحية بالغالي والرخيص . فان اردتم
رأيي . فاني اطلب طاعتكم التي لا تكلفكم تضحية تذكر ازاء ما تكسبونه
من السعادة والرفاه .

فصاح كل من « عتبة بن الوعل » و « ذو القرط » و « أبو وداعة
بن ابي كرب » و « ابن ذي السنينه » وقالوا : -

منك الرأي وعلينا الطاعة . فمتجدنا أطوع اليك من بنائك ، واتبع
لك من ظلك . لذلك اطمأن عامر الى قولهم حينما عرف مدى صحته وعلم
صدقه واستوى في مقعده وبدأ يقص عليهم رؤياه التي قصها على « سلمى »
ثم صرح بما يخافه من المواجه والافكار التي انتابته بعدها ، وبين
لهم مدى تأثير كلام رئيس الوفد الاسلامي في نفسه . وكيف سحر به ،
وتلف الى الاستماع له . وعرفهم بما كان يحس به أثناء مشاهدة القوم عند
قيامهم الى الصلاة بعد أن يخلبه صوت المؤذن ، وتجذبه قدسية الموقف
حين انتظام القوم في تلك الصفوف المنتظمة المتجهة الى اتجاه واحد .
يؤدون مهمة واحدة تجمع بين القلوب ، وتوحد العمل وتمازج الارواح .
ثم بين لهم كيف كانت تلك الاوضاع الحافز الرئيسي والميقظ الحقيقي من
سبات الذل والاستعباد . وبعد أن سكث فترة قصيرة تنهد وقال : -

والآن فقد حان وقت النار لحريقنا المسلوبة ، واستقلالنا المنتصب
وكرامتنا المهانة بعد النخيل من ربة استعباد الروم الذين قيدونا
واهانونا فتمتعوا بخيراتنا باسم حماية الدين والدفاع عن الكنيسة . لان

الفرصة قد منحت لنا بالاتفاق مع الجيوش الاسلامية المرابطة خلف
السور فالسلاح لها بالدخول لتتخلص من هذه القيود بعد الاتحاد معهم
والامتزاج بهم .

فقال ابو وداعة : -

وكيف تقدر على تنفيذ خطتنا هذه ؟

- بالتفاهم بعد المفاوضة يا أخي .

- وكيف يتم التفاهم والسور يفصلنا عنهم ؟

- اذا أراد المرء ان يعمل فلا يموقه عائق مهما كان نوعه أو مقداره .

وخصوصاً اذا ساندته القوة وآزره اصحابه وساعده .

فردوا عليه وقالوا : -

نحن على اتم الاستعداد لمساعدتك ومؤازرتك .

فقال عامر : -

اذا كنتم كذلك فعليّ بـ « عتبة بن الوعل » . فقال عتبة : -

ها اُنْذا أيها الامير .

فقال عامر : -

انك ستكون رسولي الى قائد المسلمين ، والرسول مستودع اسرار

المرسل وموضع ثقته ، فأرجو أن تكون عند حسن ظني بك كما وارجو

أن تستعمل مواهبك وتبرز كفاهتك وبلاغتك وتستغلها ، لاني لم اخترك

لهذه المهمة إلا لما اعهده فيك من الجرأة والشجاعة والخطابة والبلاغة .

اذهب اليه واخبره بأننا على استعداد لتلبية جميع مطالبه ، مقابل تعاونهم

معنا بعد فتح ابواب السور لهم باخراج الروم من مدينتنا .

فقام عتبة من لحظته وخرج من القصر ثم اجتاز المدينة ، بعد ان

تسلل من الباب السكائن في الجنوب الغربي من السور ، وكما اعترضه أحد من جنود المسلمين قال : - اني رسول عرب تكريت الى القائد .

حتى وصل الى خيمة « عبد الله بن المغمم » فدخلها ولما سلم عليه ، اخبره بما قال الامير عامر وجماعته . وزاد على ذلك وقال : -

ولا تظن ايها القائد بأننا خوثة . اردنا زعامة أو جاهاً ، أو خفنا من كارثة أو مصيبة فضحينا بكرامتنا التي هي أعز ما ندره أو نملكه . فانتا نعرف معنى الحياة التي هي عبارة عن التعاون والتآزر مع العدو الاجنبي لاذلال ابناء الوطن واستعباد اخوان الجنس والدين ، بعد تجريدهم اموالهم ، وسلبهم خيراتهم وغلاتهم وحرقتهم ، ولكن عملنا هذا ماهو إلا تعاون وتكاتف مع اخواننا وابناء عمومنا لدرء خطر الروم عنا .
قال القائد : -

بارك الله فيك وبزعيمك وبقيمتك ، ولكننا لا نرضى منك ذلك فقط ما لم تشهدوا برسالة محمد وتقرؤا بوحداية الله الذي ارسله بالحق . - ارجع الى قومي فاعرض عليهم طلبك ثم أوافيك بالخبر .

وقبل ان يتفرق القوم ويخرجوا من قصر عامر ، دخل عليهم « عتبة بن الوعل » فأخبرهم بطلب عبد الله بن المغمم . وذلك ان يقول كل واحد منكم « اشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان محمد رسول الله » فنزل الخبر عليهم نزول الماء البارد في جوف الظامى الصادي .
فقال له ذو القرط : -

ما اسهل الطلب راغذب اللفظ الذي يمازج الشعور ، ويخالط الاحساس فيجمع الكلمة ويلم الشمول ، ويوحد الصفوف . فيكون التكاتف ويكون التعاون لان هذه الالفاظ هي قواة اجتماع القوم .

فقاطعه عامر وقال : -

القوم بانتظار الجواب والرأي الذي يجمعون عليه . فأرجو ان تبينوه
وتوضحوه قبل ان تغتال الفرصة من ايدينا .

فما كاد ينتهي عند هذا الحد حتى سمع القوم يقولون بصوت واحد
« نشهد ان لا إله إلا الله ونشهد ان محمداً رسول الله » ولما تأكد عامر
من شهادتهم ، أعلن هو الآخر شهادته امامهم وقال لعتبة : -

اذهب الآن الى قائد المسلمين واخبره بأننا قبلنا الشرط واقربنا به .
ثم التفت الى المجتَمعين وقال لهم : -

أرجو ان تنفروا وتذهبوا الى الجنود المرابطين فتدعوهم الى مادامكم
اليه عبد الله بن المعتم ، لتكثروا أنصارنا ومؤازرينا ، وانا ابلغكم بالخطة
التي تقبعلها في هذه الليلة عندما يوافيني عتبة برأي قائد المسلمين .

تفرق القوم وتغلغلوا بين الناس . ولما اعلنوا فكرتهم وصرخوا باسلامهم
تهافتوا عليهم معلنين اسلامهم ، متصوين آراءهم . اما عتبة فقد ذهب
الى المسلمين ، فأعلمهم باسلام عرب المدينة بجملة ترأسها رئيس تغلب
« عامر » الذي قام بهذه المهمة ، وابدى هذا الرأي واردف قائلاً :

والآن تركتهم يتلهفون الى رجوعي لأوافيهم بالاخبار من عندك ،
فابلغهم الرأي الذي تبديه في سبيل الخلاص بعد الفتح . وهم على أم
استعداد لتنفيذ جميع ما تطلب وتريد .

فقال عبد الله : -

ارجع اليهم وخبرهم : - اذا سمعوا تكبيرنا ثلاثاً فعليهم والحالة هذه
ان يأخذوا بأبواب السور التي تلي دجلة فيفتحوها ، ويكثروا ثلاثاً ثم

يقتلوا من قدروا على قتله ممن يستفزّه التكبير ، فيخف الى الحرب والقتال
ليتمنى لنا تطويقهم والقضاء عليهم .

ولم يلبث عتبة ان ترك جيش المسلمين ورجع الى المدينة ، فدخلها من
الباب الصغير الذي يلي الجبل من الجهة الجنوبية . ثم دخل القصر على عامر
فوجد مجلسه خلواً من المجتمعين . ولما سأله عامر عما أسفرت عنه محادثاته ،
شرح له كل ما سمعه من عبدالله . فقام عامر وسار بعد ان ركب جواده
وأمر عتبة باتباعه متجهاً نحو العرب المرابطين على السور ، وكلما خلا بجماعة
بلغهم الخبر ، واوصاهم بكتمان السر وأمرهم بالتلبية والتيقظ حتى جاء على
آخرهم ، وحينذاك التقى بسطيح فوجده يشجع جماعة أباد والروم
والشهاجرة على أخذ الحيلة والحذر . ثم الاستعداد للاصطدام والنضال ،
وبعد ان تبادلوا التعحيات وتصاصوا انفرجت اسارير سطيح ثم افتر نفره
عن ابداسامة كانها اشراق الامل لأنه قد اهدى الى شيء ثمين كان يبحث
عنه من زمن بعيد ثم اردف قائلاً : -

مراقبة جميع وحدات الجيش منوطة بك يا عزيزي عامر . ريثما ارجع
اليك ، فاني ذاهب الآن لمنع وحدات جيش الروم من العبور الى الضفة
الثانية من دجلة ، وسأرجع اليك قبل ان يتباج الفجر .
اما عامر فقد رآها فرصة مناسبة لتنفيذ خطته . فقال : - تصحبك
السلامة يا عزيزي .

ولم يكد سطيح يبتعد عنه حتى ذهب الى حراس الابواب فنهاهم
عن الحراسة ، ووكل بحراستها من جمعهم بجيوش عبد الله بن المعتم
« الشهادة » . بعد ان اوصاهم بفتح الابواب عندما يسمعون تكبير
المسلمين .

وقبل ان تبدد طلأع الفجر دياجير الليل القاتم الذي كان يكتنف المدينة ، بددت سكونه صيحة موحدة ردها خمسة آلاف رجل باعلى أصواتهم ، رددتها عليهم الوديان والجبال وجدران السور ، فكانت تهز الجبال ، وترعب النفوس وهي « الله اكبر الله اكبر الله اكبر » ، خف بعدها جنود المدينة بخوف ووجل الى ابواب السور ، وقبل أن يصلوها سمعوا صيحة « الله اكبر » مرعدة ثلاث مرات في الجهة الجنوبية الشرقية ، فالتفتهم الحيرة ، وادركهم الاضطراب ، وحاروا في أمرهم ، وبدأوا يركضون الى الشمال والجنوب دون وعي أو ادراك ، لكن سيوف جيش عبدالله بن المغمم قد أمعن فيهم الضرب من الامام ، وبادرهم عرب المدينة المسلمون من وراء ، فخاروا في أمرهم ثانية ، والقوا بأنفسهم في الخندق الذي يبعد عن السور بمسافة مائة ذراع داخل المدينة ، وكانوا قد احتفروا لهذا الغرض .

فكان نصيب الذين أصروا على عدم تبديل فكرتهم ، وتغيير عقيدتهم الهلاك التام ، أما من استسلم أو أعلن اسلامه فقد سلم من الهلاك ، شأنه بذلك شأن من جبن وخاف القتال ففر قبل ان يصطدم ، أو عندما أيقن هلاكه ولاذ بحصانة القلعة (١) تحت قيادة « سطيج » وبعض قادة الروم .

(١) تلك القلعة التي منحها موقعها الحصين الى اعتصام أهل تكريت فيها وقت الشدائد والاهوال والغزوات وقد وقفت في وجه هولاء بعد غزو بعدد ثلاثة أيام .

واعتمى بها حسن باشا وقاوم تيمورلنك به ٧٢ ألف مقاتل مدة شهر ، لكنه استباحها وقتل من أهلها ما لا حصر له ولا عد .

وبينما كانت المعركة في شدتها ، كان شاب من المسلمين قد تماهد مع
جماعته على الموت حينما كان يحمل الراية ، وقد ضايقتهم جماعة سطوح في
الجهة الشمالية من الباب الغربي ، وقد أبى أن يجعل الراية تهوي الى الارض
بالرغم من تقطيع يديه ، واكنها وقعت على الارض حينما وقع بجانبها
يلفظ أنفاسه الاخيرة ، فكان آخر قتيل بعد قتل جماعته الذين تماهدوا
فيما بينهم على الثبات لاحتراز النصر ، أو نوال الشهادة ، فأسرع عبد الله
بن المغم إلى بعد ما رأى الراية تهوي ، فحمل على الشوارع والروم وبعض
العرب حملة عظيمة ، تمكن من تفريق صفوفهم وتشتيت شملهم ، فوقف
أمام جثة الشاب وقال :-

تغمذك الله برحمته أيها الولي الثابت (١) .

وما كادت الشمس تشرق وتطل بأشعتها على المدينة حتى هدأت كل
حركة يراد بها القتال أو الاستمرار في المقاومة كما امتنع الناس من التجوال
والخروج الى مزاولة أعمالهم ، امكنهم اكتفوا بالاعتكاف في بيوتهم ،
والانطواء على انفسهم لما ساورهم من الخوف والفرع .

لكن الشعور بالخوف قد تبدل وتبدد حينما طاف عليهم القادة
والامراء الذين اسلموا فاستسلموا فافهموهم حقيقة الامر واعلموهم بالواقع
عند ما صار حومهم باسلامهم واسلام جندهم وتابعيهم ، لا كرهاً واجباراً ،
بل رغبة وقلهاً وشوقاً ، اما الذين تمردوا على طاعة الفاتحين فقد أصابهم
الهلاك والحصار في القلعة فذهبوا ضحية عنادهم .

(١) فدون هو وجاته في الحل الذي تنووا فيه ، وهو الحل الذي يدمي الآن

في « أولياء الثبوت » بمعاذة الحور .

ولما تم كل شيء بعد دخول المسلمين المدينة وخروج أهلها من دورهم
للمزاولة أعمالهم ، آن لعامر ان يرجع الى قصره ليأخذ بمض الراحة ،
وثناء ما كان متجهاً الى القصر قال الجريز :-

اسرع الى بيت سلمى وقل لها عامر بانتظارك الآن .

وما كاد عامر يستقر في جلسته حتى دخل عليه جريز في زي والده وقال
باضطراب وقلق :-

عند ذهابي الى دار سلمى ، طرقت الباب عدة مرات ، فلم اسمع صدى
القرع أو النداء لذلك دخلت الدار ، وقبل ان اتغلغل فيها رأيت جمعة
والد سلمى ملقاة في صحن الدار مضرجة بالدماء ، لا أثر للحياة فيها ،
فها لي الموقف كما أحزني ، ثم تركت الجمعة على حالتها وجست الدار افتش
عن سلمى ، فلم أجدها أثراً أو أرى لها ظلاً في ذلك البيت كله ، لذلك
رجعت اليك بعد ان ضاع من يدي زمام قيادي لنفسي ، وانطفأ في
رأسي مصباح تفكيري .

قال ذلك وسكت ينتظر الجواب ، اسكن عامر قد نهض وسار مسرعاً
دون ان يتكلم بكلمة عدا قوله الجريز : أتبعني يا جريز .

وما ان فترت مرعته أو توقف من مسيره حتى صار أمام الجمعة الملقاة
في صحن دار سلمى ، ثم جنى بجانب الجمعة ، وبدأ يحركها ويقلبها باحثاً
عن معالم الحياة فيها ، فلم يجد ما كان يتوقع ويرتجي ، لأن الضربة التي
قد شقت طريقها في صدره الى قلبه قد استنزفت آخر ما بعروقه من الدم
بعد ان مزقت عضلات قلبه وخرقت اغشيته ، ولم يستطع « عامر » من
ان يحبس الدمعتين المترقتين الجائلتين في عينيه ، بل تمردتا عليه وانهلتا
على وجنتيه فحماهما يندبيله اسكنه لم يستطع عن محو اثرهما في عينيه وقصه

ثم وقف برهة يسرح بصره ، ويستعرض صفحات ذاكرته رغم ذهوله
وشروده ، وجأه اندفع الى الباب كأنه السهم المنطلق من القوس وقال
لجبرير عبارته المعهودة « اتبعني يا جبرير » الى دير « مربحنا » لأنني
تذكرت قول مارين قبل سفر سطيج الى انزويجان فلا بد وان تكون
له يد في القضية .

ولما دخلا الدير استقبلهما ثلاثة من رجاله ، فرحبوا بهما ، كما عجبوا
من زيارة عامر لديرهم ، وقبل ان تذهب بهم الظنوف المذاهب الشتى ،
فبقوا في مفاز الشك والريب ، فاجأهم عامر بالكلام وقال :
أريد مقابلة الراهب « مارين » .

فرد عليه أحدهم :-

انه غير موجود هنا الآن .

- فابن هو إذن ؟

- خرج عند منتصف الليل في مهمة نجملها ، ولم يعد بعد .

فلم يتألم عامر نفسه فقال :-

لقد تحقق ظني كما بان صورة حدسي ونحمني واضحة جلية ، لأن
اللعين « مارين » قد بر بوعده لسطيج ، فاخطفها له ، بعد ان ارتكب
هو ومؤازريه من اتباع سطيج تلك الجريمة النكراء ، التي لا تليق بأهل
الورع والتقوى ، وممثلي العدالة على الارض .

ثم خرج من الدير كأنه الماء المنطلق من انبوب ضيق وجبرير يتبعه
وسار حتى وصل الى قصره ، فرأى ثلاثة من فرسان المسلمين بانتظاره
وقبل ان يدخل قال له أحدهم :-

قائدنا « عبد الله بن المني » مع المفرياف في « كنيسة الخضر »

برغبان في مقابلتك هناك في أمر ذي أهمية ، وقبل ان يرد عليهم بكلمة
أمر جرير باخضار جواده ، ولما احضره له ، ركب به وسار يتبعه جرير
وبعض من حضر من ثغاب حتى وصل الكنيسة ، فوجد كبار رجال
المسلمين مجتمعين مع رجال الكنيسة ، وعند ما سلم عليهم ، وتصافح مع
القائد اثر التعارف ، جلس بالقرب منه وأطرق برأسه ، ثم استسلم له واجسه
وأخيلته ، وقد انسته همومه انه في مجتمع زاخر بكبار المسيحيين والمسلمين
ولم يخف عليهم اطرافه وحزنه المكبوت ، لذلك حمد المقران «ماروثا» الى قطع
سلسلة افسكاره المزعجة ، واخفاء صور البؤس والألم التي بدأ يستعرضها في
ذاكرته أو تخيلته ، وقال بوجه كلامه اليه :-

أرجو أن تكون حارس الكنيسة يا عامر بعد اسلامك كما كنت
حاميا وفارسها قبل ذلك ، لأنها ومن فيها والتابعين لها في حمايتكم جميعا
وتحت ظلكم أيها الاخوان ، قال ذلك والتفت الى عبد الله وجماعته .
فرد عليه عبد الله وقال :-

الاخلاق الحسنة ، والسيرة المحمودة ، والسجايا الممتازة هي التي ستتولى
حراسة من يتصف بها ويلتزمها ، وبارغم من ذلك كله فاننا سنكون خير
سلاح لكم ، تشهرونه في وجه الظالم المعتدي ، وستنالون في حمايتنا أيها
الاخوان كل ما يرضيكم ويسركم ، أما اخواننا الذين أسلموا فسيكونون
مناصرينا ومؤازرينا عند دفع الاخطار عنكم ورفع الاضرار منكم ، فاتم
في ذمتنا ما بقيتم وبقى الدهر على ان تؤدوا الجزية لنا ، فيما اذا بقيتم على
دينكم .

فقال للمقران :-

الضريبة التي يفرضها السلطان واجبة الدفع من قبلنا ، وهي من صميم

ديننا وقد أمرنا يسوع ^(١) بها قبل ان تأمرونا انتم ، ولم تأتوا بغريب
 فقد كان نصارى المشرق يؤدون الجزية للساسانيين ^(٢) ، ولسكننا بحاجة
 الى ان تنورونا ببعض المعلومات التي تكشف لنا عن كيفية جباية هذه
 الجزية .

- لا شك انها ستجيب بواسطة العامل الذي يتولى ولاية المدينة
 وادارتها ، وسيأخذها بحسب التعاليم التي زودنا بها خليفة « محمد » (ص)
 « عمر بن الخطاب » .

- وكيف ذلك يا أخي ؟

- نأخذ من الرجل الذي ينتمي الى طبقة الاشراف والامراء « الطبقة
 العليا » ثمانية وأربعين درهماً أي أربعة دنانير ، ومن الرجل الذي من
 الاغنياء فيبن أربعة وعشرين وثمانية وعشرين درهماً أي دينارين فقط ،
 أما الرجل الذي هو من عامة الناس فنأخذ منه اثنتي عشر الى
 ثلاثة عشر درهماً أي ديناراً واحداً ^(٣) . تدفع هذه الجزية نقداً أو
 ملابساً أو غلة ، ونعيب من يمتنع عن دفعها الحبس . ونأخذها من الرجال
 البالغين الذين لم يؤمنوا بديننا سواء كانوا من الوثنيين أو من معتنقي
 الاديان السماوية ، ويعفى منها النساء والاطفال والشيوخ والمقعدين
 وذوي العاهات .

(١) ذكر مضمونها في :- انجيل مرقس ١٢-١٣ ، انجيل متى ١٧-٢٣ ،
 رسالة بطرس الأول ٤-١٣ ، رسالة قولسايس ٤-٥ .

(٢) نصارى المراق ص ٥٥-٥٦ .

(٣) فجر الاسلام ص ٨٦-٨٧ ، نزعة المشتاق ص ١٠٢ .

نصارى المراق ص ٥٥ ، فتوح البلدان ص ٦٨ .

فرد عليه المفريان وقال :-

إذن فنحن على اتفاق في ذلك .

- اكني أرجو من غبطةكم ان تأمروا باجتماع أهل المدينة غداً
لنأخذ منهم الجزية على ضوء معلوماتكم ومعرفتكم وإطلاعكم على حالتهم
الاقتصادية ، فالى الغد واستودعكم الله .

قال ذلك وخرج مع حاشيته ، بعد ان تصافح مع المفريان وعامر ، وقد
نخلف طامر وبقي في الكنيسة بإشارة من المفريان .

ولما انفردا ببعضهما قال المفريان :-

أراك قد تبدلت وتغيرت عما عهدتك به سابقاً ، لما يلوح عليك من
علام البؤس ودلائل الانشغال والتفكير من جراء اطرافك وشرودك
وتقطب وجهك وقلة مناقشتك وكلامك .

- لأنني يا مولاي قد فقدت حبيبتى « سلمى »

- وكيف فقدتها يا عامر ؟ قال ذلك بعد ان بدت عليه علائم الدهشة
والعجب .

فرد عليه عامر وقال :-

اختطفها الزاهب مارين لسطيح بمساعدة بعض رجاله بعد ان ارتكبوا
جريمة قتل والدها ، اثناء الدفاع عن عرضه للحيلولة دون اختطافها .

- ومن اعلمك بذلك وادراك يا عامر ؟

وبموجب هذا السؤال تسنى لعامر ان يبين للمفريان جميع ما سمعه من
الزاهب مارين اثناء اجتماعهم في الكنيسة للافاد « سطيح » الى
اذرييجان ، ثم اعلمه بما بيته له سطيح من الكيد ، للايقاع به في
سجنستان وما عمله في بيت « سلمى » اثناء غيابه ، ثم أوضح له كل ما

كان مخفياً عليه من أعمال الراهب مارين وسطيح ، فتنبه المفريان ، وكأنه قد استفاد من سبات عميق وقال :-

إذن فالنام بطربك انطاكية علينا وعلى سطيح ما هو الا من مكائد مارين ودهائه ، قال ذلك حينما استعرض جميع المواقف والحركات التي وقفها وتحرك بها الراهب منها في امر اخبار رؤساء كنائس اليمامة بما فتح الله عليهم وما قاموا به من اعمال ، فاقن بخيانة مارين لواجبه ودينه : فوازرة سطيح ومساعدته وجرفه الى الانيان بهذه الاعمال المزرية التي لا يقبلها العقل أو يستسيغها الذوق ويقربها الدين الذي هو براء مما يعملون .

ثم انجى الى عامر وقال :-

يعز علي يا ولدي فراقك وبعدك عن كنيسةنا التي كنت دعامة عزها ومجدها .

- اني على العهد القديم مقيم . محافظ على صداقتكم ومودتكم ، دون ان أبتعد عن مجتمعتكم . لان الاديان ما هي إلا مسالك تسلك للوصول الى مثوى السعادة الحقة ، والرفاه الدائم . فأصلحها أقصرها وآمنها .

لذلك فكلما ساءرون الى غاية واحدة لتحقيق هدف مشترك واحد ، هو لاسعاد البشرية بإيجاد مجتمع كامل يتألف من ذوي النفوس الطاهرة والقلوب النقية ، والاعمال الصالحة . بالرغم من اختلاف السبل ، وتعدد المسالك التي هي من اختيار المرء وانتخابه .

أما المفريان فقد أصابه ذهول وشروء ، عندما كان عامر يتكلم . لذلك أحب أن ينفرد بنفسه ليتسلى بأفكاره . فقال لعامر :-

لنا اجتماع آخر يا ولدي ، وقبل أن تنصرف أرجو أن تباع أهل المدينة
بالاجتماع غداً في الساحة الغربية ، لأخذ الجزية منهم . فكلامك بذلك رهم
همك وحزنك ، لأننا قد فقدنا كل مؤازرينا ومساعدينا ، ولم يبق لنا
غيرك نثق به ونعتمد عليه .

جلس عامر في غرفته ثم أمر جرير باحضار « زوبعة » . ثم غاب عنه
بعض الوقت ، ورجع اليه وقال : -

ليس لها وجود في القصر كله . ولما سألت البواب عنها قال انها
خرجت عند منتصف الليل وهي تدعي انها ذاهبة الى الدير لتص رؤياها
اللفزة المعلقة على الراهب مارين . لأنها كانت تخاف من عاقبتها ، وتوقع
شرآ بعدها ولا سيما والفزة على أبواب السور ، ولم تعد بعد .

فتبادر الى عامر قول سلمى ، فردده بصوت مسموع وقال : -

« حقاً انها جارية خفيفة الروح والظل ، لكنها هدية سطيع ، لذلك
فاني لا اركن اليها ولا ارتاح منها » . لقد صدقها ظننا ، ولم يخنها حدسها
وتخمينها . لأن سطيع لم يهدا لنا حباً فميناً ، أو تقدير الجهدنا بل لكي
نحمد له الطرق وتدل العقبات في سبيل نوال غايته ، أو الوصول الى
مخالته .

واستمر كذلك يستعرض صور الماضي التي ارتسمت في ذاكرته ، ولما
انتهى منها التفت الى نفسه يناقشها ويذاكرها ، وقد انتزعت فرصة اقتراده ،
ليقدح زناد فكره ، ويمتصر خلاصة ذهنه ، يلتبس الطرق ويبحث عن
المساك التي توصله الى سلمى . فينقذها من محنتها أو يلتشلها من بين
صائديها ومقتنصيها ، ليمتدق سعادة الحياة بقربها . فلم ير غير الاصراع

فتح القلعة طريقاً يسلكه ، لخلاصها واتقاذها .

ولم تتبلور هذه الفكرة في غيخته وفكرته إلا بعد أن يأس من وجودها حينما اخبره رجاله بتفتيش المدينة بيتاً بيتاً ، فلم يثروا عليها .

وبات ليلته يعال نفسه بذلك البصيص الخافت من الامل الذي تسلل اليه من بين حجب الهم والحزن التي اكتنفته وحجبته عن نور الفرح والابتهاج الذي أضاء قلوب أهل المدينة ونوّر نفوسهم .

وفي صباح اليوم التالي اجتمع برجال الكنيسة وكبار رجال الجيش الاسلامي وبعض وجهاء المدينة في « الكنيسة الخضراء » باوقت الذي كانت الساحة الغربية تُموج بالمحتشدين من أهل المدينة وتزخر بهم . فما كان من الوجهاء إلا وقدموا الى المقرين قوائم بأسماء الرجال الذين تخلفوا عن الاسلام فوجبت عليهم الجزية . فصنفها المقرين بدوره الى ثلاثة أصناف حسب حالتهم المالية ومصراتهم الاجتماعية ، حينما أعلمهم بحقيقة الامر . وقد زادهم عبد الله بن المعتم ايضاحاً حينما كشف لهم عن الاهداف والغايات التي دفعتهم الى الفتح . ثم بين لهم عن غاية اجتماعهم .

وهكذا تفرق المحتشدون الى مزاراة أعمالهم عندما فهم كل واحد منهم مقدار ما يدفعه من الجزية اذا بقي محافظاً على دينه وعقيدته . وقد راق لهم عدالة التوزيع وحسن المعاملة .

أما من أسلم فلم ينله إلا ما يسره ويفرحه ويرضيه .

وقبل أن يهجم المجتمعون بمغادرة الكنيسة ، عرض عامر عليهم أمر
افتتاح القلعة وقال : -

أرجو أن تفكروا في فتح القلعة قبل أي شيء ، لأننا لا نود أن
نبي للروم أثراً في مدينتنا ، ولا نرغب أن تكون هذه القلعة قذراً في
عيوننا أو عقبة في طريقنا ، ولا سيما حينما اعتصم بها مخالفو الدين واعداء
المدينة .

وان نحن اهتمنا أمرها الآن ، فربما تكون العاقبة وخيمة عندما تأتيهم
الامدادات ، وتلتحق بهم النجذات .
فرد عليه عبد الله وقال : -

وكيف تقدم على فتحها وهي بهذه الحصانة ؟
- ان من يحفزكم الى فتحها هو الذي سيمضن لكم النصر بأقل كلفة
وأبسط تضحية . كما ضمن لكم الدخول قبل هذا .

نحن لا ننكر شجاعته ومقدرته ولا نجحد حسن صنيعه ، وعظم
نضحيته . فلك المكانة الممتازة والحق المحفوظ ، جزاء لجهادك وتفانيك
في سبيل الدين . ولكننا بحاجة الى الايضاحات التي بواسطتها ندلل
الصواب ونفتح الحصن الحصين .

- لما كنت صاحب الدار ، وصاحب الدار أدري بالذي فيها . فلذلك
استعجلتكم في أمر اقتحام الحصن الذي تهيبونه وتخافونه . لأنني قد

أهدت اليلة الى خطة ممتازة ، توصلنا الى فتح الحصن ، دون تضحية كبيرة أو عناء جم .

- وكيف ذلك ايها الأمير ؟

- ان هذه اليلة ستكون خير فرصة لتنفيذ خطتنا لانشفال القوم في مهرجانهم الشعبي في البيعة بمناسبة « عيد الجسد » . فعند منتصف الليل أنسلل ببني ثعلب وبعض مسلمي المدينة من الباب السري^(١) الذي نجده مفتوحاً على مصراعيه ، لأن القوم يتلقون مؤنهم وطعامهم بواسطته حينما تثقل اليهم من الضفة المقابلة بالزوارق ، ثم نقتل الحرس وندخل القلعة بالوقت الذي تقتحمون فيه الجدول من الجهة الجنوبية الغربية فتصعدون المدرجات وانتم في أمن من رماة المجانيق والسهام . وعندما تسمعون صيحات الله اكبر الله اكبر تهجمون ثم ترددون ثلاثاً لنوقع الرعب والفرع في قلوبهم .

- انها فكرة حسنة فبواسطتها سنأخذ القوم على حين غرة . وبذلك أرجو أن نتفرق لنستعد للامر .

وما كاد الليل يسبل ستوره على المدينة حتى ظهرت مشاعل النار فوق القلعة . كما ارتفعت أغانيهم واهازيجهم التي يعبرون بها عن فرحهم واحتفالهم بعيدهم بالرغم من حالتهم التي تدعو الى القلق والاضطراب .

وبينما كان القوم منشغلون في مهرجانهم وأهل المدينة يتسمعون ضجيجهم ولغطهم تسلل رجل أيادي من الباب السري وتخلص من الحرس بحجة الاستحمام في دجلة . ولم يكده يصل الشاطئ حتى انحرف الى الجنوب وسار

(١) وهو الباب الذي يجاذي دجلة يصبه اليه بمدرجات ، وهو باق الى الآن .

في ذلك الممر الضيق الذي تغطيه المياه بالرغم من هبوط مستوى النهر .
وبعد أن عبر الجندول الذي يفصل القلعة عن المدينة وصل الى قصر عامر .
فدخل عليه بصحبة جرير الذي اوجس خيفة على سيده من ذلك الرجل .
وعندما مثل بين يديه أخرج رقاً مكتوباً من كفه فناوله الى عامر . ولما
قرأه وأتى على آخره تبين انه مرسل من وجهاء المعتصمين واعيانهم الذين
ترأسهم سعد بن سطيج^(١) الذي خط الرسالة بقلمه واستحث عامر الى تجديدهم
والتقدم اليهم فهم على تمام الاستعداد لمؤازرتهم ومساندتهم اذا ما اقتحموا
القلعة التي سيجدونها خالية من الحرس في هذه الليلة . وبشكو الشاب
المذكور من عناد والده واصراره على المقاومة حتى اللحظة الاخيرة من
حياته . وانه لا يرى في هذا العناد كل ما من شأنه انه يعود بالوبال
والخيبة عليهم .

فانبطت أسارير عامر وضحكت قسماته ثم دفع الكتاب الى جرير
وأمر الرجل بمصاحبته الى حيث يقبم عبد الله بن المغم . ولما وصلا اليه
ودفع جرير الكتاب اليه قرأه واستبشر منه خيراً وقال للابادي : -

ارجع الى من أرسلك واخبرهم بأننا الليلة سنقتحم القلعة ، فليهم اذا
ما سمعوا صيحاتنا (الله اكبر الله اكبر) أن يمتكنوا في بيوتهم وملاجئهم
ولا يخرجوا كي لا يقع عليهم المكروه .

ثم رجع الرجل واعلم القوم بما سمع من عامر وقائد المسلمين فأطمأنوا
وارتاحوا وظلوا ينتظرون .

وحينما هدأت الحركة في القلعة واطفأت مشاعلها هب المسلمون من

(١) وينسب اليه آل دهم وآل نوبختي في الوقت الحاضر .

مضاجعهم فتقدم عامر ومن والاه وناصره من أهل المدينة إلى الباب
السري فوجه حينما رآه خالياً من الحرس . ولما اعتلى القلعة بمن تبعه كما
هو شأن المسلمين في الجهة الجنوبية الغربية بقيادة عبد الله بن المغمم . وما هي
إلا لحظات حتى تمزقت حجب السكون وتبددت سحابة الهدوء بصيحة
(الله أكبر الله أكبر) التي قدقتها حناجر رجال عامر ورددها رجال عبد الله
من الجهة المقابلة بصورة مرعبة ايقظت أهل القلعة بمدد اب أفرغتهم
وحيرتهم في أمرهم . لكنهم حملوا سيوفهم وانجسوا إلى الشرق وقبل ان
يصطدموا برجال عامر أخذتهم السيوف من وراء وما كادوا يلتفتون
ويصطدمون مع من هاجهم من الخلف حتى تحطفتهم سيوف رجال عامر .
فتضايقوا وايقنوا بالهلاك حينما رأوا انفسهم وسط اعدائهم تتخطفهم
السيوف من كل جهة ومكان . ولا سيما حينما أغلقت عليهم دائرة الحصار
التي بدأت تضيق وتضجر . لكن عامر فتح لهم باب النجاة حينما ناداهم
بأعلى صوته وقال : -

يا حماة القلعة : لا تكونوا مكابرين في قتالكم ، فتطرحوا بحياتكم
وتلقوا بأنفسكم في مهاوي الهلاك والدمار . فإن كنتم تحرصون على حياتكم
وسلامة قلعكم واموالكم وعقيدتكم فاقبلوا بعد الاستسلام أحد الأمرين
الذين بهما سلامتكم وحریتكم : (الاسلام أو الجزية)

ولما علم المدافعون ان هناك مسلحاً للخلاص من الهلاك سلكوه ،
فألقوا بأسلحتهم بالاجماع واعلنوا استسلامهم ، ولم يبق منهم إلا سطح
الذي انفرد بقتاله وحربه وهو على حصانه الادم^(١) وبيده السيف الذي

(١) الحصان والسيف والطيلسان في هذا يا عامر إلى سطح .

اهذاه اليه عامر يلعبه في رقاب المسلمين وأجسامهم ، ليجمن فيهم قتلاً
وتجرباً ، وهو كالأسد الجريح الذي هب يدافع عن عرينه ونفسه دون أن
تفترحمته أو تضعف قوته ، أو يلتفت الى قومه الذين ضربت عليهم الذلة
والمسكنة فاستسلموا . وفي أثناء صولاته وجولاته التقى بعامر فحمل كل
منهما على الآخر حملة نكراء كي ينال من خصمه ما يبل غليله . لكن الحظ
قد خان مطيخ حينما كسر السيف بيده أثناء حملته على عامر لأنه قد
اصطدم بأحد الجدران الصخرية ، فانبعثت منه صيحة ألم وحزن وبأس
وقال : -

خاني القوم والاصحاب والولد وحتى أنت ايها السيف اللعين .

فقدف بما كان منه بيده في وجه عامر ولوى عنان جواده عنه فشق
طريقه بعد أن فرق الصفوف واتجه الى ناحية الشرق لأنه أبى أن يتدارك
الموقف ويستسلم الى المسلمين ليعيش عيش الذل والهوان ، شأنه شأن العبد
الأبق الذي ارجع الى خدمة سيده رغم انه . كما أبى ان يظل في ساحة
القتال يفتظر حتفه من القوم لتطأه اقدامهم عندما يخر في المعركة صريعاً .
وما أن قارب حافة الجبل المطل على نهر دجلة حتى وضع طيلسانه على
رأس حصانه ثم الهب صدر الجواد بالسياط فهوى به الحصان من فوق
الجبل ليخفي نفسه وهدايا عامر (الجواد والطيلسان) بين أمواج المياه
التي احتضنته بغبطة واكتنفته بفرح ، فأخفت جميع المعالم التي تدل على
وجوده وهو يلج بهذا القول : - ها انا جئت بك ابنا الموت محتماً بك من
الاهانة والذل بعد الاستسلام الذي افقدني حتى ولدي وصحبي ، ووداء
ايها الحياة ...

وبالوقت الذي اكتشفته مياه دجلة واخفت معالمه طوت يد الالام
صفحة حياته بعد ان حفظها التاريخ في سجله وكتب اسمه بقائمة الابطال
المخدوعين بأضاليل المستعمر فذهب ضحية اخلاصه لمضليله وخادعيه .

ولم تشرق شمس اليوم السادس عشر من شهر جماد حتى كان المسلمون
قد قضوا على آخر معقل من معاقل المدينة واستولوا على آخر حصن من
الحصون النسيعة ثم كسروا شوكة مقاومة اعدائهم فانصاعوا الى أوامرهم
ورضوا بأحكامهم ومطالبهم طوعاً أو كرهاً ، وذلك بعد أن دام الحصار
والحرب اربعين يوماً تراحفوا خلالها أربعة وعشرين زحفاً كان احتلال
القلعة آخر مرحلة من مراحل المقاومة والقتال (١) .

فتسنى لأمراء رجاله ان يفتشوا جميع دور القلعة وقصورها وأقبيتها
وسراديها عن « سلمى » فلم يعثروا عليها . ولما لم تجد لهم اسلحتهم شيئاً ،
إذ لم يتوصلوا الى من يعرف عنها أي شيء . لذلك رجع الى عامر حزنه
واساء واعتورته الكآبة وانتابته الريب ، وكاد اليأس يغلق في وجهه جميع
أبواب الامل ومنافذ الرجاء في أمر ايجاد حبيبته أو التوصل الى بعض
المعلومات التي تهديه الى محل وجودها ، وعبدٌ حاول عبد الله أن يقنع عامر
بالتزام ولاية المدينة وحاكميتها من قبلهم ، لأنه كان في غنى عن السلطة
والجاه والنفوذ . ثم رد على عبد الله وقال : -

اني قد كرست حياتي لخدمة الدين المسيحي قبل هذا ، فلا عجب ولا

(١) وعندما تم فتح تكريت انشد عبد الله هذين البيتين : -

ونحن قلنا يوم تكريت جهنا فله جم يوم ذاك تنابموا
ونحن أخذنا الحصن والحصن شاخ وليس لنا فيها هتكنا مشاييم
معجم البلدان ج ١

غربة من ان اكرس بعض جهودي في سبيل الدين الاسلامي ، الذي
 تأقت نفسي اليه وهفت جوانحي عليه ، لذلك فاني سأرافقكم في غزواتكم
 أحارب الظلم أين ما وجد وحيثما حل الرآن يقضي الله أمراً كان مفعولاً .
 فذكره عبد الله على هذه التضحية وذلك التفاني ، واسكنه لم يعرف
 من أمره وأمر سلمي شيئاً ، ثم دعا بـ « ربعي بن الافكل المعزى »
 وسيره على رأس جيش كبير تطوع فيه مسلمو « تغلب وايد والنمر »
 بالإضافة عما ضم من المسلمين وسار الى الحصنين بعد ان أوصاهم عبد الله
 وقال :-

اسبق الخيل وسر ما دون القيل واحيي الليل (١) .

وتولى رئاسة جيش المدينة كل من « عتبة بن الوعل ، وذو القرط »
 وابي وداعة ، وابن ذي السنينة ، وابن الحجير الايادي ، وبشر بن ابي
 حوط .

أما عامر فقد تولى الاشراف على اعمال هؤلاء القادة جميعاً ، فكان
 القائد العام لقوات المدينة ، ولما ساروا وقاربوا « الحصنين » (٢) سبقوا
 جماعة ابن الافكل ، فقدموا عتبة بن الوعل ، وقد أدعى بالظفر ثم تناوبوا
 القيادة خلف الابواب حتى أقبل سراع الخيل مع ربعي فآقتحموا
 الابواب ، وفتحوا الحصن ثم استجاب أهل الحصنين الى الصلح كما هرب
 قسم منهم ، فطاردهم المسلمون ووضعوا السيوف في رقابهم .

وبينا كان فرات بن حيان المجلي جاداً في مطاردة الهاربين وملاحقتهم

(١) الطبري ج ٢ ص ١٨٦ .

(٢) موضع حصين يقع بين تكريت والموصل .

عز على ثلاثة فرسان ورجل آخر يرتدي لباس الرهبان ، وهم يسوقون
فئتين ، سيدة وخادمة ، وقد انعب الطريق السيدة فانهمكها وهد حيلها ولم
يعد باستطاعتها الاستمرار على السير لعظم ما لاقته من المشاق ، لكن
الراهب لم يرق لحالها أو يرحم بها ، بل استمر على ضربها وسوقها ، ودأب
على صفعها بين الفترة والاخرى ، وهي تصبح وتستغيث ، ولما شمروا
بمقدم الفرسان تفرقوا وارادوا الحرب فلم يتسن لهم ، لان خيول
المسلمين أدركتها فقبضوا عليهم جميعاً وارجعهم الى « الحصنين » الى
حيث يقيم عبدالله وعامر ، دون ان يتعرضوا لهم بسوء أو يستفصروا منهم
ليطلعوا على حقيقة أسرم ، وقبل ان يدخلوهم ضجرت الفتاة وتأوهت
فقال :-

ليت عينيك ترى ذاتي ومهاتي وتسلمي على الابواب يا عامر .

فدخل « فرات بن حيان » على القائدين وبشر عبدالله بتشتيت شمل
الهاربين بالقضاء على بعضهم اثناء مطاردهم ، وانهم قد أسروا جماعة منهم
وهم الآن على الباب ، فرد عليه القائد وقال :-

وما هي الدواعي والأسباب التي جعلتكم ترغبون الاسرى الى مقابلتي ؟

- لأنهم ليسوا كلاسرى الذين نعهدهم ، وقد شكينا في اسرم .

- وما هو الشك والقرابة ؟

- انهم ثلاثة فرسان يتولون حراسة راهب وفئتين ، احدهما خادمة

سوداء والاخرى يظن انها سيدها ، لكن الراهب كان يذيق السيدة

ألوان العذاب وصنوف التعسف والجور والاضطهاد ، من جراء عدم

مقدرتها على السير ونحمل المشاق .

أما عامر فقد خفق قلبه بين ضلوعه ، ولولا قفص صدره لطار من بين

جنبيه الى حيث تقف الفتاة المذكورة ، ثم اعترته هزة عنيفة بعد ان
سرى بحسه تيار قوي لا يعرف ماهيته أو سببه ، فالتفت الى فرات
وقال :-

اسمح لهم بالدخول وعجل .

فضحك عبدالله والتفت الى عامر وقال :-

يظهر انك متلهف اليهم .

- أجل أيها القائد ، لأن قلبي يتحدثني اني قد اهديت الى ضالتي . . .

وما كاد يتم كلامه حتى دخل الامرئى ولم يكده يقم نظر عامر على الفتاة

حتى صاح من غير شعور وقال :-

سلمى . سلمى . سلمى . سليمانى . سليمانى .

فاخلفت سلمى من الصوت الذي ناقت كثيراً الى سماعه ، فرفعت

رأسها ونظرت فاذا بعامر ، عامر حبيب قلبها وأملها المشهود يتوسط الجمع

ثم ينهض اليها واللهفة تكاد تقتله ، فاسرعت هي اليه ، كأنها وجدت

المأوى الذي يقبها غائلة الحداث ، لكن قواها خارت فوقعت مغشياً

عليها قبل ان تحتويها ذراعي عامر ، أما هو فقد انحنى عليها بعد ان اصابه

من الدهول ما افقده التفكير والادراك ، لكنه لم يفقد الاتزان رغم

خور قوته وتأرجح قوامه ، لذلك انحنى اليها في موضعها ، وطرحها على

الفراش في أحد أركان المخدع الذي هم فيه ، ريثما تصحو وتستفيق ،

ثم يطلم على حقيقة هذا الموقف الذي جاء وليد المفاجأة والصدفة ، ثم

تدارك عامر أمره فاستفاق من غشيته وصحاح من ذهوله وشروده ، وقبل

ان تصحو الفتاة ، اعتذر عامر من عبدالله عما فرط منه وما بدر ، لانه

قد فقد السيطرة على أعصابه فقال :-

انها حبيبتي منذ الطفولة والصغر ، ولم يعقني عائق من اجل الاقتران
 بها والزواج منها غير الجهاد في سبيل الدين ، والنضال لاسعاد أهل المدينة
 وغيرها ، ومع ذلك كله فقد شاركني « سطيج الايادي » في حبها بعد ما
 توفيت زوجته أم ولده « سعد » ذلك الشاب الذي قاومنا في أمر التقدم
 الى القلعة لفتحها بعد تطهيرها من الروم ومناصريهم ومؤازريهم ، وعندما
 علم سطيج ان سامي مخطوبة من قبلي ، تحداني وأصر على طلبه ، وقد
 بذل من الاموال ما لا حصر له أو عد فلم يفلح ، ولم يحظ بما يرضيه ،
 لذلك حاول اختطافها عدة مرات كما حاول قتلي مراراً ، لكنه لم يفلح إلا
 بهذه المرة فقد انتهر فرصة انشغالي وبقية أهل المدينة بالقتال في الليلة التي
 فتحت الابواب فيها فاختطفها بمساعدة الراهب الذي رأيته والحادمة التي
 صحبتهم بعد ان قتلوا والد سامي الكفيف البصر ، وما ان وصل بكلامه
 الى هذا الحد حتى تحركت « سامي » وبدأت تستنقب وتصحو . ثم
 استوت جالسة ، فجلت واستتعت عند رأيت نفسها في محل لا يلائم
 لنوم فتاة فيه ، وقبل ان تسترجع ما فقدته من الوعي والادراك صاحت
 بصوت متعوج متهدج :-

عامر حبيبي ، أبي أبي يا عامر ، ثم اختنقت بعمرتها فاجهشت في
 البكاء ، فتقدم عامر اليها وجلس بجانبها يهدأها ويطمأنها ويقول :-
 لا تخزني ولا تجزعي يا سامي ، اتركي الماضي وتنامي الآلام والمصائب
 فنظرت اليه بعينين دامعتين وقالت :-

كيف استطيع ان اترك الماضي وشبح الجريمة النكراء في ذلك اليوم
 الاسود لما يبرح مخيلتي وناظري ؟ كيف انسى تلك المأساة التي سجلتها

يدي الطغاة الآئمة على صفحة حياتي ؟ كيف انسى الماضي . وقد فقدت
أبي الذي هب لاعاتي وناقاذي وتخليصي ؟ يا لهول المصاب ويا لشدادة
الخطب .

داهمنا أربعة من المجرمين على غفلة ، بعد زيارة الماكر « مارين »
عندما قادته الينا الجاسوسة الاعمينة « زريعة » بمنذر انتحله ، واكذوبة
لنقتها ، وخطة دبرتها مع الراهب « مارين » ، وذلك انه بدأ يطوف على
البيوت كي يستحثهم على الدعاء والابتغال الى الله برفع الخطر الذي اصبح
يحيق بالمدينة ، وقد طلبوا مني مغادرة منزلي ومرافقتهم ، ولما سألتهم عن
الحل الذي اقصده بصحبتهم ، والاسباب الموجبة الى ذلك ، اجابني مارين
وقال :-

الى صديقنا سطيج فيضحك مخدع الزوجية في عصمته بعد ان تتوجك
الكنيسة بالعرز والشرف والقداسة . ولما ابدت استغرابي من كلام الراهب
الذي لم اكن انصوره أو أعقله ، قالت زريعة مؤكدة :-

كم كنا نتوق لهذه الفرصة المناسبة ، ونتلطف الى هذه الساعة السعيدة
التي هيأتها لنا الصدف والاحداث والمفاجآت ، لنقوم باختطافك ونذهب
بك الى سيدنا سطيج الذي هام بمحبك ، وجن من غرامك جنون الحب
والشوق لا جنون الحب والاختلاط والاتيات ، ولم يهديني الى عامر الا
لأجل ان امهد له السبل بمختلف الطرق والوسائل كي يسعد بك وينعم
بقربك فاني انصحك بمغادرة الدار دون ممانعة او بمطلة ، فانت لا بد
ذاهبة رضية أم لم ترضي ، انصحك بذلك اعترافاً بحسن المعاملة التي
عاملتنى بها يا سلمى .

ولما ابدت العجب والاستغراب وذهلت مما فوجئت به ، صاح بي
مارين صبيحة منكرة بخشونة وقحة :-

اسرعى ولا تضيعي الوقت علينا ، ثم صاح بالرجال وقال :-
خذوها جبراً وقسراً ولا تتأدوا في انتظاركم واستماعكم الى اقوالها .
فكانت الصبيحة الاخيرة سبباً في ايقاظ والذي ، فهب خائفاً مذعوراً
مرتعداً لا يدري ما يصنع ويعمل ، وقد ضاعفت عذابه واضطرابه حينما
استصرخته واستنجذته على اثر هجوم اثنين من المجرمين علي لذلك اندفع
كالسهم الي وقبل ان يصلني ، تصدى له الاثنان الباقيات ، فخالا دونه
ودون الوصول لا تقاذي وانتزعى من ايدي المجرمين .

فكلما ازددت استصراخه واستنجاده كلما ازداد تحرقاً وتوئماً وتلويحاً
كأنه الثعبان الثائر الذي هب يدافع عن عشه ومخدعه المعتدى عليه .
ولما تضايق الرجلان منه وخافاه ، بادره احدهما بضربة على رأسه
افقدته اتزانة فهوى الى الارض مغشياً عليه ، كما فقدت انا السيطرة على
نفسي فانبعثت مني صرخة عالية ، وضعوا على اثرها الحكمات في في
لثلا افضحهم بصراخي واستنجادي ، ولما رأى مارين عمل والذي وسمع
صرختي ، ايقن ان الفرصة ستفوت من ايديهم وخصوصاً عندما يصحو
والذي ويستفيق من شدة وقع الضربة وعند ذلك بحول دون تنفيذ
خطتهم ، لذلك اوعز الى الرجل الآخر بالقضاء عليه فامتشق اللثم حسامه
واغمدته في صدر ابي ، وحينما سحب حسامه ارتجف والذي وتجنب بدمائه
ولفظ آخر انقاسه التي امتزجت بها بعض المقاطع والالفاظ . لم افهم منها
سوى اسمك يا عامر مقروناً باسم « سامي » . ولم تستطع اعصابي بحمل
المصاب فالوقوف أمام الحادث الجسيم وقمة المتفرج أو المتألم فنجبت على

بصري غمامة سوداء فقدت بعدها الوعي والادراك .

ولم استفق من سكرتي أو أصبح من رقدتي إلا وأنا مضطجعة على سرير وثير الفراش ، في غرفة انيقة مرتبة الاثاث تظهر عليها الدقة والاناقة . ولما جلت ببصري في أنحاء الغرفة رأيت الرجال الاربعة الذين اقتحموا علي الدار مع مارين وزوجة وهم يشرحون قصة اختطافي لرجل آخر . وقد عرفت انه سطيح حينما كان مارين يدعوه بـ «حامي الكنيسة» بين نقرة واخرى ، وهو يصني الى قوله بكل حواسه . وما ان انتهى مارين وجماعته من سرد القصة حتى قال سطيح :-

القلعة مهددة بالخطر الآن ولا سيما المسلمون قد احتلوا المدينة بمساعدة الخائن عامر ، ولا شك ان عواقب خيائنه ستنال منا ما يعرضنا الى الخطر . ولذلك أرى من الاصلح والاسلم ان تغادروا القلعة وتأخذوا «سلي» معكم ، وتذهبوا الى «الحصنين» فاني موافيك بعد أيام فيما اذا شعرت بقرب الخطر أو أحسست بضعف المقاومة ، وعدم المقدرة على الاستمرار في الاعتصام تحت الحصار .

ولما التفت سطيح الي ووجدني قد استعدت ما فقدته من الوعي والادراك قال :-

سنخلصك من عار الخيانة العظمى التي ارتكبتها عامر فوصم بها جميع نعلب بوصمة الخزي والعار ، وستجدني عندنا ما بمرح وبرضيك يا «سلي» ولا تظني انك الآن اسيرة تساق ، وانما انت امير ترف الى أمير . ولم يكذبك بتلك الكلمات التي وقعت علي وقورع الصاعقة حتى انهلت عليه بالسب والشتم والتعنيف والتقرع جزاء على ما اقترفه من الآثام والاعمال الاجرامية . وقد بلغ بي الغضب والانزعاج والحزن

والاسى والفرار الحالة التي افقدتني ادراكي ووعي ثانية فلم انتبه أو أشعر إلا وأنا في هودج فوق راحلة تسير في أرض لا أعرفها ولم أكن انصورها وعندما انقضى اليوم واليلة والزمن الذي كنت فيه فاقدة الوعي وصلنا الى هذا المحل .

وقد أرغمت الى الخروج حينما قدمتم الينا ودخلتم هذا الحصن الحصين . وقد أذاقوني من العذاب ألواناً ومن القسوة والشدة صنوفاً وأشكالاً . ولا سيما في الفترة التي حاصرتونا بها . لأنهم أيقنوا ان سطيعها قد نال حقه تحت سيوفكم . فعاملوني معاملة العبد الابق وساقوني سوق الحيوان المؤذي ، وعاملوني معاملة الكلب العقور . وما ان انتهت « سلمى » الى هذا الحد ، وأمر عبدالله بادخال الاسرى عليه بعد ذلك . حتى دخلوا ووقفوا أمام القائد عامر . فارتجفت « زويعة » وخرت على الارض مغشياً عليها ، لعدم نهية القوة الكافية لأعصابها بأن تقابل عامر . ولما صحت ورجع اليها وعيها ، اعترفت بكل ما كان مخنياً على عامر . واعترف مارين بما حاكه من الاشراك ، وديره من المؤامرات في سبيل مناصرة سطيج ومعارفته على التنكيل بعامر . ثم ان عبدالله التفت الى عامر وقال : -

بإمكانى ان اقتص من هؤلاء على ما اقترفوا من ذنوب، ولكنى سأكل أمرهم الى المفرياب « ماروثا » فهو ييت في أمرهم ، ويتولى محاكمتهم فعقابهم . اما انت ايها الاخ ، فأرجو أن ترجع بمن تخارهم من قومك وعشيرتك الى مدينتك ، وتتركنا نسير الى الموصل . فرد عليه عامر وقال : -

لا بد من مرافقتكم في الحال والترحال ، فصيري قد تعلق بعصيركم .

يجب أن أقدم الى الاسلام مثل ما قدمت للمسيحية من خدمات ، ولا أرجع ما لم ترجعوا أنتم بعد النصر التام .

- النضال والجهاد في سبيل الدين ، لا يقتصر على الممارك والقتال . بل في كل سوح الحياة . فانك ان رجعت الى تكرت ، وتوليت رئاستها وادارتها من قبلنا ، تكون قد أدت خير خدمة للدين . لأنني اوجس خيفة من سكان المدينة من أن يشقوا عصا الطاعة علينا ، ولا سيما وقد تركناها بدون والي واقصر أمرنا فيها على اتكالنا على أفراد قليلين من الجيش تولوا ادارتها وحمايتها .

- لم يكن عملي الذي عملته حبا في الرئاسة ، أو طمعا بالمنصب لأفضلها الآن على الجهاد في سبيل الدين ونشر لوائه ، لأن حبي لنشر السعادة بين الناس كي يتمتعوا بها بعد تطبيق قوانين الله ونظمه هي التي سيرتني معكم بعد أن مهدت لكم الدخول في المدينة . وأنا الآن قد آليت على نفسي أن لا أتولى أي منصب مهما سمى أو ارتفع .

- لم نسندك ولاية المدينة يا عامر إلا لاعتمادنا عليك ووثوقنا بك من انك خير من يحفظ لنا المؤخرة ، ويتولى تهدأة الاعصاب الثائرة في المدينة وثق انك سوف لا تبقي على ولاية المدينة إلا مدة غيابنا عنها . وعند رجوعنا ، نعين عليها من نشاء من أهل الكفاءة والدراية ، إن لم ترض بالاستمرار فيها .

وفي صباح اليوم التالي ، انفصل عامر وقسم من بني تغلب عن جيش عبدالله الذي انجه نحو الشمال لفتح الموصل وما جاورها من البلاد . وسار عامر بمن معه من مسلمي تغلب متجها نحو الجنوب راجعا الى مدينته تكرت يستصحب الاسرى معه كذلك . وقد استقبلهم المفريان بالترحيب

وهناهم بالسلامة كما هنا عامر بالاهتداء الى ضالته الثمينة « سلمى » وقد
تسنى لعامر ان يقص قصة اختطاف « سلمى » على المقرين بعد ان أحضر
الامرى المجرمين .

ثم ان المقرين نزع عن « ماريين » ثياب الرهبنة والقداسة ، وأمر
بسجنه مدى حياته ، جزاء لما اقترفه من الآثام التي اعترف بها كاملة أمام
المقرين .

أما زوبعة فقد اغفاها عامر ، كما اعتقها ، ولم يلبث الباقون أن اسلموا
بعد عفو عامر لهم ، لأنه يفعلون ما يؤمرون به ، فلا ذنب عليهم .
ولم تمض على رجوع عامر ستة شهور ، حتى عمت المدينة الافراح
وغمرت البهجة ، وكساها المرور بارديته الزاهية . قطاب لأهلها الرقص ،
وراق لهم ، فانتظموا مع بعضهم في مهرجان كبير حتى ليظن انهم في عيد
من اعيادهم المحببة وهم في أيام رغدم ورخائم . لذلك انبعثت روائح
المطور المسكوبة على الاردية والبشرات وخالطت النسائم في الآصال
لتذكي الشوق في قلوب القوم وتيقظ منها تلك البهجة المكبوتة . وقد زاد
في سخامة المهرجان كثرة مانحر من الذبائح وما وضع من الطعام المشاع لكل
من تتوق نفسه اليه لأنه في محل يتوصل اليه كل من طلبه واراده .

وقد جرت هذه الافراح والمسرات حينما زفت « سلمى » الى عامر كي
يعضمها مخدع الزوجية ويربطها رباط الحب المقدس « الزواج » بعامر .
وقد تم ذلك وعاش الزوجان في رغد ورخاء وهناء .

وفي صباح اليوم الثالث من شهر أيار سنة ٦٣٩ م ^(١) شقت حجب

الأمم تكون أصوات نواقيس الكنيسة الحزينة ، تلك الاصوات التي كانت تدخل الحزن والامسى حتى الى النفوس المبتهجة ، والقلوب الثلجة بيرودة الفرح . لذلك اضطرب مساموا المدينة ومسيحيوها من أن يكون قد حل في الكنيسة ما يسموه مفريانها بموت أحد شخصياتها المحبة اليه . لكن الخطب كانت أروع وافدح مما كان الناس يتوقعونه ، فقد فوجئوا بوفاة المفريان « ماروثا » نفسه . لذلك ذهلوا حينما وقع عليهم النعي ووقع الصاعقة ، فهرلوا الى الكنيسة دون وعي أو ادراك وهم لا يملكون لأقربهم رشداً .

وفي الوقت الذي مر على وفاة المفريان فاجراء الطقوس وعمل الترتيبات المناسبة لجنازته ، استقنزن الناس آخر ما في عيونهم من الدموع التي جادوا بها بسفاه . ولم يبق أحد في المدينة إلا وسار خلف جنازة المفريان التي شيعت الى المرقد الدائم بعد الانتقال الى الدار الثانية السكائنة في البيعة (١) الكبيرة التي بناها المفريان نفسه في القلعة .

وبعد أيام اجتمع مسيحيوا تكريت فانتخبوا تلميذ ماروثا « دنحما » (٢)

(١) ذخيرة الأذهان ص ٣٢٦

(٢) دنحما وهو الذي تولى مفريانية كرمي المشرق بتكريت بعد وفاة ماروثا . وبعد توليته بعشر سنين توفى وخلفه المفريان « بارشوع » الذي امامه البطريرك « ساويرا » ابن مشتا . وقد بنى بيعة فاخرة في تكريت . وبنى بيعة اخرى على اسم « سرقيس » ، دفن فيها « يوحنا الشيخ » و « انتاسيوس » و « سرقيس » و « قرياقوس » . وقد بنى دنحما الثاني بيعة ثالثة على اسم « احودي » صارت شهيرة بين يميم تكريت .

راجع :- ذخيرة الأذهان ص ٣٢٦

وقد ظلت تكريت مركزاً لكرمي المشرق بقم المفارنة فيها حتى سنة ١٠٧٩م رحلوا بعدها الى الموصل أما البقية الباقية من المسيحيين فقد رحلوا من تكريت ==

مفرياناً عليهم وتوجهوا به الى البطريك « ثاودور » فاسامه « مفريان
تكرت وكل المشرق » .

وبعد أن دار دولاب الزمان ثلاث دورات وبعض الدورة وجه « عتبة
بن فرقد ^(١) » من الموصل « مسعود بن حريث بن الابجر » أحد بني تيم
بن شيبان ، الى تكرت فدخلها وعدّ دخرله فتحاً ثانياً للمدينة المذكورة
ولما استقر بجيشه في تكرت اقتسم الاموال فيها فأصاب الفارس ثلاثة
آلاف والراجل ألف . وبعت بالانخاس مع « فرات بن حيان » وبالفتح
مع « الحارث بن حسان » وتولى حرب الموصل « ربعي » والخراج
« عرجة بن هرثمة ^(٢) » .

وتمكن مسعود بن حريث ^(٣) من أن ينزل في القلعة عندما تولى ولاية
المدينة من قبل المسلمين ، بعدما تنازل عامر عنها له . وبذ الحياة السياسية
وهجرها الى الابد وعاش مع سلمى عيشة وادعة هائلة ، يعمر الحب قلوبهم ،
وعلاً الايمان بالله ووحدانيته وصدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تينك
القلبين .

واستمر كذلك حتى أصابها ما أصاب اسلافها من الهلاك الذي فرق

== الى احياء الموصل سنة ١١٥٠ م ولم تبق الا عائلتي « آل توبني وآل دمش

السلتين » المنتسبتين الى سطيج

راجع :- ذخيرة الأذهان ص ٣٢٦ ، والثؤلؤ المنشور ص ٥٠٦ ، نصارى العراق

ص ٢٣

(١) ذكر في معجم البلدان ج ١ ، دائرة المعارف الاسلامية ج ٥ ص ٤٣٤

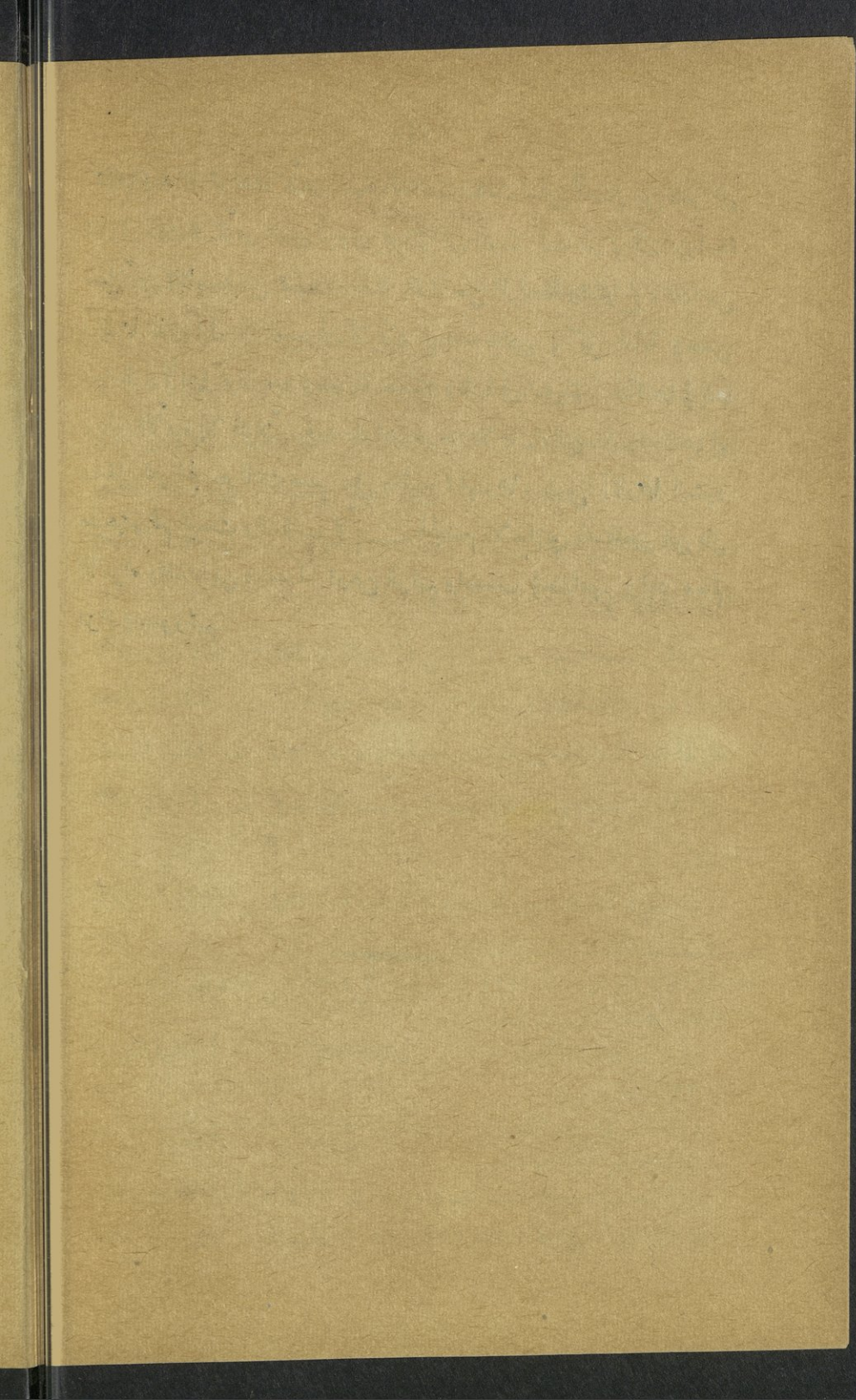
(٢) الطبري ج ٢ ص ١٨٦

(٣) وقد بنى مسعود مسجداً وجعله مرتفعاً عن الارض خوفاً من الخنازير التي

اتهم عليها من أن تدخله . معجم البلدان ج ١

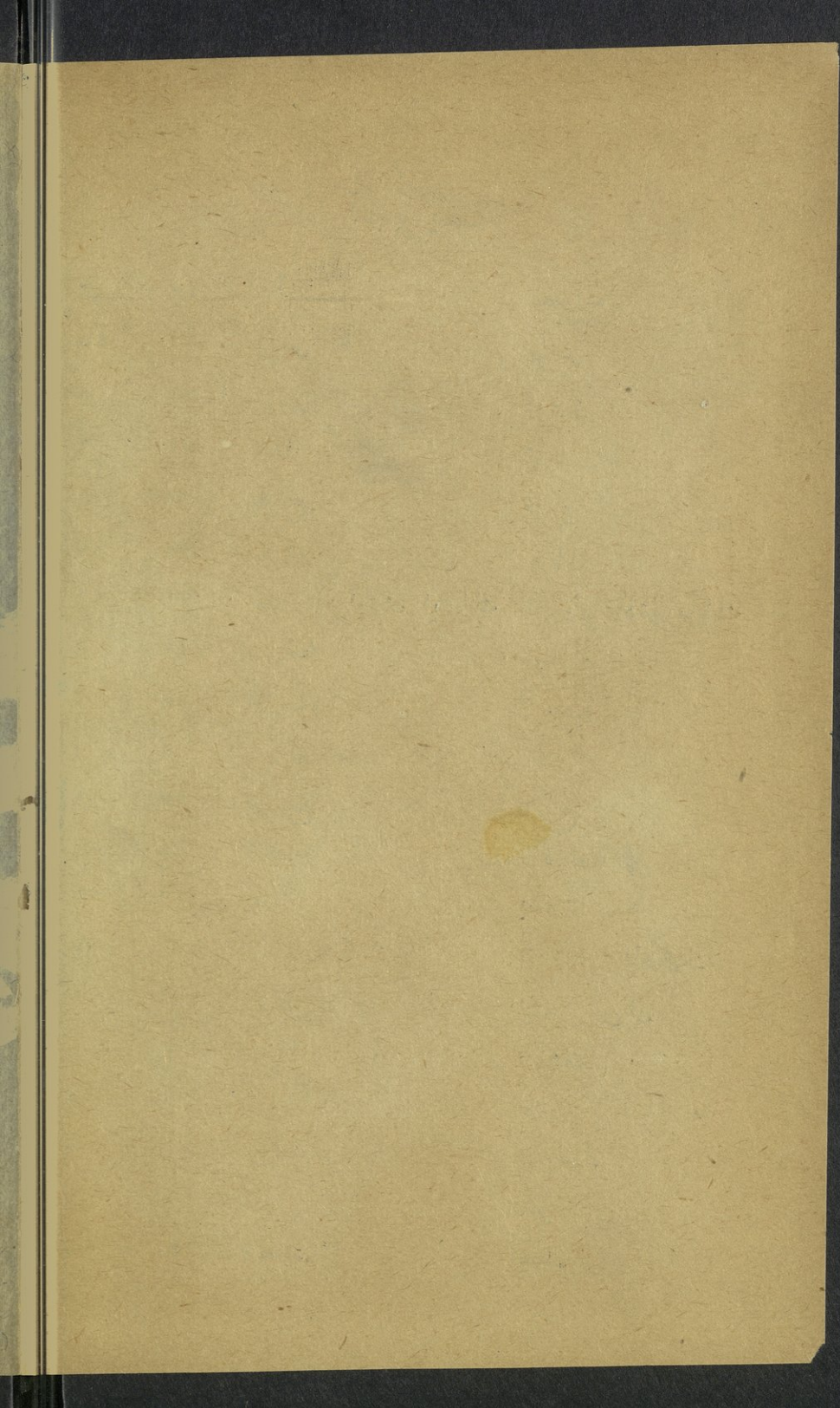
شغلها بعد ان ارشفا كآس المنية بالتعاقب فكانت سلمي أسبق من عامر على
 تناول ذلك الكأس الذي أودى بحياتها الى الموت بعد أن تركت وراءها
 طفلاً في التاسعة من عمره ، وطعمة بلغت سن المراهقة والبلوغ ، لقيا من
 والدهما الذي آل على نفسه أن لا يتزوج بعد سلمي ، كل رعاية وحسن
 معاملة ، لأنها ثمرة حبه وصورة حبيبته وظلها في الحياة . لكنها لم ينمها
 برعاية الأب إلا قليلاً . فقد طوتها موجة الابهال والنيسان واخفتها في
 داخل بحر المجتمع لذلك عسر على متبوع اخبارها ومقتني آثارها المنشور
 عليها رغم البحث والتنقيب لأن المجتمع الاسلامي قد قلص من ظل
 الامراء والمتنفذين ، بعد ان اوهن قوتهم واهضع اجسامهم وأباد معالم
 عزهم وجبورتهم .

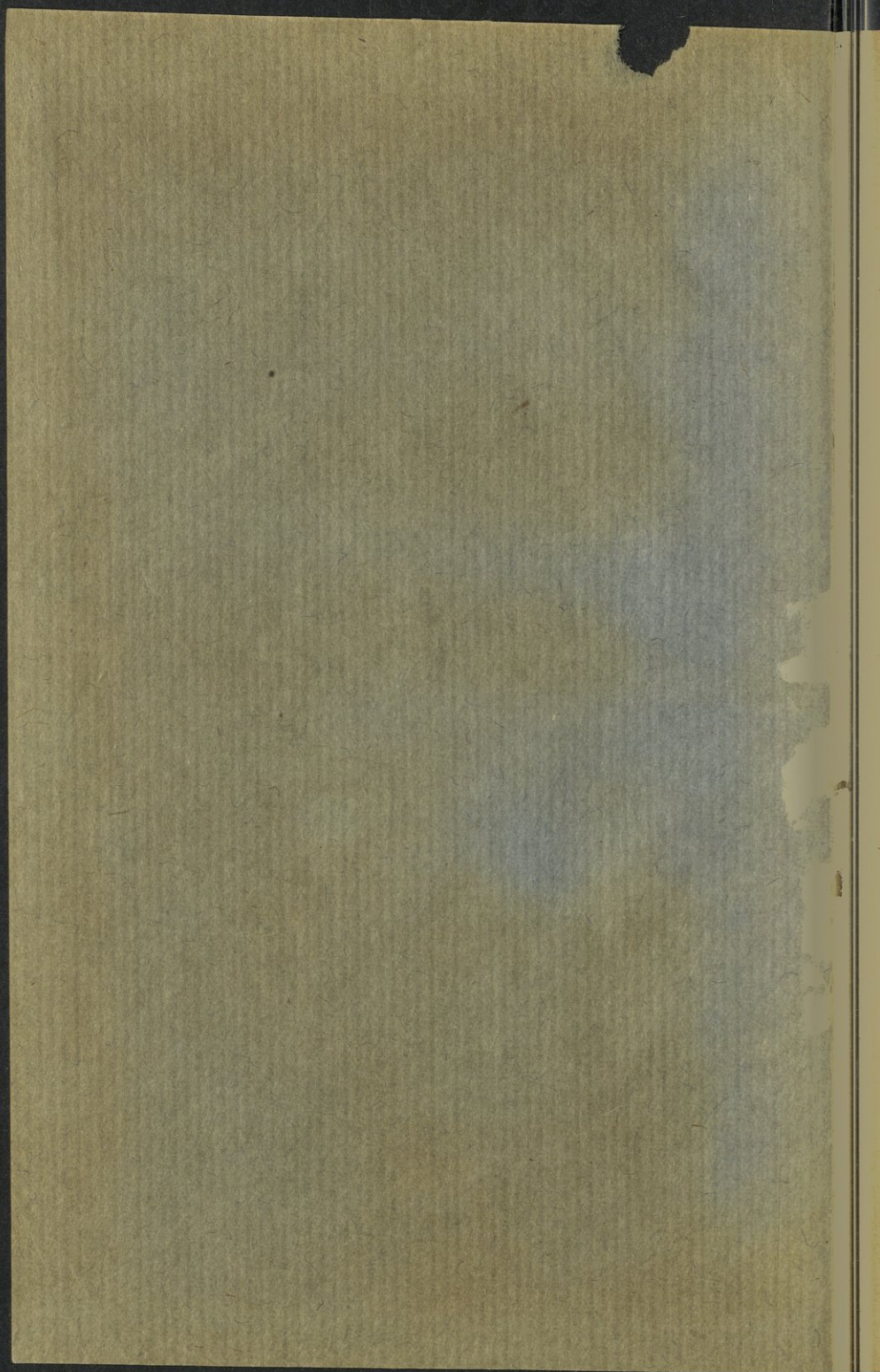


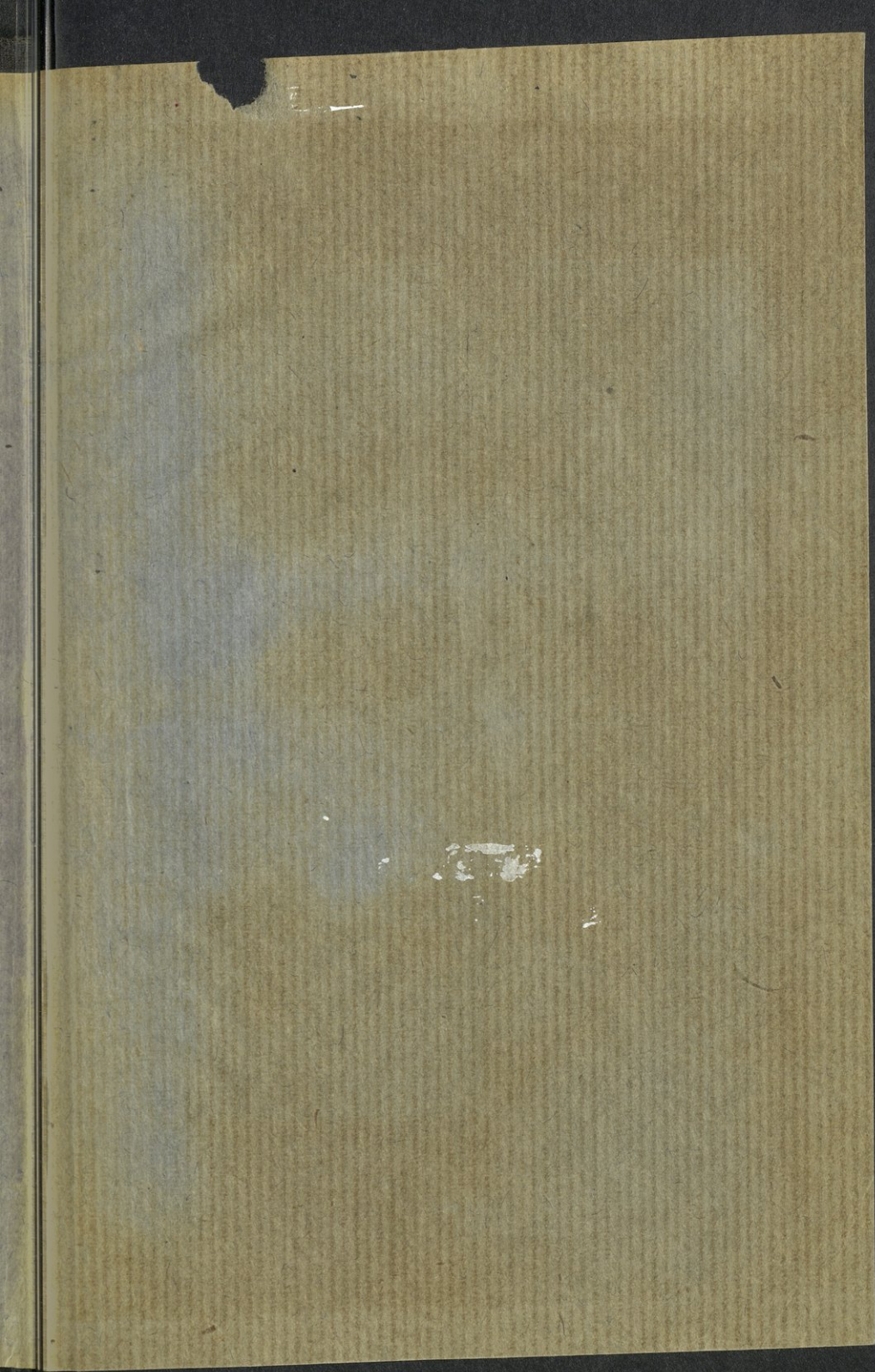


تصويب

س	ص	الخطأ	الصواب
١٥	١١	فروس	فردس
٨	٢٧	ابرديز	ابرويز
٦	٣٤	تدما	توما
١	٣٦	فخرج	فزج
١٢	٣٦	مفريانا	مفريانا
١٤	٣٩	سابور ابن اردشير ابن بابك	سابور بن اردشير بن بابك
٨	٤٥	متوسط	متوسطة
٥	٤٨	الاجتماعية	الاجماعية
٢	٥٤	وجدت	وجدن
١٧	٦٢	ازريخ	ازرنج
٤	٧٥	لاقصاه	لاقتناصه
١٣	١٠٩	بصلاته	بصلاتها
٢٢	١٢٠	اثبات المشكوك	اثبات قوله المشكوك
٧	١٤٧	ليتمكن ان	ليتمكن من ان
٤	١٩٠	التخشفات	التخشفات
١٥	١٩٦	يانمة بانمارها	حديثته يانمة بانمارها
٩	١٧٣	من حقول	في حقول
٦	١٨٨	طامو	عامر
١٧	٢٢٠	لاصماد	اسعاد







892.73:Sh5

الشهاب، شعيان رجب
سلمى الثقلبية أو قصة الفتح الاسلامي
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01038187

American University of Beirut



892.73

Sh5

General Library

